SUPPLEMNT
29
30
WINTER
SPRING
2011

ARABPSYNET
شبكة العلوم النفسية العربية
e.JOURNAL
مجلة

نحو مدرسة عربية للعلوم النفسية

مستجدات العلوم النفسية

ملحق العددين 29-30

شتاء – ربيع 2011

الإفتتاحية:

الملف: سيكولوجية النفس العربية الثائرة

عبد الستار إبراهيم – صادق السامرائي – قاسم حسين صالح
أنيسة الأمين مرعي – خليل قاضل – مرسلينا شعبان حسن
خالد عبد السلام – محمد احمد النابلسي – محمد المهدي
قراءات في سيكولوجية النفس العربية الثائرة

وثائق

دليل مكافحة وصمة الطب النفسي و الأطباء النفسانيين
الرعاية الصحية النفسية المجتمعية: الخطوات ، المعوقات والأخطاء
حماية وتعزيز الصحة العقلية للأطفال الذين يعاني والديهم من إضطرابات عقلية شديدة

حوارات

حوار سيكوتربوي مع الغالي أحرشو

جوائز

جائزة بروفيسور مالك بدري في علم النفس
جائزة خليفة التربوية للعام 2011/2010.

اصدارات عربية حديثة

اصدارات مكتبية

التفسير الاجتماعي لسببية السلوك- عبد الكريم بلحاج
الشباب و الثقافة الجنسية – لطفي الشربيني
دعه فإنه مراق!- عبد الله الطارقي

مجلات و دوريات

الثقافة النفسية المتخصصة – المجلد 21 – العدد 83
علم النفس – العدد 82-83

جمعيات

الرابطة العالمية لعلماء النفس المسلمين

قائمة بريد مراسلات

بريد مراسلات شبكة العلوم النفسية العربية

الكتاب الذهبي للشبكة

أراء و انطباعات أطباء النفسانيون و أساتذة علم النفس

مؤتمرات نفسية

السعودية – مصر – اليمن
تركيا – تونس – المغرب – الإمارات

الفهرس

www.arabpsynet.com/ejTopics/eJ29-30TopicSup.pdf

EDITED BY CISEN COMPUTER COMPANY ALL RIGHTS RESERVED - COPYRIGHT (C) 2010 -APNjournal@arabpsynet.com

VOL 7- SUP N°29-30, WINTER & SPRING 2011 - DOWNLOAD APNEJ-29-30

الإفتتاحيـــــــــة: نحـــــــو سيكولوجيـــــــا للإنســـــــان الثائـــــــر الحـــــــــر

د. الغـالـــــــي احرشـــــــــاو – علـــــم النفـــــــس – المغـــــرب
Aharchaou_rhali@yahoo.fr

الخير والعزة والسداد للشعوب العربية البطلة

ولشبابها الثائر الباسل ولثرواتها المجيدة الخالدة

الواقع أن أهم ما يمكن استخلاصه مما حدث ويحدث وسيحدث في الأيام المقبلة، هو أن البلاد العربية بغالبية شعوبها قد انخرطت فعلا في **مرحلة تاريخية جديدة**، قوامها **استرجاع الكرامة وتحقيق الحرية وممارسة الديمقراطية**. إنها باختصار شديد مرحلة الانتفاضة والتمرد على الأنظمة الديكتاتورية القمعية، **مرحلة الانعتاق من الاستبداد** والقضاء على الفساد، مرحلة **الصحوة الشبابية الواعية والثورة الشعبية الهادفة**. هذه خلاصات وأوصاف أضحت تؤكدها وقائع ملموسة وممارسات يومية في كثير من الأقطار العربية، وفي مقدمتها ما جرى ويجري في تونس ومصر واليمن والبحرين وليبيا وسلطنة عمان.

وإذا كان من المنطقي أن يساهم أطباء وعلماء النفس العرب في مقاربة هذه المرحلة الجديدة، ويسائلون كغيرهم من المهتمين والمتخصصين أحداثها ودلالاتها الضمنية والصريحة، ويستنطقون ظواهرها ومظاهرها السوية والشاذة، ويشخصون تصرفات وسلوكات زعمائها وأبطالها، جبابرتها وطغاتها، عملائها وخونتها، فإن الأمر الذي لا يمكن قبوله أو استساغته هو أن ينخرط هؤلاء في مسيرة تلفها نقط استفهام كثيرة من أبرز مظاهرها **تبخيس تخصصهم العلمي وتسطيح خدماته المعرفية**ليصبح عبارة عن معارف عامية ووصفات جاهزة سهلة المنال والتداول ويمكن لأي كان أن يصوغها أو يفتي بها.

فكثيرة هي الأوصاف والنعوت التي تضمنتها مساهمات بعض الزملاء أطباء وعلماء النفس العرب المنشورة مؤخرا على موقع "**شبكة العلوم النفسية العربية**"، تَشي باختزالية واضحة في التصور والموقف، وبتبسيطية جلية في المقاربة والمعالجة، ثم بسطحية عميقة في التقييم والحكم على كل ما حدث ويحدث. فباستثناء القلة القليلة من تلك المساهمات، وبالخصوص تلك التي ناشدت الحذر وعدم التسرع وطالبت بالمهنية وتوخي الموضوعية في التعامل النفسي والطبنفسي مع ضخامة الأحداث وكثافة الوقائع وغزارة الإشاعات (منها مساهمات د. الرخاوي ود. عكاشة ثم د. التركي)، فإن غالبية تلك المساهمات جاءت محملة بأوصاف وتسميات وأعراض وأمراض لا يستسيغها منطق العمل السيكولوجي المألوف، بمختلف مقوماته العلمية وضوابطه المعرفية وأخلاقياته المهنية. فعلى عكس أوصاف ونعوت وتسميات من قبيل: الجنون والحمق والاضطراب والمرض والخبل والهوس... التي ذهب بعض زملائنا إلى استعمالها في غير محلها، وبالتالي إسنادها دون أدنى فحص أو تشخيص سريري ودون مراعاة لأي سياق طبي إكلينيكي، إلى بعض الحكام العرب الذين تهاوت عروشهم أو هي في الطريق إلى التهاوي، فإنني أرى بأن **هؤلاء الحكام** وأمثالهم من الطغاة والديكتاتوريين المهووسين بالعظمة والشغوفين بالزعامة، ليسوا **لا مجانين ولا مضطربين ولا مرضى** ولا هم يحزنون. فكل ما في الأمر هو أن هؤلاء، بحاشياتهم وميليشياتهم وزبانياتهم، قد **استفردوا بشعوبهم** لسنوات وعقود دون ملل ولا كلل وذلك باعتماد أساليب وممارسات كلها مكر ودهاء، قمع وتسلط، ترهيب وتخويف، تهميش وتجويع....وغيرها من الأساليب التي لم تعد في الوقت الحالي تجدي نفعا مع شباب أغلب شرائحه من الفئات المتعلمة الواعية التي تنشد إرادة الثورة بدل الخنوع والمذلة كسبيل ناجع لتحقيق الذات والحياة الحرة الكريمة.

فكيف يُعقل إذن أن نصف أشخاصا بالحماقة والجنون وهم الذين سيطروا على شعوبهم وحكموها لسنوات وعقود؟ وكيف يصح نعت هؤلاء بالخبل والشذوذ ونحن نعلم أنهم كانوا وإلى وقت قريب يمثلون زعماء الأمة وعقلاءها وحكماءها؟ بل الأكثر من ذلك، كيف يستقيم القول بالشخصية المضطربة لهؤلاء الحكام والكل يدرك تمام الإدراك أن هذا القول إذا كان بالفعل صحيحا، سيشكل المخرج الطبي الواقي لهم للإفلات من العقاب المستحق ومن القصاص العادل على كل ما اقترفوه من بطش وانتهاكات ومجازر في حق البلاد والعباد.

أعتقد أن الاستمرار في وسم هؤلاء بأسماء وأوصاف مستلهمة من الحقل الدلالي لمنظومة الاضطرابات النفسية، سيشكل بصورة ضمنية الانخراط في مشوار تزكية وتدعيم هذا المخرج الطبنفسي لإعفائهم من القصاص والعقاب. فيقيني الكبير بأن شخصية هؤلاء الحكام الفاسدين المفسدين لا تنطوي ولا تَنمُّ عن سمات شاذة ولا عن أعراض غير سوية، بل هم أناس أسوياء عقلاء يدركون حق الإدراك ما يفعلون، وعليهم أن **يتحملوا نتائج وتبعات أفعالهم وممارساتهم في حق شعوبهم**. فكل ما في الأمر هو أن تشبثهم بالحكم وتعلقهم بالكراسي وتماهيهم بالزعامة، كل هذا جعل منهم أشخاصا مدلولين منبوذين، تَعبت منهم الشعوب ومَلَّت من رؤيتهم على امتداد عقود وسنوات، وبالتالي فقد **حان وقت التمرد عليهم ومطالبتهم بالرحيل**. لهذا لن نكون مجازفين في القول إن اعتبرنا بأن المساهمة البنَّاءة والمعقولة **لأطباء وعلماء النفس العرب** في التفاعل والتعامل مع "تسونامي" الانتفاضات العربية وملاحمها الثورية المجيدة، يجب أن تركز على مختلف الظواهر والأحداث التي تشكل المقومات والمظاهر الأساسية لتلك الانتفاضات والملاحم وفي مقدمتها ظواهر ومشاكل: **التسلط والقهر، البطش والقمع، الاستبداد والاحتقار، الديكتاتورية والطغيان، العنف والرعب، التخويف والترهيب، الكبت والحرمان، الثورة والتمرد، تحطيم الذات وتبخيس الهوية، الانعتاق والكرامة، الحرية والديموقراطية** ... وغيرها من الظواهر والمشاكل ذات العلاقة العضوية بسيكولوجية الإنسان العربي ورغبته في الحرية والحياة الكريمة. هذه السيكلوجيا التي سبق لزميلنا القدير **د. مصطفى حجازي** أن عرضها في مؤلفه الشهير "**سيكولوجية الإنسان المقهور**" وجاء الوقت المناسب لاستبدالها ب"**سيكولوجية الإنسان الثائر الحر**" التي ندعو صادقين زملاءنا أطباء وعلماء النفس العرب إلى الانكباب على هندسة معمارها ومحطاتها وإلى صياغة ميادينها ومضامينها بناء على دراسات نظرية وأبحاث ميدانية دقيقة في التصور والمنظور وعميقة في المقاربة والمعالجة وخصبة في الغاية والمسعى....

مع خالص التحية والتقدير

Arabpsynet Psychologists

Arabic Edition
http://www.arabpsynet.com/HomePage/Psy-Gists.Ar.asp
English Edition
http://www.arabpsynet.com/HomePage/Psy-Gists.asp
French Edition
http://www.arabpsynet.com/HomePage/Psy-Gists.Fr.asp

Arabpsynet Psychiatrists

Arabic Edition
http://www.arabpsynet.com/HomePage/Psy-Ists.Ar.asp
English Edition
http://www.arabpsynet.com/HomePage/Psy-Ists.asp
French Edition
http://www.arabpsynet.com/HomePage/Psy-Ists.Fr.asp

Arabpsynet Psychologists Search

www.arabpsynet.com/CV/defaultPsychologists.asp

Arabpsynet Psychiatrists Search

www.arabpsynet.com/CV/default.asp

سيكولوجيـــــــة النفـــــس العربيـــــة الثائـــــرة

حـــــــول قابليـــــــة الـــــدول العربيـــــة لحضانـــــة الثـــــورات
محمـــد احمـــد النابلســـي

اضطـــراب فـــي شخصيـــة "لينـــدي إنجلنـــد" أم فـــي المنـــاخ الاجتماعـــي
عبـــدالستـــار إبراهيـــم

قـــراءة في رؤية التحليـــل النفســـي والجنســـي لأسطورة التوريـــث المنهـــارة فـــي مصـــر
حـــوار مـــع خليـــل فاضـــل

الكآبـــة الحضاريـــة!!
صـــــادق السامـــــرائ

مفهـــــوم الهويـــــة مـــن منظـــــور النظريـــــة النفسيـــــة التحليليـــــة
مرسلينـــا شعبـــان حســـن

صـــــــــــــراع الهويـــــــــــــات.. وثقافـــــــــــــة الســـــــــــــلام
قاســـم حسيـــن صالـــح

الحـــرب النفســـية . . . انعكاساتهـــا على الأفـــراد والمجتمعـــات العربيـــة سلاميـــة
خالـــد عبـــد الســـلام

صـــوت أبنـــاء مصـــر
أنيســـة الأميـــن مرعـــي

الثـــــورات العربيـــــة تعيـــــد قـــــدرة الانـــدهـــــاش
محمـــد احمـــد النابلســـي

أمـــراض السلطـــة
منظومـــة الإستبـــداد
محمـــــــــد المهـــــــــدي

لمـــاذا الحـــرب ؟
مرسلينـــا شعبـــان حســـن

فـــــــــي تحليـــــــــل شخصيـــــــــة صـــــــــدام حسيـــــــــن
قاســـم حسيـــن صالـــح

قـــــراءات في سيكولوجيـــــــة النفـــــس العربيـــــة الثائـــــرة

م. النابلســـي – و. ابوهنـــدي – غ. أحرشـــاو – م. ابورحـــاب – ه. خبـــاش – ك. بلحـــاج – ف. فاضـــل
ي. الرخـــاوي – ل. الشربينـــي – ع. فرغلـــي – ب. خليفـــة – ط خمـــاس – ق. حفنـــي – ق. صالـــح – م. حســـن
م. الجبـــوري – س. محمـــد – س. إبراهيـــم – ص. السامرائـــي – ز. عمـــاره – ع. عسكـــر – م. الصباحـــي

www.arabpsynet.com/ejTopics/eJ29-30TopicSup.pdf

حـــــــول قابليـــــــة الـــــــدول العربيـــــــة لحضانـــــــة الثـــــورات*

أ.د. محمـــــد احمـــــد النابلســـــي –الطـــــب النفســـــي –لبنـــــان

رئيـس المركـز العربـي للدراسـات المستقبلية، رئيـس مركـز الدراسـات النفسيـة و النفسيـة –الجسديـة

ceps50@hotmail.com ; nabulsy@cyberia.net.lb

رصد المزاج العام عملية تقع على الحدود بين السياسة والعلوم الانسانية وبخاصة علم النفس وعلم الاجتماع. فيما نفضل شخصياً إعتبار هذه العملية واحدة من وجوه استغلال السياسة للعلوم الانسانية. وعملية الرصد هذه تجري عادة بطريقة آلية روتينية الا انها تطرح ضرورة التعمق في متابعتها للرأي العام في الحالات المفصلية كمثل تعرض المجتمع لمواجهات داخلية او خارجية تتطلب تضحيات الجمهور والتأكد من ملكيته للدوافع المؤكدة لاستعداده لتقديم تضحيات مماثلة.

الثورات العربية المتلاحقة بينت تعكر المزاج العام في هذه الدول وربما تعكر المزاج العربي العام بدليل تلاحق التحركات وانتشارها الوبائي السريع في غالبية الدول العربية اذا لم نقل كلها. كما ان اندفاع الشارع العربي لتأييد هذه الثورات يؤكد تعكر المزاج العام لهذا الشارع وصولاً لتبنيه مبدأ التغيير بعض النظر عن تهديدات الفوضى التي قد تصاحب أو تعقب التغيير.

الانظمة العربية كافة تبحث هذه الايام عن الوسائل الاكثر فعالية لرصد المزاج العام لجمهورها وأهم منها **تشخيص قابلية النظام لحضانة ثورة قد تؤدي الى نهايته وسقوطه**. ذلك ان وسائل الرصد التقليدية لتوجهات الرأي العام ومزاجه لم تعد صالحة في هذه اللحظة السياسية العربية التي تشهد انفعالات تطلق معها القناعات الضمنية التي يخفيها هذا الجمهور عادة ما يجعلها خارج مجال رؤية وسائل الرصد التقليدية.

المسألة هنا تدخل في اطار **"الطب النفسي العسكري والأمني"** وتقتضي إستقراء تجارب هذا الفرع على ضوء معرفة مكتملة بانثروبولوجيا الدول العربية المعنية. حيث المراكز الاميركية التي تتولى أغلب عمليات الرصد هذه جاهلة تماماً لهذه المعطيات الانثروبولوجية. وهو جهل أكدته التجربة الاميركية في العراق.

البعـــد الثالـــــث – الزاويـــــة الميتـــــة

في هذه الحالات الانفعالية الجماهيرية تضمحل اهمية النتائج القائمة على الرصد ثنائي البعد القائم على مباديء ثنائيات العنف/الضحية والنظام/ التمرد وغيرها من الثنائيات. اذ تحتاج الدراسات لاوضاع مماثلة الى البعد الثالث الذي يجعلها مكتملة وقادرة على اظهار الرؤية الهولوغرافية لهذه الاوضاع. ويتمثل هذا البعد الثالث باسلوب معايشة الجمهور للحظة السياسية – الاقتصادية المنتجة للاحداث. انها الزاوية الميتة (المسافة غير المرئية في مرآة الرصد) التي يتم تجاهلها في العادة.

هنا تعجز اساليب الرصد التقليدية عن مقاربة هذا البعد الثالث. الذي نعطي عليه مثالاً احد اهم الاحجيات العلمية التي طرحت على صعيد الطب النفسي العسكري حيث سجّل الأطباء الألمان أثناء **الحرب العالمية الأولى** ردود فعل كارثية لدى الجنود الألمان من نوع الهيستيريا ومنها داء **الارتجاف الهيستيري**. أما في **الحرب العالمية الثانية** فقد سجل هؤلاء الأطباء ردود فعل كارثية سيكوسوماتية لدى الجنود الألمان من نوع **القرحة وارتفاع ضغط الدم وغيرها** من ردود الفعل السيكوسوماتية. وطرح السؤال هنا: **لماذا تبدلت ردود فعل الجندي الألماني واختلفت بهذه الصورة؟**. واختلاف ردود الفعل امام الكارثة يعكس اختلاف معايشة الجنود لضغوط الكارثة المتمثلة بالحرب وخطر الموت خلالها. واختلاف المعايشة في هذه الحالة هو تحديداً ما نقصده بالبعد الثالث.

لقد سجلت الملاحظات الطبية انتشار داء الارتجاف الهيستيري بين الجنود الالمان خلال الحرب العالمية الاولى بحيث كان يعقيهم عن مواصلة القتال. فيما أثبتت الفحوصات الطبية الدقيقة غياب اية خلفية عضوية لهذا الارتجاف. وبينما كان الاطباء العسكريون الالمان يتوقعون مواجهة داء الارتجاف مجدداً في اوساط جنودهم فوجئوا بغياب هذا العارض نهائياً في مقابل ظهور امراض واضطرابات من النوع النفس– جسدي بين الجنود. وهي اصابات يمكن تبريرها بالشدة المصاحبة للمعارك.

بعد دراسات مقارنة معمقة تبين للاطباء النفسيين العسكريين ان **مستوى التحشيد القومي** في الحرب الاولى كان ضعيفاً وان الجنود لم يكونوا محرجين من الانسحاب من ميدان المعركة لاي سبب كان. اما في الحرب الثانية فقد كان مستوى الاندفاع القومي عالياً ما جعل الجنود يخجلون من الانسحاب ويتحملون شدائد المعارك لغاية اصابة بعضهم بردود الفعل الجسدية الناجمة عن هذه الشدائد. ذلك ان الجنود الالمان دخلوا الحرب الثانية لازاحة الظلم اللاحق بالمانيا نتيجة معاهدة فرساي. مع ملاحظة ان الفارق بين الحربين كان عقدين من الزمن فقط. حيث شاركت اعداد كبيرة من الجنود الالمان في الحربين معاً لكن المختلف هنا كانت معايشة هؤلاء الجنود لظروف الحرب واقتناعهم بمبرراتها وضرورتها.

مثال آخر على أثر معايشة اللحظة الاقتصادية – السياسية هو الاتحاد السوفياتي ومعه أوروبا الشرقية التي شهدت نهاية الثمانينات تبدل اللحظة الاقتصادية– السياسية فانفجرت فيها الصراعات وانتشرت حركات التمرد والثورات الملونة. ومع تسجيلنا **لاهمية دور المخابرات الاميركية في تحريك هذه الثورات ودعمها** فاننا نلاحظ ان هذا التدخل كان متواجداً بصورة اكثر كثافة خلال السنوات السابقة لكنه لم يكن يتمتع بالفعالية. وانما هو استمد فعاليته من تغيرات اللحظة الاقتصادية– السياسية ومعها تغيرات أساليب المعايشة لدى شعوب تلك البلدان.

وتأكيدنا على هذا المثال يعود الى محاولة اختصار البعد الثالث وتجنب الخوض فيه عبر طرح نظرية "**الدومينـــــو السياســـــي**". التي تبين انها صالحة للتطبيق في الحالة المعروضة كون جميع الثورات الملونة إتجهت نحو انظمة تعتمد نظام حكم عقائدي بعد سقوطه. وهو ما لا ينطبق مثلاً على الدول العربية حيث يشكل الاسلام احد ركائزها السياسية غير القابلة للتجاوز عداك عن الاختلاف الجذري في التوجهات السياسية للانظمة العربية الحاكمة.

التصنيـــف الهولوغرافـــي للكيانـــات العربيـــة

لو دققنا النظر لوجدنا أن الاضطرابات السياسية في المنطقة العربية انطلقت من الكيانات التي ظهرت كنتيجة مصطنعة للحرب العالمية الأولى (بلاد الشام التاريخي ولبنان اضعف حلقاتها). فالتغيرات الجغرافية التي حصلت عقب هذه الحرب لم تكن مجرد تغيير في اللحظة الاقتصادية– السياسية بل كانت تغييراً مصطنعاً في تاريخ الزمن. دون ان يعني ذلك أن بلدان التوازن والازدهار العربية بمنأى عن الاضطرابات السياسية في المستقبل. خاصة وان الاستعمار ترك معظم الدول العربية دون تحديد دقيق لحدودها البرية والبحرية. بحيث تبقى الخلافات الحدودية مصادر تهديد دائم لإستقرار هذه الدول.

وما يصح في المنطقة العربية يصح على مناطق العالم بما فيها الولايات المتحدة الاميركية. إذ ان حوادث لوس أنجلوس (1991) ولغاية حوادث ســـبتمبر (2001) هي انذارات باحتمالات نشوب الاضطرابات السياسية لغاية الحرب الأهلية الأميركية اذا ما تغيرت اللحظة الاقتصادية– السياسية الراهنة في اميركا.

وبالعودة الى المنطقة العربية يمكن توزيع كياناتها السياسية على الفئات التالية:

أ– **الكيانات المنفصمة** :Schizoide وهي الكيانات التي تعاني **تناقضات عرقية و /أو دينية و/ أو فكرية**. وهي تهدد بانفجار نوبات عنف من نوع الشيزوفرانيا الاقتصادية– السياسية المتمثلة بتفاوت تمييزي بين فئاتها المتناقضة. وهو تفاوت يتعلق بالحقوق والواجبات ومستويات الدخل ويمكنه ان يؤدي الى نشوب الحروب الأهلية وعمليات العنف والاغتيالات وغيرها. وتصنف في هذه الفئة كل الدول التي سبق لها وان شهدت حروباً أهلية بما فيها تلك المؤدية لتوحيد هذه الدول (لبنان وسوريا واليمن والجزائر والاردن والسعودية والبحرين عربياً والولايات المتحدة وايرلندا وبلجيكا عالمياً).

ب– **الكيانات الانهيارية :**Depressive وتعاني من **تهديد هويتها وشخصيتها القومية** مما يدفعها الى اليأس بحيث يمكنها أن تعمل على ايذاء ذاتها والآخرين بطريقة عشوائية، وصولاً" لقيام الأفراد بارتكاب أعمال انتقامية ضد العدو المفترض حسب اللحظة الاقتصادية – السياسية. وهي حالة العراق بعد الاحتلال. كما ينطبق هذا التصنيف على مصر تحت ادارة مبارك التي تبنت توجهات سياسية تهدد الهوية المصرية.

فتجلى تمرد الافراد عبر ايمن الظواهري واتباعه من مواطنيـــه ليعـــود فيتجلى بالثورة المصرية التي هدفت الى تثبيت الهوية المصرية. وهو ما تؤكده توجهات قيادات هذه الثورة. كما تصنف ثورة تونس ومعهـــا دول موريتانيا والمغرب وجزر القمر في هذه الفئة.

ج -**الكيانات الهوسية** :Manic حيث يتظاهر الصراع من خلال **هوس التطرف القومي أو العرقي أو الديني**. هذا الهوس الذي يتفشى بداية في مجموعات صغيرة نسبياً قابلة للاتساع. وهذه الكيانات تملك القوة غير العادية التي يتمتع بها المهووس. ورغم تعددية الكيانات العربية القابلة للتصنيف في هذه الفئة الا ان الاحباطات العربية المتوالية والحصار الاقتصادي المفروض على هذه الكيانات وانفتاح بعضها اللامشروط على السياسات الاميركية يؤجل تصنيف اي كيان عربي في هذه الفئة. إلا ان اندلاع الثورة الليبية وسلوك النظام إزاءها يوحي بالعودة لتصنيف ليبيا ضمن هذه الفئة الهوسية.

د -**الكيانات الهيستيرية** :Hysteric حيث لا خلفيات امراضية حقيقية وانما هو الصراع على السلطة أو على السيطرة على المنافسين الآخرين وعلى مقدراتهم. وتدرج في هذه الفئة بلدان مجلس التعاون الخليجي باستثناء السعودية والبحرين. وتتنافس على صدارة هذه الفئة كل من دولة قطـــر وإمارتي دبي وأبو ظبي.

في هذه الحالة علينا أن لا نهمل مسألة الاغواء الهيستيري ونجاحاته في السيطرة على الآخرين. حيث يمثل اليمن الموحد الحالي احد اهم الامثلة العربية على هذه الكيانات. كما أن علينا ألا نمهل احتمالات بداية الذهان تحت ستار الهيستيريا. بمعنى تحول الكيان اليمني الموحد من هيستيري الى واحدة من الفئات سابقة الذكر.

تشخيـــص قابليـــة الـــدول لحضانـــة الثـــورات

يقودنا التصنيف المعروض أعلاه الى طرح العديد من الملاحظات المبدئية في عملية " **تشخيص قابلية الدول العربية لحضانة الثورات**" وهذه الملاحظات هي التالية:

1 – ضرورة التشخيص التفريقي بين كل من الحالة السعودية والبحرينية وبينهما وبين كل من الامارات والكويت وقطـــر. بما يعني وجود اختلافات بنيوية بين هذه الدول يستتبع اختلاف قابليتها لحضانة الثورات الداخلية الافتراضية.

2 - قابلية بعض الدول العربية للمراوحة بين فئة تصنيفية وأخرى إعتماداً على سلوك نظامها السياسي الحاكم. كما بحسب انتمائه للجماعات المتناقضة المكونة للدولة.

3 – عدم قابلية قائمة من الدول العربية لحضانة الثورات الافتراضية بحيث يتحول اي تحرك سياسي فيها الى صراع بين مكوناتها المتناقضة. حيث نلاحظ تحول الثورة البحرينية الى المذهبية والثورة اليمنية ومثلها الليبية الى القبائلية. وهذه الملاحظة تسمح باستبعاد الدول المدرجة في فئة المنفصمة وهي لبنان وسوريا واليمن والجزائر والاردن والسعودية والبحرين. لكن مع الاشارة الى ان مناعة هذه البلدان تجاه الثورات الافتراضية لا تعني مناعة انظمة الحكم فيها تجاه الاضطرابات السياسية الأخرى.

اما عن بقية عناصر التشخيص التفريقي لقابلية حضانة الثورات الافتراضية فهي:

1 – تحديد البنية الانثروبولوجية الاساسية للدولة المعنية مع تعريف عناصر الاختلاف بين جماعاتها المكونة. عناصر طائفية او مذهبية او عرقية او قبائلية أو غيرها.

2 – تحديد التوجهات السياسية الاعتيادية للدولة المعنية. بما يتضمن تحديد تموقعها في التوازنات الجيوسياسية القائمة في المنطقة.

3 – تحديد اتجاهات اعادة تموقع الدولة في التغيرات الطارئة مؤخراً على التوازنات الجيوسياسية في المنطقة. وتحديداً الموقف من الاندفاعة الجيوسياسية التركية الاخيرة في المنطقة. باعتبار هذه الاندفاعة احد المولدات الرئيسية للثورات العربية. عبر إحيائها للطموحات الكامنة في الشارع العربي.

4 – تحديد علائم السلوك السياسي الراهنة ورصد حدوث متغيرات سريعة طارئة في هذا السلوك. مثال ذلك متغيرات سلوك النظام المصري في الفترة الاخيرة مضافة لمتغيراته السابقة. وايضاً انقلاب السلوك السياسي الليبي المفاجيء تجاه الولايات المتحدة والغرب عموماً.

5 –نمطية علاقة النظام الحاكم في الدولة بجمهوره ومقدار مجاراته لتوجهات الشارع العربي. حيث تعتبر سيولة التواصل بين الحاكم والمحكوم عنصر مناعة وقائية. وحيث تعتبر مسايرة النظام لمشاعر الشارع العربي جواز مرور للقبول العربي بالنسبة لمواطني الدولة. وتزداد أهمية هذا القبول العربي الاوسع في حالة الدول العربية الفقيرة التي يتوزع مواطنوها للعمل في دول عربية أخرى. مثال ذلك تحميل نظام مبارك مسؤولية إزدراء المصريين العاملين في الدول العربية (سواء بسبب لاشعبية مواقف النظام او بسبب إهماله الدفاع عن حقوق مواطنيه). وهي مسؤولية شكلت احد محركات الثورة المصرية. التي ظهرت آثارها قبل تنحي مبارك عبر تغيير لهجة الشارع العربي إزاء مصر والمصريين.

الاستراتيجيـــة العلاجيـــــة الوقائيـــــة من الثـــــورات

لا بد لهذه الاستراتيجية من أن تستند الى معرفة وثيقة بهيكلية الاضطراب السياسي وعلاقتها بالثغرات الهيكلية في النظام السياسي وكذلك علاقتها بإهتزاز هيبة النظام وتعرضه لوضعيات التنازل القسري والتهديد الخارجي وغيرها من عوامل المساس بهيبة النظام واظهار عجزه بما يفقده القدرة على طمأنة الداخل بتأمين حمايته وحماية البلد ومواطنيه. ونختصر خطوات الاستراتيجية المقترحة على الوجه التالي:

أ -تعقيدات سيكياترية :تتظاهر على الصعيد الجمعي عبر الانتشار الوبائي لظواهر غير مألوفة في المجتمعات المعنية كمثل ظواهر انتشار ادمان المخدرات والمسممات وظواهر السلوك الغرائزي الخارج على مألوف التحفظ الاجتماعي المعتاد وظاهرة الدعارة الحلال وغيرها.

ب -تعقيدات سيكوسوماتية :وتتظاهر بضغوط غير مألوفة على الخدمات الطبية مصحوبة بشكاوى امراضية غير اعتيادية وغير مصنفة في اطار المراجعات الطبية التقليدية.

ج -تعقيدات اجتماعية :تتظاهر بحالة التململ وعدم الرضى عن مستوى الرعاية والأمن الاجتماعيين. مصحوبة بكشف حساب قديم عن حالات الظلم الاجتماعي والفساد مع لامبالاة فردية تجاه المسؤوليات الفردية والاستعداد لإزاحة التهم عن مسبيبها الحقيقيين نحو السلطة باعتبارها اللاعب العاجز في مواجهة المسببين الحقيقيين.

بهذا ننهي حديثنا عن المواقف الاعتيادية والمفاجئة لضحايا الصـــدمة والتغييرات الاجتماعية الناجمة عن الصدمات المعنوية الجماعية التي تمس بالمجتمعات وبهيكليتها ونحن نتساءل عن مدى التزامنا بالقسم الأبقراطي وعن الضوابط الأخلاقية القابلة للتعميم والتي تحدد دور الطبيب النفسي في حل الصراع وفي التدخل في الحالات الكارثية.

ARABPSYNET PSYCHOLOGISTS SEARCH
ENGLISH EDITION - FRENCH EDITION – ARABIC EDITION
www.arabpsynet.com/Homepage/Psy-Gists.asp
Psychologists-CV
Search
Update Form CV
Send your Scientific CV via CV FORM
www.arabpsynet.com/cv/CV.htm

ARABPSYNET PSYCHIATRISTS SEARCH
ENGLISH EDITION - FRENCH EDITION – ARABIC EDITION
www.arabpsynet.com/Homepage/Psy-Ists.asp
Psychiatrists-CV
Search
Update Form CV
Send your Scientific CV via CV FORM
www.arabpsynet.com/cv/CV.htm

اضطـــراب فـــــي شخصيـــة "ليـــــــدي إنجلنـــــد" أم فـــــي المنـــــاخ الاجتماعـــــي

تفسيرنفسي-اجتماعي لأحداث تعذيب السجناء العرب في "أبوغريب"

أ.د. عبـــدالستـــــار إبراهيـــــم - علـــم النفـــــس - مصـــــر

drsattaribrahim@yahoo.com

مـــا الـــذي حـــــدث في سجـــن أبـــــو غريـــــب؟

من المرجح أن القارئ العربي اطلع أو شاهد ما تداولته دوائر الإعلام العالمية حول الانتهاكات التي أعلنت لأول مرة في أبريل 2004 عما وقع في سجن أبو غريب، الذي يقع على بعد عشرين كيلومترا غرب العاصمة العراقية، والذي كانت تديره القوات الأمريكية. ولا ألوم القارئ العربي لما يكون قد أصابه من حنق وإحساس بالامتهان والذعر مما شاهد وسمع، فقد تسببت صور الانتهاكات التي تمت بحق السجناء العراقيين في إثارة موجة من الاستياء والذعر لا فى العالم العربى فحسب بل في مناطق مختلفة من العالم. فقد ثبت من التقرير الذي أعده أنطونيو تاغوبا- الذي ترأس لجنة التحقيق التي أجراها الجيش حول الانتهاكات بحق سجناء أبو غريب- وجود أشرطة فيديو وصوراً لبعض السجناء والسجينات وهم عراة، وتم إجبار مجموعة منهم على القيام بممارسات فاضحة والتقاط صور لهم. وفي حالة أخرى، كشف التحقيق عن أدلة تثبت أن أحد حراس الشرطة العسكرية الأمريكية مارس "الجنس مع إحدى المعتقلات ". وتطرق التقرير العسكري إلى صورة أخرى من صور التجاوزات الفاضحة: كتابة عبارة "أنا مغتصب" على صدر أحد المعتقلين العاري بعد أن أجبر على عملية اغتصاب استجناسية لمعتقل آخر في الخامسة عشر من العمر. وذكرت CNN نقلا عن صحيفة "**الليبراسيون**" الفرنسية قول أحد السجناء في أبو غريب وهو يصف ما تعرض له "لقد أهانوني وكبلوني في هيئة يسمونها "العقرب" وظلوا يصبون الماء البارد علي من صباح ذلك اليوم إلى صباح اليوم التالي, بعدها سقطت على أسلاك شائكة فبدأوا يسحبونني برجلي ويركلونني على بطني".

وفى مقال نشرته مجلة "**لانسيت**" المعروفة بالتدقيق والرصانة العلمية، ذكر كاتب المقال البروفيسور ستيفين مايلز من جامعة مينوسوتا أن الإساءة للمساجين العراقيين تضمنت "الضرب والحرق والصعق بالكهرباء والتعليق من القدمين والتهديد بالخنق للمسجونين وذويهم والانتهاكات الجنسية والعزل والحرمان من النوم لمدة طويلة والتعريض للحرارة الشديدة والبرودة القارصة والضوضاء المزعجة".

والآن حدث ما حدث، وأغلق سجن أبو غريب وانتهت التحقيقات باعتذارات من هنا وهناك، واستنكار من هنا وهناك، يجيء في تقديري وقت التحليل الهادئ وإلقاء بعض الضوء على ما حدث: لماذا حدث ما حدث؟ ومن المسئول؟ وهل بالإمكان تجنب مثل هذه الممارسات وأمثالها؟ وهى أسئلة ضرورية يجب أن تثار وأن يجاب عنها علميا. فالتعدي على حقوق الآخرين وانتهاك حرية الأبرياء فعل لا يختلف عن أي فعل أو سلوك آخر، أي أن له قوانينه وأسبابه مما يعطينا الحق في البحث عن أسبابه ومن ثم سبل تجنبه مستقبلا أو تجنب الممارسات المشابهة له.

اضطـــراب فـــردى أم أن المنـــاخ شجـــع على ظهـــورالاضطـــراب؟

كما هو متوقع، انقسمت الآراء في تفسير الانتهاكات التي تمت في حق المساجين العرب في العراق. فالمدافعون عن حقوق الإنسان والهيئات العامة لحماية حقوق الأفراد بما فيها الهيئة الأمريكية للحقوق العامة رأت أن الانتهاكات التي قام بها الجنود الأميركيون بحق المحتجزين هي "نتيجة السياسات المطبقة على أعلى المستويات في الحكومة الأمير كية". وكشفت بعض المنظمات الدولية أنها حذرت المسئولين الأمريكيين، قبل ما يزيد على العام من الكشف عن انتهاكات "أبو غريب"، والتي جاء فيها أن سوء معاملة المعتقلين "ليست تصرفات فردية و لا يمكن ردها لمجرد بضعة تصرفات من أشخاص مضطربين."

لكن وزارة الدفاع الأميركية والبيت الأبيض نفتا نفيا قاطعا وجود أوامر بالتعذيب، ونسب "**رامسفلد**" وزير الدفاع الأمريكي هذه الانتهاكات وعزاها لاضطراب في شخصية بعض الحراس وانعكاس لشخصيات تتسم كما وصفها "بالسادية المفرطة، والوحشية وغير الإنسانية".

وبعد ذلك توالت بالفعل الصور التي أفرج عنها البنتاجون وجاءت وكأنها تشهد بصحة وجهة نظر "**رامسفلد**" بالتركيز على حفنة من الجنود من بينهم المجندة "**ليندي إينغلاند**" وزميلها الجندي "**تشارلس غرانر**"، من احتياطي الشرطة العسكرية بالجيش الأمريكي.

وكان من الطبيعي بعد ذلك أن وجه الجيش الأمريكي الاتهام مباشرة إلى المجندة ليندي إينغلاند وزميلها الجندي" تشارلس غرانر". واشتملت لائحة الاتهام أكثر من 14 تهمة من بينها إرغام المساجين على ارتكاب أفعال جنسية فاضحة ، وتصويرهم خلالها بدافع الإذلال، وغير ذلك من ممارسات عدوانية وصلت لحد القتل ."

و لم تنف "ليندي إينغلاند" ما فعلته من انتهاكات، ولكنها صرحت بأنها لم تفعل ما فعلت بدون أوامر من رؤسائها ودافعت عائلتها عن براءتها مشيرة إلى أنها كانت تتبع أوامر القيادات العليا فقط. ودافع محاموها أيضا عنها وذكروا أن المسئولية المباشرة تقع على **المناخ الاجتماعي العام الذي ساعد على زرع بذور التعصب والكراهية بين المجندين الأمريكيين في العراق**. وهو المناخ الذي روجت له السلطة العليا و ومن مثلوها رسميا في العراق وسجن أبو غريب. وطالب المحامون شهادة 100 شخص على الأقل من بينهم "رامسفيلد" وديك تشيني نائب الرئيس الأمريكي (وهو ما لم يحدث).

إنه إذن **مناخ العنف والتسلط الذي اجتذب له أسوأ أنماط البشر اتصافا بالسادية واضطراب الشخصية**. وموضوع العنف والتسلط على الآخرين من الموضوعات الأثيرة لدى علماء النفس والمجتمع، وقد احتل مكانة مرموقة من حيث البحث والتجريب خاصة في الفترة اللاحقة للحرب العالمية الثانية بحثا عن إجابة لعدد من الأسئلة التي أثارت حيرتهم آنذاك، من بينها مثلا: **لماذا تحول كثير من الناس العاديين والأسوياء في ألمانيا**

الهتلرية إلى أشخاص متعصبين، ولم يتورع بعضهم عن ارتكاب أكثر الفواحش- بما فيها الوشاية والعنف الذي كان يصل لدرجة القتل- ضد مواطنيهم ممن لا تربطهم بهم صلة حب أو كراهية؟ وإذا أعدنا صياغة هذه الأسئلة في ضوء الأحداث التي عاصرت انتهاكات سجن أبو غريب يظل هذا السؤال قائما: هل ما حدث في سجن أبو غريب يعتبر بكامله انعكاس لشخصيات مضطربة عقليا وسلوكيا (من أمثال ليندى إنجلند وغيرها)، أم انه استجابة وانصياع لضغوط السلطة العليا والجهاز الإداري المنفذ لأوامرها؟ هل ليندى إنجلاند فعلت ما فعلت لأنها مضطربة عقليا أم أنها- وكما دافعت عنها أمها- إنسانة بريئة أوقعتها الظروف لتقوم بما يجب أن يقوم به أي إنسان وطني (الخط من عند الكاتب) في موقعها؟ لقد أجابت بحوث بعض علماء النفس عن ذلك عندما أثبتت أن ما ينخرط فيه بعض الأشخاص من عنف و "سادية" وإيقاع الأذى بأشخاص أبرياء لا تربطنا بهم رابطة حب أو كراهية تكون جميعها نتيجة متوقعة كاستجابة لأوامر مباشرة أو مستترة أو إيحائية من الأجهزة العليا خاصة عند غياب المساءلة والردع. ألم يعلن الصليب الأحمر الدولي أنه قد حذر، وبعد وقت وجيز من الغزو الأمريكي للعراق، من وقوع انتهاكات بحق المعتقلين في العراق، في الوقت الذي أعلن مسئول الإدارة المدينة الأمريكية في العراق، "**بول بريمر**"، إلى أنه علم بالتجاوزات في يناير 2004 أي قبل الإعلان الرسمي عن هذه الانتهاكات بما يزيد عن 5 شهور. ونعلم أنه لم يفعل شيئا لإيقافها مما خلق الانطباع بأن كل شيء مباح.

مـــا لـــذي قالـــه البحـــث العلمـــي في حـــــالات مشابهـــــة؟

بعض الأضواء لفهم هذا السلوك تأتينا من أحد التجارب المرموقة في علم النفس. ففي عام 1971 أجرى مجموعة من علماء النفس من **جامعة ستانفورد** الأمريكية تجربة صدمت الرأي العام وصدمت نتائجها الباحثين أنفسهم لدرجة أن رئيس الفريق- وهو العالم النفسي "**زيمباردو**" الذي كان لفترة قريبة رئيسا لجمعية علم النفس الأمريكية- أوقف التجربة قبل أن تكتمل شفقة على المشاركين فيها. أجريت هذه التجربة في الدور الأرضي من قسم علم النفس. وملخصها أنه تم تقسيم مجموعة من 24 طالب وطالبة عشوائيا إلى مجموعتين: حراس وسجناء لمدة أسبوعين. وفي خلال أيام قليلة لم تجاوز الأسبوع تغيرت شخصيات الطلاب الذين قاموا بدور السجانين، إذ اتسم سلوكهم **بالعنف والسادية** لدرجة أنهم ابتكروا أساليب من تعذيب زملائهم المساجين لم تكن من ضمن شروط التجربة بما في ذلك الضرب ووضع أكياس بلاستكية على رءوس زملائهم المساجين لمنعهم من التنفس بحرية، فضلا عن إرغامهم على نزع ملابسهم وتعريتهم وإرغامهم على أداء أفعال جنسية فاضحة.

ولتجربة **جماعة** "**ستانفورد**" متضمنات ونتائج تساهم في تفسير كثير من التغيرات المفاجئة وغير السارة التي تطرأ على السلوك الإنساني نتيجة للمناخ الاجتماعي ومن يملكون مفاتيح التحكم فيه. لقد كشفت هذه التجربة عن أن **المسافة بين الإنسان** "**العادي**" و"**التوحش**" **مسافة أضيق وأقصر مما نتصور**. ففي فترة وجيزة انقلب طلاب جامعة "ستانفورد" العريقة من بشر عاديين وأسوياء إلى أفراد اتسم سلوكهم بالعنف والتسلط لمجرد شعورهم بأنهم يؤدون دورا في تجربة علمية. وقد أيدت بحوث إضافية لتجربة "ستانفورد" نفس النتيجة: أن **الشخص قد ينقلب في فترة وجيزة من إنسان عادى إلى مجرم نتيجة للمناخ السائد الذي يحدد للفرد أسلوب أدائه للدور الاجتماعي كما ترسمه توقعات الآخرين منه خاصة إن جاءت هذه التوقعات في شكل أوامر فعلية أو مستترة ممن هم في مراكز أعلى.**

وهذه التجربة وما أجرى بعدها من تجارب مماثلة تفسر لنا أيضا بعض ما حدث في سجن أبو غريب، وتبصرنا على الأقل بالعوامل والمواقف الاجتماعية الضاغطة التي سمحت لأمثال "**ليندا إنجلند**" من ممارسة هذا الدور السادي القبيح. " **ليندى إنجلند** " نفسها ا ذكرت في التحقيق أنها تلقت أوامرها من مشرفيها في الوظائف العسكرية العليا وأنها شعرت بأن الأوامر بدت "**غريبـــــة**" عليها خاصة عندما طلب منها أحد الضباط المباشرين أن تقف أمام أحد المساجين العراة وتبتسم وتشير بأصابعها في اتجاه أعضائهم الجنسية في الصورة المعروفة التي نشرتها أجهزة الإعلام والتى ربما اتيح للقارئ الإطلاع عليها في مكان ما. لم ترفض ولم تستنكر ما فعلت لأنها فيما ذكرت لم تكن مسئولة على ما حدث، ونسبت مسئوليته إلى السلطة العليا عليها وأنها لم تكن تؤدى أكثر من واجبها كمجندة "مخلصة" لعملها في الجيش الأمريكي.

ماذا لو كان القارئ في مكان "ليندا إنجلند"؟ أو ماذا لو أنني سألتك شخصيا هل تستطيع أن توقع بشخص غريب عنك وبرئ ولا تربطك به علاقة مسبقة من الحب أو الكراهية- وبأمر من سلطة أعلى منك- آلاما مبرحة قد تصل للقتل؟ هل ترفض أم أنك تطيع الأوامر العليا؟. من المرجح أن إجابتك على هذا السؤال ستكون بالنفي القاطع. أو هكذا على الأقل كان يجيبنا أكثر من 90% من طلابي عندما كنت أوجه لهم هذا السؤال في قاعات الدرس سواء في الجامعات الأمريكية أو العربية التي عملت بها وعندما كنت أحاضر فيهم عن تأثير المواقف الاجتماعية على سلوك الفرد.

تأمـــــل قبل أن تجب على الأسئلة السابقة بالنفي أو التأييد نتائج **تجربة علمية أخرى** أجريت **بجامعة "ييل"** Yale University الأمريكية. البناء العام لهذه التجربة كان بسيطا إذ تكون الأشخاص الرئيسيون في التجربة من المجرب وشخصين آخرين من المتطوعين لهذه الدراسة، يسند لأحدهما القيام بدور المدرب- المدرس، وللآخر دور المتعلم أو التلميذ ثم يفصل الفردان بعد هذا، فيوضع التلميذ (أو لنسمه الضحية) في حجرة منفصلة، ويطلب منه الجلوس على مقعد بحزامين يوثقان بالذراعين لمنع الحركة. كذلك يحتوى المقعد على قطبين كهر بائيين يحيطا بالمعصمين. يوضح المجرب- أو مساعده- للتلميذ أن المطلوب منه هو أن يتعلم مجموعة من الكلمات البسيطة التي ستلقى عليه من الشخص الآخر القائم بدور المدرب، وأن يحاول أن يتذكرها، وأنه عندما يخطئ أو يفشل في إحداها سيتلقى صدمة كهربائية من خلال القطبين المحيطين بمعصميه، وأن هذه الصدمة ستتفاوت في شـــدتها فتكون في البداية خفيفـــة، وتتزايد تدريجيا كلما فشل الشخص في التذكر.

على أن هدف التجربة الحقيقي لم يكن الهدف المعلن وهو قدرة التلميذ على التذكر والتعلم.إن الهدف الرئيسي هو تحديد مدى انزلاق إنسان عادى (هو المدرب) في إيقاع ألم أو أذى بشخص برئ (التلميذ أو المتلقي) بتأثير من أوامر المجرب (لا حظ أنها سلطة مجرب و في مكان علمي يسهل رفضها وليست أوامر في معسكر للجيش أو الشرطة). وعند أي نقطة من نقاط إيقاع الألم يرفض الإنسان في الخضوع والطاعة للسلطة.

أما القائم بدور المدرب-المدرس كان يوجه إلى الجلوس على مقعد وأمامه مولد كهربائي هائل الحجم: يحتوى على ثلاثين مولداً كهربائي تتراوح شدة هذه المولدات من 15 فولت " صدمة خفيفة " إلى 450 فولتاً "تيـــار صاعق". و يبين المجرب له أن من المطلوب منه أن يوجـــه صدمة كهر بائية متفاوتة الشـــدة في كل مرة يفشل فيهـــا المتعلم-التلميذ في التذكر. وعندما كان القائم بدور المدرب أو المعلم يبدى استغرابه وتردده في ممارسة ذلك الدور، كان المجرب- أي "ميلجرام" أو من يحل محله- يجيب بعبارة قاطعـــة صارمة ومختصرة أن عليه أن يستمر ولا اختيار له في ذلك وأنه، أي "ميلجرام" يتحمل كل المسئولية. لهذا لم يكن

أمام القائم بدور المدرب إلا الخضوع لسلطة المجرب والاستمرار في توجيه الصدمات، أو الانسحاب الكامل من التجربة بكل بساطة.

وبالرغـــم من ألم الصدمات الكهربائية التى يفترض أنها كانت تقع على الضحية أي التلميذ (الذي كان في الواقع يمثل هذا الدور بالاتفاق مع المجرب)، فإن الألم النفسي و وقع على القائم بدور المدرب–المعلم الذي لم يكن على علم بالأهداف الحقيقية للتجربة ولم يكن يعلم أن الصدمات العالية تحجب بطريقة ما من الوصول للتلميذ. اي أنه كان متيقنا من أن ممارساته تصل بكل شدتها للتلميذ حتى 450 فولت.

نتائـــــــج غيـــــر متوقعـــــــة

سجل العلماء والصحفيون الذين شاهدوا هذه التجارب في معمل جامعة ييل أن الموقف التجريبي كما يظهر لدى القائم بدور المدرب (وهو الموضوع الحقيقي للدراسة) لم يكن مصطنعا ولم تكن المسألة بالنسبة له لعبة تجريبية في معمل لعلم النفس. فقد عانى فعليا من الصراع النفسي المؤلم: الصراع بين الرغبة في إطاعة الأوامر، والرغبة في الاستجابة لدعاء الضمير. كان الصراع صراعا فعليا وقاسيا على البعض منهم، ومع ذلك أوضحت هذه التجربة التي أجريت على ما يقرب من ألف شخص قاموا بأداء دور المدرب أو المدربة أن أغلبهم (أي 65% منهم) خضعوا لأوامر التجربة بغض النظر عن نزيف الألم الذي يحيق بالضحية، وبغض النظر عن شدة " الفلتات " الكهربائية أو توسلات الضحية بأن يسمح له بإنهاء التجربة والخروج من حجرته.

وقد تأكدت هذه النتيجة مرات ومرات عندما أجريت من قبل باحثين مختلفين وفى جامعات مختلفة وتوصلوا جميعا لنفس النتائج وهى أن ما يقرب من ثلثي أفراد العينة المتطوعة للقيام بدور المدرب استمروا حتى نهاية التجربة في توجيه الصدمات الكهربائية حتى نهايتها.

ولم تتأثر استجابات أفراد العينة بالمركز الاجتماعي والمهنة، أي أنهم استجابوا لأوامر التجربة بغض النظر عن وضعهم المهني وكان من بينهم مديرون ومهنيون، وعمال، ومدرسون، وأغنياء وفقراء وطلاب وأساتذة جامعيون و رجال دين.

ولم تختلف النسوة عن الذكور فقد كشفت دراسات لاحقة نفس النتيجة وهى أن 65% من النسوة أبدين طاعتهـــن للسلطة حتى آخر المطاف. إلا أن نسبة الصراع النفسي بين النسوة كانت أكبر منها بين الرجال، فقد انخرطت نسبة كبيرة منهن في نوبات هستيرية من البكاء والصياح والتشنجات الانفعالية، بينما أصابعهـــن كانت تضغط بغيظ على مفاتيح توجيه الصدمات. مما ينفى أن يكون الخضوع لأوامر السلطة ظاهرة تختص بالذكور بسبب ميولهم العدوانية. وربما لهذا لم يكن سلوك ليندا انجلند مختلفا عن زملائها من الجند، ولكنه كان صادما للرأي العام لأنها لم تبدى أى أسى، بل على العكس لم تتخلى عن ابتسامات الاستهانة بمشاعر المساجين وآلامهم .

وقد يقال أن شخصية الضحية يكون لها بعض التأثير على المدرب. إلا أن التجربة بينت أن النسبة المئوية للطاعة استمرت كما هي حتى عندما كان المجرب يغير من شخصية الضحية أو التلميذ، فيسند دوره مرة لشخص وديع ومســـالم، ومرة لشخص عدائي مفتول العضلات، وصارم التعبيرات.

شرطـــــــان للإمعـــــــان فـــــــي الانتهاكـــــــــات

وقد زادت نسبة الانصياع لأوامر المجرب وقفزت إلى 95% عندما كان يسمح للشخص القائم بدور المدرب أن يشاهد قبل قيامة بالدور شخصاً آخر يقوم بنفس الدور ويستمر فيه حتى نهايته. وهذه نتيجة أخرى تثبت أن طاعة أوامر السلطة والانقياد نحو العنف والقسوة تتزايد على نحو وبائي نتيجة للمحاكاة ومشاهدة انغماس الآخرين في أداء سلوك عدواني علي الآخرين. وربما لهذا لم يكن من المستغرب أن نجد أن الصور التي التقطت في سجن أبوغريب خلال عمليات التعذيب أظهرت أن هذه العمليات كانت تجرى على مشهد من الجند الآخرين مما أعطاها صفة القبول والرضا.

وزادت أيضا نسبة الخضوع لأوامر المجرب مع الإمعان في القسوة والاستخفاف بآلام الضحية لدى بعض الأنماط الشخصية دون الأنماط الأخرى. أي أن جزءاً من سرعة استجابة البعض وسهولة انزلاقهم في تنفيذ أوامر التعذيب والانخراط في المبالغة و التلذذ في إيقاع الأذى ارتبط بالفروق الفردية في الشخصية. فقد أظهرت المقارنات بين الأفراد الذين استجابوا للأوامر حتى أخرها بالأشخاص الذين رفضوا الاستمرار في التجربة أن أفراد النمط التسلطي من الشخصية كانوا أكثر استجابة لتنفيذ أوامر المجرب مقارنة بغيرهم. (للمزيد عن الخصائص النفسية التي تميز الشخصية التسلطية أنصح القارئ بالرجوع لمجموعة الدراسات التي أجراها الكاتب الحالي في المجتمع المصري في كتابنا: الاتجاه التسلطي في الشخصية والمجتمع والسياسة، القاهرة: المركز العربي للترجمة والنشر). وهناك أكثر من سبب يجعل "الشخص التسلطي" أكثر استجابة للطاعة من بينها أن التسلطي يرتاح للتعامل بخضوع لمن يملك القوة والهيمنة ويحبذ فرض الطاعة، ويتسم بدرجة عالية من العداء نحو المختلفين عنه في التفكير والسلوك. فضلا عن هذا فإن النمط التسلطي يكون عادة سريع الاستجابة للطاعة والانزلاق في سلوكيات الامتهان، خاصة إذا كان المناخ الاجتماعي المحيط به ترسمه توقعات السلطة العليا التى تتسم بدورها بدرجة عالية من التسلط وضيق الأفق والتعصب نحو المختلفين عنا إيديولوجيا. وهي نتيجة منطقية مقبولة خاصة إذا نظرنا لها في ضوء الأحداث التي عاصرت ما تم بسجن أبو غريب والتى منها:

- مناخ ما بعد 11 سبتمبر والهجوم على نيويورك.
- شيوع مفاهيم "صراع الحضارات" التي روج لها بعض الكتاب الأمريكيين من أمثال وولفويتز، وريتشارد بيرل.
- مفهوم "الحرب الوقائية" التى أقحمت أمريكا فى حرب شبه عالمية.
- إشاعة الخوف والفزع مما أطلق عليه الإرهاب العربي الإسلامي.

فى ظل هذه الأحداث والمفاهيم كان من السهل على نوعيات "ليندي إنجلند" زملائها أن يستجيبوا بحماس وتعصب ورغبة في الانتقام ومن ثم التورط المؤسف في الانتهاكات التي أشرنا لها من قبل.

عناصـــــــر مـــــن الأمـــــــل:

خطورة ما حدث في سجن أبو غريب لا تكمن في تصوري في مجموعة الممارسات المقززة والمزعجة التي ارتكبت في حق بعض الأبرياء بقدر ما تكمن في "الشيـــــوع الوبائـــــي" لهذا السلوك في حياتنا الاجتماعية والنفسية. فأحداث أبو غريب تعبر ببساطة عن ممارسة العنف استنادا على الطاعة العمياء لسلطة أو قوة عليا تنشد القهر والسيطرة أو على الأقل توحي بذلك أو تسمح به بدون ردع ملائم. وأحداث التعذيب في "أبوغريب" بهذا المعنى لا تزيد بلغة الطب النفسي عن كونها "أعراض" لمشكلة أساسية تقف وراء قائمة ضخمة من المشكلات الاجتماعية والنفسية المناظرة. أما عن نظائر هذه الممارسات

في واقعنا العربي المعاصر فهي والحمد الله واسعة و تمتد لتشمل قائمة مسهبة من المشكلات الاجتماعية والنفسية التي لا يتسع المقام لذكرها ولكن نذكر منها على سبيل المثال: التعصـــــــب بكل أنواعه، والتشجيع على العدوان المباشر على حريات الآخرين وممتلكاتهم أو غير المباشر بالوشاية و تشويه السمعة، والعنف الأسري في التعامل مع الأطفال والزوجات، والمصادر الإعلامية سواء عما تصمت عليه من ممارسات خاطئة أو بما تشنه من حملات متعسفة ضد بعض الأفراد أو بعض الطوائف دون تحقق، والممارسات البوليسية في حق المواطنين..الخ. ولهذا السبب تصبح الكتابة عن هذه القضية واجبة على المستوى القومي فوق أي اعتبار آخر. وبالطبع يقتضى ذلك طرح سؤال تفرضه البداهة العلمية بعد طرحنا للأسباب أو العوامل التي تضافرت فيما بينها في إحداث ظاهرة "أبوغريب" سؤالنا البديهي هو: هل بإمكاننا ضبط هذا السلوك و إلى أي مدى يمكننا الحد من أخطار هذا النوع من الانحرافات التي تهدد أخطارها بشكل مباشر وحاد مسيرة المجتمع وكيانه؟

وكي أكون إيجابيا أريد أن أؤكد أنه يمكن بالفعل إحداث تغيرات جوهرية تساعد على الإقلال من هذا السلوك من بينها: الردع، والرقابة، و تحمل المسئولية، وخلق نماذج قيادية، وتربية الحس الخلقي. فمثلا بينت دراسات ميلجرام السابقة أن نسبة التحمس للخضـــوع والطاعـــة تضاءلت بشـــكل ملحوظ في حالة التضارب بين سلطتين أي عندما كان يتولى دور المجرب شخصان أحد هما يأمر بتوجيه العقاب، والآخر يراقب ويعارض ذلك. مما يدل على أن وجود سلطتين إحداهما تنفذ والأخرى تراقب يخفف من تعسف السلطة أو على الأقل يحجم من سلبياتها ويشجع على مواجهتها بالرفض. وهى نتيجة تضاف لصالح الممارسات الديمقراطية التي تشجع على تعدد السلطات وتقوية أجهزة الرقابة والمتابعة للممارسات التي تحدث في داخل المجتمع.

وتتزايد قدرة الفرد على الرفض عندما يسمح له أن يشاهد أشخاصاً آخرين يقومون بنفس السلوك، أي بالاحتجاج والاستنكار أو رفض الاستمرار في أداء دور التعذيب مما يشير إلى أن مواجهة الممارسات الخاطئة وتحديها يتزايدا في ظل وجود قدوة أو أشخاص آخرين يمارسون استقلالهم وتحديهم للممارسات المجحفة بحق الآخرين.

ولـــ"تحمل المسئولية" على ما يرتكب الفرد من أخطاء أو جرائم دور كبير في التقليل من الممارسات الخاطئة، فقد قلت نسبة الانصياع لأوامر السلطة وزادت مقاومتهم للاستمرار في توجيه الصدمات المطلوبة من التجربة عندما كان المجرب يرفض أن يتحمل كامل المسئولية عما قد يحدث للضحية. وهى نتيجة تدعو لتنبه الأجهزة الإدارية والتعليمية (خاصة في كليات الطب والشرطة، و أجهزة الإعلام) إذا ما كانت هناك محاولة جادة لتنفيذ برنامج وقائي لمقاومة الممارسات الخاطئة في الدولة– أي دولة– في حق مواطنيها.

تبقى نتيجة أخري تدعو للتفاؤل، إذ يجب أن نتذكر أن نسبة من خضعوا واستجابوا لأوامر المجرب بلغت 65% وهذا يعنى أن 35% من الأشخاص أو ثلث العينة رفض الاستمرار في التجربة حتى نهايتها، واستنكرها، وبعض الأشخاص لم يكتف ببساطة بالاعتذار بل عبر عن احتجاجه مكتوبا لإدارة جامعة "ييل" على ما يحدث من انتهاك لحقوق بعض الأفراد في هذه التجارب السيكولوجية. وحتى الـــ 65% من الأشخاص الذين قبلوا أوامر السلطة لم يقبلوا بها جميعا بنفس الاقتناع وبنفس السرعة والمبالغة. وهذا يذكرنا بالمجند الأمريكي الذي تولى بشجاعة تصوير ما حدث في سجن أبو غريب، فلولاه لما استطاع الرأي العام أن يدرك ما حدث في "أبو غريب" من انتهاكات. إن قدرة هذا الشاب على مواجهة ضغوط زملائه، وإصراره على أن يصور خلسة كل ما حدث، وأن يعمل بعد ذلك على إتاحة الأشرطة لأجهزة الإعلام و السلطات العسكرية العليا ساعد دون شك على إيقاف الانتهاكات، وغلق السجن فيما بعد. وما قام به هذا الشاب يدعو بحق للتفاؤل بان فردا واحدا لم يرضخ لضغط زملائه ولم يشاركهم فيما كان يحدث من تعذيب، إنه أيضا رفض حتى الالتزام بالصمت فكانت له القدرة على تحقيق التغيير وفضح مآسي سجن "أبو غريب". وفى تقديري أن ما قام به ذلك الشاب يجعل من أحداث سجن "أبو غريب" وكأنها تجربة نفسية محكمة صاغتها أمامنا الطبيعة البشرية بكل تلقائيتها وزخمها لتثبت لنا أن الخير ممكن التحقيق، وأن بيد فرد واحد فقط أن يحقق كثيرا من التغييرات الإيجابية أقلها أنه وجه الأذهان إلى ما يحدث من حولنا من أخطار وقبح.

ARABPSYNET PSYCHOLOGISTS SEARCH
ENGLISH EDITION - FRENCH EDITION – ARABIC EDITION
www.arabpsynet.com/Homepage/Psy-Gists.asp
Psychologists-CV
Search
Update Form CV
Send your Scientific CV via CV FORM
www.arabpsynet.com/cv/CV.htm

ARABPSYNET PSYCHIATRISTS SEARCH
ENGLISH EDITION - FRENCH EDITION – ARABIC EDITION
www.arabpsynet.com/Homepage/Psy-Ists.asp
Psychiatrists-CV
Search
Update Form CV
Send your Scientific CV via CV FORM
www.arabpsynet.com/cv/CV.htm

قـــراءة فـــي رؤيـــة التحليـــل النفـــسي والجنـــسي لأسطـــــورة التوريـــث المنهـــارة فـــي مصـــر

جمـال وعـــزّ وســـوزان.. العمـــــلاق الكفيـــف والقـــزم الكسيـــم والأم الطماعـــة

حـــوار مـــع د. خليـــــــل فاضـــــــــل
محمد البـاز / صحيفة الفجر- الأربعاء، 16 مارس 2011

kmfadel@gmail.com - www.drfadel.net

"جلس جمال مبارك بين عدد من العاملين في مقر إقامة والده في شرم الشيخ ليؤدي صلاة الجمعة، كان شاردًا طوال الوقت وهو يسمع إلى الخطبة، التي حرص ملقيها أن يتحدث عن الصبر على البلاء، فلا يوجد ما هو أكبر ولا أعظم ولا أعمق من البلاء الذي وقع على رأس جمال وأبيه".

كانت هذه صورة حاول البعض أن يرسمها الأسبوع الماضي عن جمال مبارك، الذي قيل إنه لا يزال في شرم الشيخ، وقد أطلق لحيته وأصبح شاردًا طوال الوقت، لا يتحدث كثيرًا، ويؤكد من شاهدوه عن قرب أن بدأ يكلم نفسه، ويتحدث إلى آخرين يتخيل أنهم موجودون إلى جواره في حجرته أو في المكان الذي يجلس فيه.

لقد اهتم خبراء التحليل النفسي برصد حالة جمال مبارك بعد أن تنحى والده، وسقط هو من على ظهر حصان التوريث، كان كل ما قيل كلامًا معادًا ومكررًا، فمن يقول إن جمال تسيطر عليه خيبة الأمل والندم، ومن يقول إنه صاحب شخصية جافة ولن يندم أو يشعر بالخزي لإهانة أبيه بسبب طموحه الجارف التي لم تكن له أي علامة لا في تاريخه ولا في جغرافيته.

ما كان يشغلني هو البحث عن لحظة خاصة جدًا في حياة جمال مبارك، هذا الشاب الذي ألقوا به في البحر دون أن يعلموه العوم، لقد كان قاب قوسين أو أدنى من أن يصبح حاكمًا لأكبر دولة في الشرق الأوسط، دولة لها ثقلها وقوتها، وفجأة لا يجد نفسه محرومًا ممن تمنى ولكن يجد عائلته قبله مطاردين ومشردين ومهددين بالمحاكمة التي يمكن أن تقودهم إلى السجن.

إن جمال مبارك يعيش صدمة هائلة، لسبب بسيط أنه كان يصدق نفسه بالفعل، ويصدق من كانوا يدفعون به إلى الأمام، رغم أنهم لم يقفوا خلفه إلا من أجل إرضاء أبيه، فلم يكن جمال بالسياسي العبقري ولا الخبير الاقتصادي الذي يمكن أن ينقذ مصر من ورطتها، لكن من أرادوا أن يستفيدوا من ورائه تعمدوا أن يعلنوا ذلك ويؤكدوا عليه، ولم يكن من الممكين إلا أن صدقهم، وسار وراءهم.

لقد وقعت عيني على مجموعة من الصور للرئيس مبارك وهو في سنوات حكمه الأولى، كانت صورًا تسجل زيارات له لبعض المصانع والشركات والمؤسسات، ثم وهو يؤدي الصلاة في مساجد مختلفة وفي مناسبات دينية عديدة، كان اللافت للانتباه أن جمال الذي كان فتى صغيرًا، كان يقف وراء أبيه في كل الصور، تخيَّلـــــت أن مبارك نفسه كان يجهز جمال منذ صغره ليخلفه، فهو معه دائمًا، لكنني عدت لأقدر أن وجود الشاب الصغير مع أبيه لم يكن ليعني أي شيء، خاصة أن الرئيس لم يكن قد تجاوز السنوات الخمس الأولى من تاريخ حكمه، الذي امتد ثلاثين عامًا، جرى فيها ما جرى.

جمال مبارك تخرج في الجامعة الأميركية قسم إدارة الأعمال في عام 1984، وبعد عامين فقط حصل على ماجستير في نفس التخصص، كان يمكن له أن يتفرغ للعمل السياسي وقتها، لكنه لم يكن يميل إليه، ولذلك اختار طريق البيزنس، سافر إلى لندن وهناك عمل في بنك أوف أميركا، ثم أسس شركة ميدانفست، وظل هناك حتى عام 1994، أي أنه ظل خارج مصر ثماني سنوات كاملة.

بعد عودته تعامل الجميع مع جمال مبارك على أنه رجل أعمال، لكن كان لا بد من البحث له عن عمل، وجاء الاقتراح من داخل البيت الرئاسي، فجمال متخصص في الاقتصاد وله خبرة عملية حصل عليها من عمله في لندن، فليس غريبًا أن يتم تعيينه مستشارًا اقتصاديًّا للرئيس، وهو العمل الذي لم يعلن عنه أبدًا، لكن جمال تمكن من خلال هذا المنصب أن يدلي برأيه في كل المشروعات الاقتصادية التي كانت تعرض على الرئيس.

لم يطل بقاء جمال في منصب المستشار، كانت هناك حركة خفية تعده لدور أكبر، وتم طرح جمال لأول مرة في اجتماعات الحزب الوطني في عام 2000 من خلال الدكتور حسين كامل بهاء الدين، الذي كان وقتها أحد قيادات الحزب الكبار.

حسين كامل قال وقتها إنه يعرف الشاب جمال مبارك جيدًا، وأنه على ثقة بأن هذا الشاب يمكن أن يحدث نقلة كبيرة في الحزب لو أصبح فاعلا فيه، لم يكن كلام حسين كامل بهاء الدين مجرد رأي عابر، ولكنه كان بوابة دخل منها جمال إلى دوره في الحزب، وهو الدور الذي انتهى بأحمد عز لأن يقول في مؤتمر الحزب الأخير في العام الماضي، بأن جمال هو مفجر ثورة التحديث في الحزب، وهو ما استقبله جمال بابتسامة عريضة تؤكد أنه يصدق بالفعل كل ما يقال عنه، ولم يحاول أن يفكر ولو للحظة واحدة في أن يلعب دورًا ليس دوره، وأن من حوله يحملونه على أكتافهم من أجل أن يحقق لهم أهدافهم، لا أكثر ولا أقل.

دخول جمال مبارك إلى الحزب الوطني من خلال حسين كامل بهاء الدين تحديدا، يعني أن الأمر حصل بمباركة سوزان مبارك، فعلاقتها بكامل كانت جيدة جدا، بل كان الرجل أحد رجالها في الحكومة، كانت تقف وراءه وتدعمه وتدافع عنه، ووقفت أكثر من مرة أمام محاولات إخراجه من الحكومة.

هذا الواقع وضعته أمام ما قاله الدكتور خليل فاضل أحد الكبار في التحليل النفسي في مصر الآن، كنت أسأل الدكتور خليل عن تصوره عن حالة جمال الذي ضاعت أحلامه كلها مرة واحدة من خلال 18 كلمة فقط أعلن من خلالها السيد عمر سليمان أن "الرئيس مبارك تنحى عن منصبه في الرئاسة وكلف المجلس الأعلى للقوات المسلحة بتيسير أمور البلاد".

لكن خليل فاضل أخذني إلى مساحة مختلفة تمامًا، وضعني في قلب التحليل النفسي لمخطط التوريث الذي رعته سوزان مبارك وكان يقوم على تنفيذه أحمد عز صديق جمال الذي كان ينتظر فقط أن يقطف الثمار دون أن يفعل أي شيء لا سلبي ولا إيجابي.

يقول فاضـــــل: يمكن أن أشخص حالة جمال مبارك النفسية على أنه مصاب بـــ"اضطراب الشخصية النرجسية السرطاني"، وذلك تحديدًا لعلاقته الملتبسة بأمه.

إن جمال في أدبيات التحليل النفسي يمكن توصيفه على أنه ابن أمه، وهو هنا الابن الذي تعشقه أمه، إلى الدرجة التي تتزوجه نفسيًّا، وتكون بينهما رابطة وجدانية فيها جاه ومصلحة.

ثم إن السيدة في مجتمعاتنا الشرقية الذكورية – الكلام لا يزال لخليل فاضل – تشعر أنها أقل من الرجل، فهو يمتلك ما لا تمتلكه نفسيًّا وجسديًّا، ولذلك فليس بعيدًا أن السيدة سوزان كانت تغار من زوجها خاصة بعد أن صعدا معًا إلى منطقة السلطة، ولذلك فقد اهتمت بولديها جدًّا، فالرجل الحاكم الذكر بالنسبة لها لم يعد أفضل منها، فلديها بدل الذكر الواحد ذكران.

وحتى تكمل سوزان سيطرتها فقد أرادت أن يكون أحد ولديها رئيسًا، يرى فاضل أن الأكبر خاب بالنسبة لها حيث اهتم بالبيزنس، أما الأصغر وهو جمال فقد وجدت فيه ضالتها، عثرت فيه على الامتداد الذي يمكن أن تحقق من خلاله سلطانها الذي لا تستطيع أن تحققه كاملاً في وجود زوجها على رأس الدولة، إنها في الواقع زوجة رئيس جمهورية لها نفوذ وقوة، لكنها في النهاية مجرد زوجة لا تحكم بنفسها، ولذلك فقد قادها تكوينها النفسي إلى أن ترغب في الحكم بنفسها من خلال الابن الذي ولدته من رحمها.

يضع خليل فاضل يده أكثر على النقطة الأعمق في نرجسية جمال مبارك، يقول: كان هناك حبل سري نرجسي بين الأم والابن، لقد نقلت سوزان حبها للسلطة للابن فتوحش وتضخم، لتتضخم معه الأنا العليا وتتوحش، ليصبح الابن مزيجًا من شره الأم للسلطة ورغبة الأب في البقاء على الكرسي للأبد، ومن هذا المزيج وجدنا أمامنا رجلا يمكن أن يضحي بأي شيء وكل شيء من أجل السلطة، التي صورتها لها أمه خلال أحاديث الصالونات الممتدة وجلسات القصر التي كانت تحت حماية دائمة.

يرى خليل فاضل أن ثورة 25 يناير نجحت نجاحًا مدهشًا، وربما أن من شاركوا فيها بالفعل لم يتوقعوا أن يصلوا إلى ما وصلوا إليه.

وهنا ينتقل فاضل إلى الضلع الثالث في عملية التوريث وهو المهندس أحمد عز، يقول عنه: اعتمد جمال مبارك في تنفيذ مخططه للوصول إلى السلطة على صديقه المقرب إليه وهو عز، والرجل يمكن التعامل معه على أنه قزم طبيعي (فهو قصير جدًّا كان يحتاج إلى أن يضعوا له ما يرفعه عن الأرض ليصل إلى المنصة التي يتحدث منها) وقزم نفسي.

كان طبيعيًّا أن يعتمد جمال مبارك على شخص قزمي التكوين نفسيًّا وعضويًّا، لأنه شخصيًّا لا يستطيع أن يعمل أو يتحد مع شخص قوي، فالشخص القوي يمثل خطرًا على الأنا النرجسية التي يمتلكها جمال مبارك، وحتى لو قاده قدره إلى أن يتحد مع شخص نرجسي، فلابد أن يكون شخصًا نرجسيًّا جبان جدًا ومخادعً أيضًا.

قلت للدكتور فاضل: وهل كان أحمد عز جبانًا؟

قال: لم يظهر أحمد عز جبانًا وهو في قوته وبين رجاله فقد كان يحيط نفسه بالقوة المدفوعة، لكن شخصيته الجبانة بدت وبشكل كبير في لقائه مع راندا أبو العزم مراسلة قناة العربية في القاهرة، فعندما ظهر معها ليدافع عن نفسه كان قد وصل إلى أعلى وأخطر وأعمق مراحل الجبن، وهو الجبن عكسته نظرات عينيه وكذلك حركات جسده التي عبر بها عن حالته النفسية، وكذلك جلسته على الكرسي الذي كاد أن يلتصق به وهو يتحدث.

يوصِّف خليل فاضل العلاقة بين جمال مبارك وأحمد عز بأنها علاقة بين "**عملاق أعمى**" هو هنا جمال مبارك، وهو أعمى لأنه بالفعل لا يعرف مصر ولا شعبها، ولا يستطيع أن يتصرف من تلقاء نفسه، ولذلك فلا بد أن يبحث عمن يعرف أو على الأقل من يدعي له أنه يعرف، وكان هذا الذي يدعي هنا هو أحمد عز الذي بدا "**قزمًا كسيحًا**"، يحتاج إلى عملاق يحمله على كتفيه.

وهو ما حدث بالفعل، فقد حمل جمال مبارك أحمد عز على كتفيه، وسلمه قياده، وطلب منه أن يدله على الطريق، وسار خلفه طوال الوقت، لكن في النهاية كان الدليل مخطئًا، فالعلاقة بين "القزم" و"العملاق" شوهت بالفعل الهدف الذي سعت الشخصية النرجسية إليه فكان لا بد من السقوط العام والكامل والشامل.

إننا أمام تفسير نفسي لما جرى، يقدمه على خلفية علمية رصينة الدكتور خليل فاضل، وهو ما يتسق بالفعل مع كواليس ما جرى سياسيًّا خلال السنوات الأخيرة في مصر، ومع ما كان يتسرب من خلف أبواب قصور الرئاسة، لقد كان هناك إصرار من سوزان مبارك على أن يصل جمال إلى كرسي الحكم، كانت تعرف أنها وبمجرد أن يموت زوجها ستصبح سيدة أولى سابقة، ولأننا لم نكن نعرف كم الفساد الذي تسبح عليه العائلة، فإن إصرار سوزان على الاستمرار يصبح مبررًا، ومفهومًا، فالابن وعندما يصل إلى كرسي الحكم، لن يحافظ للعائلة على نفوذها فقط، ولكنه سيحمي والده من أن ينبش قبره أحد، ثم وهذا هو المهم فإنه سيحمي الثورة التي اغتصبتها العائلة طوال ثلاثين عامًا قضاها مبارك في الحكم.

لقد مارست سوزان مبارك وحدها جهودًا هائلة لتحقق حلمها بأن يصبح جمال رئيسًا، وهناك من يرى أن مبارك كان رافضًا تمامًا أن يكون جمال خلفًا له، ليس لأنه رئيس ديمقراطي ويقتنع بأن المصريين يجب أن يختاروا رئيسهم، ولكن لأنه كان يعرف أن طفله الصغير لن يكون قادرًا أبدًا على أن يحكم بلدًا مثل مصر، لقد قال لأحد المقربين منه: لن ألقي بولدي إلى الجحيم، لكن السيدة الأولى كان لديها رأي آخر، ولا بد أنها راهنت أنها تستطيع، لكنها حسبت للأمر حسبته كلها إلا جانبًا واحدًا من الأمر وهو ثورة الشعب الذي كان يرى جمال مبارك شخصًا مجردًا من كل شيء، ولا يستطيع أن يحكم بيتًا فما بالك ببلد مثل مصر، لكنه هو وأمه وحدهما من كانا يريان أنه يستطيع.

لقد ظلمت سوزان مبارك ابنها الذي كانت تعرف أنه فشل في كل مراحل حياته، خرج من الجامعة الأميركية دون أن يتواصل في علاقة طبيعية مع زميلة له، لم تكن في حياته قصة حب واحدة مكتملة، زاد عمله في لندن من عزلته، للدرجة التي أصبح فيها شخصية اكتئابية، ورغم أنه كان يحاول أن يرسم على ملامح وجهه شخصية الرجل الهادئ فإنه كان عصبيًّا جدًّا، للدرجة التي لم يكن أي أحد يستطيع أن يتحمله أو يعمل معه، ثلاث سنوات فقط.

إن الفارق بين علاء مبارك وجمال مبارك، فالأول من مواليد 26 نوفمبر 1960، والثاني من مواليد 28 ديسمبر 1963، لكن كان هناك فارقا كبيرًا بينهما تاريخ زواجهما، علاء تزوج في أكتوبر 1991، بينما تزوج جمال في فبراير 2007، وقد لا يكون هناك دلالة للأمر، لكننا لا يمكن أن نغفل أن جمال فضل أن يتفرغ لحياته – لأسباب يعلمها وحده بالطبع – وهو ما أثر تأثيرًا كبيرًا في التكوين النفسي الطبيعي لجمال مبارك.

إن جمال مبارك لم يتزوج بعد قصة حب، علاء فعلها فقد خرج من الجامعة الأميركية بقصة حب مع زميلته هايدي راسخ، جمال تزوج في الغالب لأنه كان يتعامل مع نفسه على أنه الرئيس القادم لمصر، ولا بد أن يكون الرئيس متزوجًا، إن هذا يتفق مع عادات وتقاليد المجتمعات العربية، فليس معقولاً أن يكون رئيس دولة عربية وإسلامية أعزب وغير متزوج.

ليس لي الآن أن أناقش الأمر، ولكني فقط أعتقد أن جمال مبارك لم يتزوج لأنه كان يحتاج إلى الزواج، لكن لأن الزواج كان متممًا لمشروعه التوريثي الكبير، وهو ما يمكن أن يكون متفقًا جدًّا مع ما تردد عن أن جمال يمكن أن يكون قد انفصل بالفعل عن خديجة الجمال، وأن حياتهما العائلية انتهت، فالسبب الذي تكونت من أجله هذه الحياة انتهى للأبد، فلماذا الإبقاء عليها إذن؟

لا يمكن أن أخفي تعاطفي الشديد مع جمال مبارك، ليس سياسيًّا بالطبع ولكن إنسانيًّا فقط، إنني أمام شاب كان يمكن له أن يكون رجل أعمال ناجحًا حتى لو لم يكن والده رئيس جمهورية، فإذا به يجد كل من حوله يدفع به إلى أن يكون رئيسًا لبلد كبير وضخم ومعقد مثل مصر، نفخوا فيه خيلوا له أن الأمر سهل وبسيط وسيحدث رغمًا عن الجميع، وفجأة وجد ظهره عاريًا تمامًا لا يقف معه أو إلى جواره أحد، لقد خدعوه، أقنعوه أنه يستطيع رغم أنهم يعرفون أنه بلا أي مؤهلات، ولذلك فليس بعيدًا أن يفقد جمال مبارك كل قواه العقلية ويتحول إلى شخص مجنون، بل لن يكون غريبًا إذا وصل إلى أبعد وأخطر درجات الجنون.

لكن هذا لا يعفي جمال مبارك من المسؤولية عن حلم لم يكن مناسبًا له، لقد خدعه من حوله، لكنه استراح تمامًا لهذا الخداع واطمأن إليه، لقد سمعت منذ سنوات بعيدة لأحد أصدقاء جمال مبارك وهو يتحدث عن هذا الشاب الرائع الذي يعيش حياة بسيطة جدًّا، وكيف أنه لا يحب المظاهر الزائفة ولا يميل إلى البهرجة في كل تفاصيل حياته، فهو على سبيل المثال لم يغير رقم تليفونه المحمول منذ حمله لأول مرة، ولم يغير عدة تليفونه المحمول إلا مرتين فقط خلال السنوات الطويلة التي استخدمه فيها.

كان صديق جمال مبارك معجبًا جدا بصديقه، فما يفعله يدل على تواضعه الشديد، لكنني أخذته إلى مساحة بعيدة جدًّا عما كان يفكر فيه، قلت له إن احتفاظ جمال مبارك برقم تليفونه المحمول دون تغيير، وعدم تغيير عدة تليفونه إلا مرتين فقط يشير إلى أنه لا يمل بسهولة، بل يصبر جدًّا على ما يريده وما يخطط له، ليس مهمًّا أن يناله، لكنه في النهاية سيحصل عليه.

ضحك صديق جمال مبارك وكأنه يقول لي هو كذلك بالفعل، وأنه سوف يحصل على ما يخطط له يريده، وليس بعيدًا أن يكون جمال مبارك ظل يعتقد هذا حتى جاءته أعاصير ثورة 25 يناير فكسحته بعيدًا هو وكل أحلامه وطموح أمه ورغبات صديقه القزم الذي يعيش الآن في زنزانة ضيقة في انتظار مصير مجهول.

Arabpsynet Thesis Search
By Arabic, English & French words

www.arabpsynet.com/These/default.asp
Form Add Thesis Summary(For Subscribers)
www.arabpsynet.com/these/ThesForm.htm

Arabpsynet Papers Search
By Arabic, English & French words

www.arabpsynet.com/paper/default.asp
Form Add Papers (For Subscribers)
http://localhost/paper/PapForm.htm

المعجـــــم الموســــــــــــــــــــــــــــــــــــع للعـــلـــوم النفسيـــــة

الإصــــدار العربــــي – الإنكليــزي - الفرنســي

"الــــــــــــرف الخامــس عشـــــر " ض "

د. جمـــال التركـــي
turky.jamel@gnet.tn

مستند أكروبات مضغوط
http://www.arabpsynet.com/pass_download.asp?file=2015
(خاص بالمشتركين - محمي بكلمة عبور)

الكآبـــــــــــــة الحضاريـــــــــــــة!!

د. صـــــــادق السامـــــــــرائ – أمريكـــــا – العـــــــراق
alrahwan@yahoo.com

المقدمـــــــــة: مثلما يُصاب الأفراد بداء الاكتئاب, تصاب الأمم والشعوب به أيضا. فدورة حياة المجتمعات البشرية كدورة حياة الأفراد, وما يصيبهم يصيب المجتمعات, أوَ ليست الأمم والشعوب حاصل تفاعل مجموع الأفراد مع بعضهم البعض وهو تفاعل شامل ومتشعب.

إن الاكتئاب من الأمراض الخطيرة, لأنه يقلب البشر إلى قوة مضادة لنفسه ويجرده تماما من التفاعل مع الآخر فردا أو محيطا, كما أنه يسري في الأعماق بهدوء وتدرج حتى يحيلها إلى عصف مأكول وأعراضه تتغلغل فيها فتلونها بالسواد وتلغي منها أي لون آخر.

وكلما تأملت حالنا في القرن العشرين, أجدني أمام **حالة من الاكتئاب الشعبي الشامل (mass depression)** الفاعلة في أركان الأمة وعلى مدى أجيال متعاقبة, وما استطاع أي جيل أن يشخص الداء ويصف الدواء, بل أن عطاءات الأجيال في القرن العشرين كانت مشحونة بالإبداع الفكري الاكتئابي, الذي يلوّن الحياة بالدم والموت ويحولها إلى معضلة وكأنها في نفق مظلم طويل لا نهاية له ولا شعاع ضوء قادر على التسرب إليه.

ويبدو أن حالة **الاكتئاب الشعبي** قد تفاقمت وامتدت إلى القرن الحادي والعشرين وتجاوزت القنوط واليأس وراحت تتخذ مسارات موجعة في هذا البلد أو ذاك. ولا أدري إن كنت مصيبا فيما أرى أم لا؟

أسبـــــــاب الاكتئـــــــاب النفســـي

الفقدان (loss) أي أن يفقد البشر شيئا مهما أو عزيزا

تفاقم المشكلات وعدم وجود منفذ للخلاص منها

عدم التوازن ما بين الطموح والقدرات

الإحساس بالتخلف أو التأخر

الخسائر بأنواعها

التوتر المزمن أو المستديم (chronic stress)

الأعـــــراض والعلامـــــــات

1-المزاج الحزين

2-سرعة الغضب

3-فقدان الإحساس بالمتعة

4-العزلة والانشغال بالموت

5-الإحساس بفقدان القيمة

6-الشعور بالذنب والندب وتقد الذات وتقريعها وإذلالها واحتقارها

7-فقدان الأمل واليأس

8-ضعف التركيز وتشتته

9-عدم القدرة على اتخاذ القرار وفقدان الثقة بالنفس

10-الشعور بالتعب والعجز والهياج والانكماش

11-التوقف والحركة البطيئة والمظهر الدامع الحزين

والآن لننظـر حالنـا في القـرن العشريـن وفقـا لمنظـور أسباب الكآبة

1-الفقـــــــــدان

لقد فقدنا عبر مسيرتنا الحضارية الكثير من خصائص وجودنا القيادي المؤثر. وقد **كانت فاجعتنا الكبرى بسقوط بغداد** عام 1258 ميلادي. وعبر تأريخنا وعلى مدى ثمانية قرون متلاحقة كنا الضحية والخاسر الأول دوما. وقد تكررت خسائرنا في القرن العشرين وتعاظمت في جوانب متنوعة. وبرغم أننا قد حققنا ربحا في مسيرتنا العامة ووجودنا مقارنة بالقرن التاسع عشر. لكن الخسائر المتلاحقة قد حجبت عنا رؤية رافدنا الكبير فغرقنا في الجداول والسواقي والبرك والمستنقعات نحسبها كل ما في هذا العالم من حياة.

2- تفاقـــــــم المشكـــــــــلات

بلداننا قاطبة قد تحولت في القرن العشرين إلى مستودع للمشاكل التي تفاقمت مع الأيام, وقد أجادت الأنظمة السياسية مهارات استثمارها وتطويرها. وهذه المشاكل مختلفة ومتنامية بأقصى سرعة ممكنة. وفي كل يوم هناك إعلان عن مشكلة جديدة عديمة الحل. فأصبح بشرنا من المحيط إلى الخليج يتخبط في أمواج المشاكل المتعاظمة, والتي إشتدت عليه بعد إنتهاء الحرب العالمية الثانية. وكانت محورا لتلك المشاكل قضية فلسطين التي إستنزفت طاقات وجودنا الصاعد, إضافة إلى مشاكلنا القطرية التي لا تنتهي.

3- عـــدم التـــوازن ما بيـــن الطموحـــات والقـــدرات

إن الأهداف التي ترددت في بلادنا على مدى القرن العشرين كانت تدعو إلى الوحدة والحرية والتقدم والإصلاح والنهوض إلى حيث يليق بنا وبتأريخنا. وما تحقق منها شيء يرقى إليها. بل أن جميع الأقطار قد اتجهت

إلى ضد أهدافها وتطلعاتها. وعلة ذلك عدم امتلاكها القدرات السياسية الكافية, وغياب خطة العمل المتوازنة للوصول الى الأهداف مما حقق إحباطا متراكما وشديدا في أعماق الناس , فتغلب عليهم الشعور بالأسى والخيبة الآمال وإنهيار التطلعات.

لقد أراد العرب أن يلتقوا بماضيهم المجيد الزاهر الذي يستحق الفخر والتقدير. وهو هدف مشروع وممكن لو أن الأمة أدركت وسائل الوصول إليه وعقلت المهارات اللازمة. وبسبب غياب خارطة الطريق الواصل ما بين الإرادة والطموح, أصابها الضياع والتخبط الذي ولّد جروحا حضارية متقيحة ومتنامية, برغم توفر القدرات المادية والبشرية والفكرية, لكن القدرة على وعيها واستثمارها كانت غائبة وما امتلكنا إلا قدرات تدميرها وإتلافها. فقد كنا نريد الوصول إلى مرتبة الأجداد ونحن نجهلهم تمام الجهل ونسبغ عليهم من ظنوننا البائسة ما هو مشين وقاتل لنا ولهم.

4-الإحســـاس بالتخلـــــف والتأخـــــر

منذ بدايات أيام اليقظة والنهضة العربية, صار العرب يقارنون بين حالهم في الماضي وواقعهم في الحاضر, فامتلئوا إحساسا بالتخلف والتأخر عن حقيقتهم التاريخية وتأدية رسالتهم ودورهم الانساني والحضاري. وقد تم تغذية الشعور بالتخلف والتأخر من خلال الاحتكاك المباشر مع الغرب. وقد توفرت منابر فكرية عربية متنوعة لتأكيد هذا الشعور وتعميقه والتخندق فيه إلى أبعد ما يمكن. وكأن الأمر كان مطلوبا لتحقيق العجز الحضاري والشلل المعاصر للأمة. ولا أدري لماذا لم يتأكد هذا الشعور في أمة الصين التي أدركت حالها في بدايات النصف الثاني من القرن العشرين. ونحن أدركنا أنفسنا في بدايات النصف الثاني من القرن التاسع عشر. وكان علينا أن نكون ونتجاوز حالنا المتخلف كما توهمنا وفق أبسط الحسابات الحضارية. لكننا أمعنا في تأخير أنفسنا وشعورنا بأننا كذلك برغم كل خطوات تقدمنا ونهوضنا وعلائم صيرورتنا.

5-الخسائـــــــر المتنوعـــــــة

نحن عندما نتأمل أنفسنا نجد أننا في دوامة من الخسائر المتلاحقة والانهيارات المتواصلة وعلى جميع المستويات. ولا يوجد أي شعور حقيقي لدينا بأننا قد ربحنا معركة أو دورا في الحياة. بل أننا على الدوام عندنا شعور بالاغتصاب والانتهاب والاستعباد ومصادرة الحقوق الانسانية والمادية. وإن سلطان الخوف يلاحقنا أينما نكون, فإذا نطقنا برأينا إما نموت أو نكون في ظلمات السجون, وما علينا إلا أن نذعن ونستسلم لأرادة العابثين بمصيرنا والسارقين لحقوقنا من أبناء جلدتنا. فأبناء الأرض المبتلاة بالنفط يكابدون الفقر والجوع والمرض والخداع, وهم يعيشون على بحار من النفط الذي لا يعود عليهم إلا بالأسلحة التي تدمرهم وتقتل أبناءهم في حروب لا مبرر لها, إلا امتصاص طاقاتهم وقتل شبابهم وزرع الأحزان في بيوتهم وهذا يولد شعورا قاسيا بالخسران عند الأب والأم والأبناء وعند كل من يعيش على أرض تحتها نفط.

6-التوتـــــــر المزمـــــــن

منذ الحرب العالمية الأولى وحتى يومنا هذا نحن نعيش في دوامة التوترات المتفاقمة وعلى مختلف المستويات. وما استطاعت الأجيال أن تتخلص من التوتر والاضطراب, بل أن حجم التوترات في تنامي واتساع. وإن القوى الطامعة في الثروات النفطية تجد وتجتهد في تأجيج نقاط التوتر وخلق مراكز متجددة لزيادة شدتها وكثافة الأطراف المحترقة فيها. ولا توجد دولة واحدة من دولنا معافاة من التوترات السياسية والعرقية والاقتصادية والعسكرية.

لقد تحولت أرضنا إلى مسرح للقتل والدمار وتجريب الأسلحة والقتال بالنيابة عن أطراف الحرب الباردة, وقد جربت عليها كل مبتكرات التدمير ووسائل التخريب وتحولت فيها الحقائق إلى غرائب وأوهام والبديهيات إلى مستحيلات. ولا زالت تخضع لأحدث فنون الحرب النفسية الموجهة بقسوة ووحشية ضدها.

إن حالات التوتر المستديمة لها مصادر داخلية وخارجية, وكلها تتفاعل وتساهم في جحيمات التفاقم للأزمات وتنمية مآسينا وتدمير قدراتنا. بل أن طاقاتنا قد تبددت وتجمدت وتحولت إلى ضديد لإرادتنا وسخرت لقتلنا والفتك بأهدافنا وطموحاتنا. فقد صرنا نُقتل بما نريد لأن الآخر يعرف كيف يوظف ما نريد لتحقيق ما يريد. وما تعلمنا كيف نصل إلى ما نريد لإهمالنا لأهم ركن من أركان الإرادة وهو العقل وتدثرنا بالانفعالات الحارة المؤذية.

الأعـــــــراض والعلامـــــــات

1-المـــــــــزاج الحزيـــــــن

الطابع العام لأمزجتنا هو الحزن, أما الفرح فأنه حالة طارئة وغريبة في حياتنا كعائلة أو أمة. وهذا ينعكس في نتاجاتنا الأدبية والفكرية وأغانينا وأحاديثنا اليومية وسلوكنا العام. وبسبب ديمومة الحزن في أعماقنا ترانا نشكو ونتأوه ولا نعرف إلا أن نلقي بأسباب سوء الحال و رزاءة المآل على غيرنا ونتهم الأقدار بما لم تفعل. وفي أكثر الأحيان نتخذ من السلطات الحاكمة وشاحا نعلق عليه كل معاناتنا وويلاتنا وبكائياتنا وما نفع تغيير السلطة مرارا في مداواة حزننا. فلينظر كل واحد منا إلى نفسه وعائلته ومجتمعه وسيرى مساحة الحزن الكبيرة في ساحات أيامه وأعماقه ومعظم أحاديثه وأحاديث الناس من حوله, وهذا يتكرر مع الأجيال بلا انقطاع أو توقف.

2-سرعـــــــــة الغضـــــــــب

المعروف عنا –قادة وأفرادا وأينما كنا– سرعة الغضب وفوران دمائنا وإتلافنا لأنفسنا بسبب ذلك. ولولا نعمة الشمس التي تساعدنا على مجابهة الكآبة المستديمة فينا لساء حالنا إلى أبعد مما هو عليه. فالحمد لله على وجود النور الساطع في أرضنا, والتي يعزو البعض سرعة غضبنا إلى كثرة سطوع الشمس, وأنا أخالفهم في ذلك وأرى إنها أحد أسباب ديمومتنا وعلاجنا من كآبتنا.

إن السبب الحقيقي وراء غضبنا السريع هو الاكتئاب الشامل الذي يعصف في كيان الوجود العربي. وعندما نتخلص من كآبتنا, ستزول عنا هذه الصفة ونؤوب إلى رشدنا ونستخدم عقولنا بكفاءة. لقد تم استغلال هذه الصفة من قبل الآخرين وحققوا من خلالها مشاريعهم وطموحاتهم, بل أنهم سخروها لاستنزاف طاقاتنا ومنعنا من الإمساك براية الانطلاق الحضاري المتفق مع حقيقتنا ورسالتنا الانسانية.

3-فقـــــــدان الإحســـــــاس بالمتعـــــــة

إننا لا نتمتع بما نملك وبما في أوطاننا من الخيرات والشواهد والثروات ومواطن الجمال والبهجة. ولا نراها إلا شيئا جامدا ذليلا خاليا من تحقيق الشعور الإنساني الجميل. نحن نملك كل شيء ولا نملك شيئا. عندنا معظم ثروات الأرض وما عندنا شيء.

نحن "كالعيس في الصحراء يقتلها الظمأ والماء فوق ظهورها محمول" أي أن قول الشاعر هذا ينطبق علينا تماما. وعندنا ميزة عجيبة وفريدة ملخصها **إننا لا نرى ما عندنا ونرنو إلى ما عند غيرنا**, فلا نتمتع

بما نملك ولا نحصل على ما لا نملك. والأنكى من هذا, إننا نبخس ما عندنا ونثمّن ما عند غيرنا ونضفي عليه من خيالات عجبنا ما ليس فيه. كأننا نحوله إلى معشوقة نهيم بها ونتغنى بهواها ولقائها. وهذه الميزة مستفحلة في شخصيتنا ومؤثرة في سلوكنا الفردي والجمعي.

4-العزلـــــة والانشغـــــال بالمـــــوت

الاكتئاب من أهم أسباب التخندق والانعزال في وطننا الكبير, فالعربي يفضل العزلة عن أخيه وصار يشعر بالعزلة وهو في بلده لأنه لا يجد من يتفاعل معه ويستمع إليه, لأن كل فرد صار مستودعا متزايدا للهموم والآهات والأوجاع ولا يعرف إلا كيف يتلفظها, ويأنس لتحمل تدفقها وانبثاقها من جميع خلاياه ووديان أعماقه الجريحة. وهذا ينعكس على كل مواطن مما رسخ التجزئة ومزق أية قدرة على التفاعل الصحيح مع أبناء الوطن. ومع تواكب الأعوام في القرن العشرين ازددنا عزلة وصارت بلداننا خنادق حزن تضمنا وسجونا تأوينا. كما أن **الهم الأكبر تحول إلى الانشغال بالموت وإهمال الحياة**. فصرنا نسفه كل مفردات الحياة أمام حقائق الموت وفاعليته وسلطانه, ولهذا **فقدت الحياة قيمتها وتسلطن الموت في الأعماق**, فصرنا نعبر عنه في أفعالنا وأقوالنا وإبداعاتنا. وربما تغلب الموت بأفضليته على الحياة وصرنا نردد "من **الأفضل أن نموت ففي الموت حياتنا**" وهذه أفكار اكتئابية عاصفة في حياتنا ومؤثرة في دورنا الإنساني وهناك الكثير من الشواهد عليها.

5-الإحســـــاس بفقـــــدان القيمـــــة

هذا الشعور القاسي الوخيم الذي لا يخلو منه بشرنا قد استفحل في حياتنا وتنامى في ديارنا. فأخذنا نقرأ ونسمع ونرى ما يدهش حقا من الإمعان بتصغير أنفسنا وتجريدها من أية قيمة إنسانية أو حضارية. وقد امتد تأثير الإحساس بفقدان القيمة إلى تراثنا وحاضرنا ومستقبلنا. ونحن كل يوم نقرأ في صحفنا مقالات تؤكد التعبير عن هذا الشعور الاكتئابي المريض. وكم قرأنا في صحفنا مقالات تجرد لغتنا من قيمتها ودورها وتراثنا من جدواه. بل وتريد أن تلقينا في أحضان النسيان والاندثار.

6-الشعور بالذنب والندب ونقد الذات وتقريعها وإذلالها واحتقارها

الشعور بالذنب متفاوت في درجاته, لكنه قائم في معظم أركان حياتنا. فكل فرد منا مشحون بطاقة الشعور بالذنب والاستسلام لعذابات الضمير, ونستطيع أن نجد الدليل على ذلك في الكثير من نشاطاتنا الفكرية والثقافية. فنحن على درجة عالية من حساب الذات وهذا يدفع إلى الندب ونقد الذات وتقريعها وإذلالها واحتقارها. فنحن من أقسى أمم الأرض على أنفسنا ولا تخلو صحيفة من صحفنا من مقالات تهاجم حالنا وتندب وجودنا وتنهال علينا بما يشتهي كتابها من الصفات المشينة. ففي جميع كتاباتنا الفكرية هناك تقريع ذاتي وهجوم شرس على وجودنا وواقعنا وبأفلامنا. إننا دائما نتهم أنفسنا ونقرعها وما عرفنا الكتابات الإيجابية, بل اعتدنا على إبداعات الندب والنقد البائس الحزين.

7 – فقـــــدان الأمـــــل واليـــــأس

اليأس شعارنا وفقدان الأمل سلاحنا وأسلوبنا في عصرنا الدامع الحزين, وهما يلونان وجودنا ويطغيان على جميع نشاطاتنا. وما رأيت أوضح من ظهورهما في كتاباتنا وأحاديثنا. وقد أثر اليأس على حركة الأجيال وسرق من شبابها كل همة واندفاع نحو صيرورة متوازنة مع ما فيها من الطاقات. إن آفة اليأس تأكل الإنسان العربي كما تأكل "الأرضة" جذوع الأشجار فتضعف مقاومتها للرياح وتبيدها بصمت وهدوء.

نحن يائسون قانطون, وعندنا فكر السماء وكل مفردات الإيمان والحياة الطيبة السعيدة, ومع هذا نعيش حالة مناقضة لما عندنا. فاليأس لا يتفق مع الإيمان وإن طغى اليأس ذهب الإيمان.

8 – ضعـــــف التركيـــــز وتشتتـــــه السريـــــع

نحن بطيئون في كل شيء مقارنة بأمم الأرض الأخرى, وهذا البطء ناجم عن ضعف التركيز وتشتته. فنحن نقرأ ببطء لأننا لا نستطيع التركيز, فأفكارنا مشتتة وأدمغتنا ممزقة بالمشكلات اليومية المتفاقمة. وبسبب ضعف التركيز فقدنا القدرة على فهم أحوالنا وفهم ماضينا واستنباط الحقائق الضرورية لتطورنا وتنامي قدراتنا, فصار تراثنا عبئا علينا وانتهينا إلى غربة قاتلة وجهل مروع.

9 – عدم القدرة على اتخاذ القرار وفقدان الثقة بالنفس

وذلك بسبب ضياع القابلية على تجميع الأفكار وصياغتها بأسلوب علمي, ولطغيان الطاقات الانفعالية على القدرات الفكرية وتحول العقل إلى عبد مطيع للعاطفة. وفي هذه الأجواء المشحونة باضطراب التفكير وتلاشي التركيز, يكون القرار الصائب الصحيح غير ممكن. وأن أي قرار يمتلك نتائج سلبية أكبر من النتائج الإيجابية. وهذا يفسر سلبية القرارات وشيوع اضطرابها وإتيانها بنتائج وخيمة وتوليدها لمشكلات غير محسوبة. وهذا يدفع بدوره إلى فقدان الثقة بالنفس. فهل نحن واثقون بأنفسنا؟ ومن أين نأتي بأسباب وعوامل تأكيد الثقة بالنفس؟ فالأكثرية منا منزوعة الثقة بنفسها, وإن هذه الصفة تنعكس على سلوكنا بمختلف مستوياته وتفرعاته وتتأكد في سلوكنا السياسي كدول وقادة. وقد تمكن الآخرون من ترسيخ فقدان الثقة بالنفس في جميع مفردات حياتنا, وصار الخوف والتردد والشك عوامل فاعلة في سلوكنا.

10-الشعـور بالتعـب والعجـز والهيـاج والانكمـاش

سمات مهيمنة على أيامنا, فطريقنا يزداد طولا وهمومنا تزداد ثقلا, وأمام كل خطوة نهم بالركون إلى قيلولة. وصار القريب بعيدا في ديارنا, فتعلقنا بأحلام اليقظة واستحضرنا السندباد ومصباح علاء الدين, وإذا كل ما نريده يصير ضبابا تبدده أنوار الحقيقة الساطعة وسقوط الأقنعة. إننا نشعر بالتعب والعجز ولا شك في ذلك. والقارئ يرى ما تنشره صحفنا من آراء العاجزين وأقوال المتعبين, وكأننا في وادٍ مظلم ودوامة من المآسي المتزايدة. ولا توجد أمة أشد عجزا منا في الوقت الحاضر أو إحساسا بالتعب والملل, وهذا يعني بأننا سنتبرع بكل ما عندنا لغيرنا بسبب عجزنا على الاستمرار في امتلاكه.

إن ما نعانيه من اضطرابات متنوعة, يؤكد درجة الهياج الإكتآبي الناجمة عن اليأس المروع العاصف في أرجاء النفس عندنا. ويتخذ الهياج أشكالا مختلفة ومتنوعة ويعبر عنه بانفعالات وأقوال وجرائم قد تكون بشعة جدا. لأن البشر في حالات الهياج الاكتئابي يفقد صلته بالواقع وتضيع منه الحكمة والقدرة على إدراك نتائج ما يقوله ويفعله, مما يؤدي إلى تزايد المشكلات والمعاناة. ونحن في واقع أمرنا نتأرجح ما بين الهياج العارم والخمول الشديد وفي هذا جزء كبير من مآسينا.

11-التوقـف والحركـة البطيئـة والمظهـر الدامـع الحزيـن

الأمة متوقفة عن المشاركة الحية والجادة في صناعة الحضارة البشرية المعاصرة – ولو أن أبناءها يساهمون في ذلك في معاقل إغترابهم– بل أن دورها غائب وكأنها نائمة ومنقطعة عن الحياة, وهي التي ابتدأت مشروع التقدم والإرتقاء منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر ولا زالت تتحرك كالسلحفاة, وأكثر خطواتها تجرها إلى الوراء في حين أن أمما قد بدأت في مطلع النصف الثاني من القرن العشرين سبقتها في كل الميادين. إن التوقف الحضاري هو علامة واضحة تؤكد شدة الاكتئاب الذي نعاني منه.

أما المظهر الحزين, فأننا صرنا معروفين بملامحنا المرسومة بمداد الألم والآهات والخسران. ويتفاوت مظهرنا من بلد إلى بلد حسب درجة المرارة واليأس المرسومة على وجوهنا. لكن المظهر العام لنا هو المظهر الكئيب المتجهم الذي تشيع منه علامات الانكسار والغضب والجراح. كما أن أحاديثنا عبارة عن بث للشكوى وبكائيات ورثائيات وندب وتأسف ونقد مرير لوجودنا وأحوالنا المتحركة من سيئ إلى أسوأ وقد عبرنا عن ذلك بوضوح في أشعارنا وأغانينا ومظهرنا العام وبكل ما يمت بصلة إلينا.

إن الأجيال في قاموس الأزمان تكون كفرد, وأجيالنا الحاضرة إنما هي فرد دامع حزين ينفث الحسرات ويضرب كفا بكف!

الخاتمـــة والعـــلاج

تلك هي أعراض مأساتنا الحضارية وعلاماتها. وبما أن الكآبة مرض يمكن علاجه, فأن علينا أن نبحث في العلاج الذي يمكنه أن يشفينا منها. إن الأمة لا يمكن علاجها بالأدوية والعقاقير المضادة للكآبة أو بالصدمة الكهربائية. إن العلاج الأمثل لكآبتنا الحضارية هو *بالعلاج الإدراكي* COGNITIVE THERAPY.

وهذا العلاج يرتكز على أن الأفكار تؤثر في المشاعر والسلوك البشري وإذا غير البشر طريقة تفكيره فأن سلوكه ومشاعره سيتغيران. إن التشويه الإدراكي هو أصل الإكتئاب والتغيرات العاطفية والجسمية وباقي أعراض الكآبة. أي عندما تفكر بالأمور على أنها غير ما هي عليه وننظرها بعيون أمامها عدسات تشويه ينعكس ما نراه على سلوكنا. فعندما نكون بلا طاقة وعدم مبالاة يكون ذلك ناتجا عن الإحساس بالفشل وتوقعه في كل مناحي النشاط الذي نقوم به. وكذلك الشلل الشامل يكون بسبب اليأس وفقدان الأمل. كما أن الإحساس السلبي للذات وإدراكها على أنها وجود سالب ومقيت يدفع إلى الشعور بلا قيمة الذات وعدم كفاءتها وحرمانها ونبذها من قبل الآخرين, وهذا بدوره يصنع إدراكا سلبيا للعالم الخارجي, وهذا يؤسس لهزيمة الذات وتوقع فشلها وعقوبتها واستمرار توقعاتها للصعوبات والمقاساة والخذلان.

إن العلاج الإدراكي يهدف إلى تشخيص وتحديد الذهنية السلبية والتشويهات الإدراكية المتراكمة واستبدالها بإدراكات جديدة مرنة ومفيدة لتحقيق القدرة على التفكير الذي يحقق انسجاما ما بين الإدراك الإيجابي والسلوك الناجم عنه وهذا يحقق الحياة الأفضل.

والخلاصة أن المشاعر والسلوكيات تتحدد بالطريقة التي نرى فيها العالم ونركبه في أذهاننا. وهذا العلاج يصلح لنا لأننا نمتلك مستويات عالية من الاضطراب الإدراكي وهو يؤهلنا للتمييز بين المشاعر والأفكار ويمنحنا الرغبة والإمكانية لصيرورة أفضل ويزودنا بمهارات عالية في السلوك الإيجابي.

علينا أن نحدد الأفكار التلقائية, التي هي أفكار مشوهة ومختلقة من خلال التعامل مع الأحداث والمواقف, وهي تعترض التفاعل ما بين الذات بانفعالاتها وعواطفها والحدث الخارجي المحيط بها. فقد تعتقد أن الشخص الذي لم يسلم عليك يكرهك, بينما قد يكون ذلك لأسباب أخرى منها مثلا أنه مهموم ومشغول بأمر كبير ومزعج. إن تفحص هذه الأفكار وعدم تضخيمها والتصرف على ضوئها وتحديد التكيفات السلوكية الخاطئة الناتجة عنها ضروري لسلامتنا الفكرية والسلوكية.

إن التفسيرات السلبية لها فعلها في حياتنا وهي تؤدي إلى آثار أليمة ونتائج وخيمة, فنحن مهرة بالتعميمات وتثمير الأحداث الصغيرة وتحويلها إلى مسلمات وثوابت فكرية وسلوكية, فنقول أن المشكلة في هذا المجتمع وهذا الوطن بينما هي مشكلة صغيرة في بيت من بيوتات مجتمعنا, فنلصق ما يحصل في بيت من بيوت المدينة بالمدينة كلها. وعلى ما يبدو فقد علمنا الآخرون استخدام لغة التعميم ضدنا لكي يحققوا ما يسعون إليه.

أما الإسقاطـــــات, فأنها واضحة في سلوكياتنا بصورة عامة. فنحن نتحدث بلغة "هـــــو" ونجعل الآخر هو السبب الأول والأخير فيما يحصل وننفي عنا أية مسؤولية, وهذا نوع من التفكير السلبي الغائر الذي يوفر لمن يرغب بنا أسلوبا لتحقيق ما يريد.

ويبدو أن من الضروري أن نمتلك القدرة على التمييز بين التفسيرات السلبية والإيجابية وأن نتمسك بالإيجابي منها. وأن نسعى لكي تكون توقعاتنا ذات معاني إيجابية ومشحونة بالأمل والتفاؤل والإيمان بأن الغد أفضل دوما. كما أن التمسك بالواقعية والعلمية في تفسيراتنا يساعدنا على العلاج ويوفر لنا الأرضية لحياة صحيحة طيبة. وعلينا أن نكون معقولين وغير مضطربين بسبب احتدام العواطف والانفعالات في أعماقنا مما يدفع إلى تشويه بصائرنا وإدراكاتنا وتعميم تصوراتنا. إن تنازلنا عن التعميمات وابتعادنا عن الإسقاطات والتبريرات ووقوفنا أمام أنفسنا بعلمية وثقة وصدق وإصرار على الصيرورة الحضارية الزاهية والدور الإنساني الواضح, يؤسس لتحقق حضاري جديد. أما إذا بقينا نتعامل مع الأيام بعقلية إكتئابية وتأنيبية وإمعان بالقسوة على الذات وتحجيم قيمتها والتفتيش عن كل السلبيات والعثرات وصبها في بودقة سلبية واحدة ذات لون أسود, وتوفير ذهنية مشوهة, فأننا لن نخطو إلى أمام مثل باقي البشر, وستغلبنا السلحفاة في وصولها إلى حيث تريد. إن إنجازنا في القرن العشرين أقل بكثير جدا من أمم بدأت بعدنا بعقود عديدة وهذا يؤكد ويشير إلى ما سنكون عليه في القرن الجديد.

إن المفكر العربي عليه أن يتخلص هو الآخر وبالدرجة الأساس من الذهنية السلبية المشوهة التي على ضوئها يغوص في تحليلات سلبية وينتهي إلى نتائج سلبية مشوهة تصب في ميادين إحباطنا وزيادة شدة كآبتنا وانكماشنا وتلاشينا الحضاري.

المصـــــــــادر

1-Diagnostic Criteria from DSM-IV, APA 1996, Page 161-163
2-Kaplan& Sadock, Psynopsis of Psychiatry, 8th edition, 1997, page 919-924

ملاحظـــة

هذه الكلمات مكتوبة عام 1996 وتم مراجعتها في عامي 1998 و2001 للإعداد للنشر وبعد أن إطلع عليها عدد من الأخوة حسبوها من الأفضل أن تكون في كتاب وأن وقت النشر لم يحن بعد, وما جرى في تونس الخضراء , أعادها للحضور ورأيت أن أشارككـــم بها .

ePsydict C – Complete Edition (CD)

Arabic English French - French English Arabic - English Arabic French

تـنـزيـل الـنـسـخـة الـتـقـيـيـمـيـة مـن الإصـدار الـكـامـل
www.arabpsynet.com/HomePage/ePsyCs.exe

مفهـــــوم الهويـــــــة من منظـــــور النظريـــــــة النفسيـــــة التحليليـــــــة

د. مرسلينـــــا شعبـــــان حســـــن – مجلـــة نفسيـــــة – سوريـــا
mar-selena@hotmail.com

سوف أنطلق في تناول هذا المفهوم من خلال بعدين أساسين يكمل أحدهما الآخر كمدخل في التعرف على هذا المفهوم :

1- نمو الذات هو اللبنة الأولى للتكيف مع الواقع والبيئة المحيطة ، معيار التكيف هو أحد أهم المعطيات للصحة النفسية والعقلية .

2- الانتماء لحقبة زمنية ما من حيث المعاش المعاصر مبني على عدة انتماءات للماضي والمستقبل

فمفهوم البيئة المحيطة اختلف اليوم وبات غير قابل للحصر بانفتاح العالم الدولي هذا الانفتاح المجتمعي الدولي بكل الحدود وكل الاتجاهات، وهذا الانفتاح بات معيار للتكيف مع العصر الحديث وعدم العزلة عن التاريخ ويكون التساؤل المطروح لكلّ منا بأن الانتماء لبلد ما أم الانتماء الكوكبية الأرضية والجواب يكون دائماً جدلي غير نهائي . كما أن تطور الحضارة ونشوءها لامست الإنسان في اكتشافه لنفسه ولغيره ولا يمكن حصرها بشعب واحد، بل هي نتاج لكل ثقافات الشعوب، العولمة اليوم تهدد الهوية بحيث طالت ثقافة الشعوب وتقاليدها التي كانت إلى عهد قريب عوالم تكتنفها الغرابة والقداسة والخصوصية .

في أوربا والعالم الثالث: اختلط المفهوم الثقافي بالمفهوم الحضاري ردحاً من الزمن ، من حيث أن الحضارة لها بعد مادي و الثقافة لها بعد إستناري وتهذيب للذوق وتقوية ملكة النقد والمعايير النقدية التي تحتوي على المعارف والمعتقدات والأخلاق في مجتمع ما. بالإضافة لهذا الفرز لمفهومي الثقافة والحضارة التي صنعهما في النهاية الإنسان، يلزمنا لتوضيح مفهوم الهوية الإنسانية الرجوع الى الانتروبولوجيا والخوض فيما توصلت إليه البيولوجيا.

في هذا السياق تأتي النظرية النشوئية التي طالت الإنساني في تيارين يتحكمان في تطوره وتقدمه :

الأول : التاريخ شهد على تطورات هائلة للإنسان والمجتمع من حيث اعتناق الأديان والمبادئ الأخلاقية ، الذي نقل الإنسان من الظلام إلى النور ومن الجهل إلى العلم ومن الهمجية إلى الإنسانية. ومن الأنانية إلى التعاونية. هكذا طور الإنسان مفاهيمه وقيمه ومعتقداته بتراث تاريخي دون توقف.

الثاني : علم حديث يعتمد على التحولية والتغير في ضوء المكتشفات العلمية النباتية والحيوانية وعلم الفلك والتيار البيولوجي علم نشوء الإنسان والأحياء إلى علم الاستنساخ اليوم، فهذا التطور في المجال البيولوجي يأتي كجواب على التغيرات التي يمكن أن تطرأ على الكائن الحي دائما. الفلسفة النشوئية تمثل خلاصة التيارات العلم نفسية والخضوع لمبدأ الارتباط كل ذلك ضمن علم الأعصاب وعلم النفس / سبنسر/ يشابه بين نشوء الإنسان وبين نشوء المجتمع إذ يرى أن هناك تأثير مستمر مابين النفسي والاجتماعي، فتطور المجتمع لاشك لا يأتي إلا بتطور المفاهيم النفسية

وهنا وعلى رأي "سبنسر" أيضاً تكون الصراعات ما بين الاجتماعي والفردي على صعيد الميول والغرائز والكف عن أسبابها في سبيل الحفاظ على صور الجماعة .

وهذا المحور هو الأساس في النظرية "الفرويدية" التي غيرت الفهم للإنسان وحاجاته ونموه النفسي، وكان من اكتشافات في هذه النظرية أربعة أمور هي كما يلي :

1- النظرة القطبية للعالم والحياة: الشعور واللاشعور ، غريزتي الموت والحياة ، الاكتئاب والاهتياج ....

2- اللغـــــــــة: للغة موقع أساسي في النظرية الفرويدية ، حيث كان المنهج العلاجي للإمراضية النفسية وفق النظرية الفرويدية / التداعي الحر للأفكار المعبر عنها بالكلام التي يسهم في تحرر المريض من الأوهام والأرق والقلق، لأن اللغة في تكوينها وبنيتها تعطي التصور للمصير المشترك الحقيقي للنفس البشرية، الإنسان كليم الله/موسى كليم الله، عيسى ابن الله، محمد والإعجاز اللغوي الذي جاء على يديه، من هنا أسئ فهم النظرية الفرويدية لأنها رجعت إلى الأديان والأساطير واعتبرتها ميراث ثقافي لا يمكن إغفاله إذا أردنا فهم الإنسان، رغم أن "فرويـــــــــد" دخل إلى الفهم النفسي من منطلق الفهم البيولوجي والعصبي حيث لا يخفى عليكم أنه كان طبياً. "الفرويدية" أعلت من شأن اللغة بكل أشكالها الشفهية وزلات اللسان وزلات القلم في فهم اللاشعور البنية الأولية للإنسان من حيث هو ثقافي متراكم تختزنه ذاكرة الجسد ، إلى أن الفرويديين الجدد طوروا هذا الفهم للغة لأبعد من ذلك ولاسيما المفكر و المحلل النفسي الفرنسي "جاك لاكان" ، الذي قال بأن اللاشعور مبني كبناء اللغة وهذا التوجه يزيد من إعلاء شأن اللغة في أساس فهم البنية النفسية، وكذلك مصطفى صفوان الذي أكد في كتابه / الكلام أو الموت / الذي ركز فيه على أن امتلاكنا للتعبير والإفصاح هو معيار حياتنا وفعاليتنا وعندما تتعطل لغة الكلام يكون الموت قد حل بالإنسان. هناك مثل انكليزي يقول :" يتناقل أو نتحاور".

المعطى الثالث للنظرية التحليلية : هو الجنس بما له من أهمية في حياتنا والتكلم عنه بصراحة وفق المستوى العمري أمر هام للغاية، لأن يبقى في حقل اللا يقال / الكبت / والكبت الذي ثبت علمياً أنه الأصل في كل العلل .. لذا موضوع التربية الجنسية محور هام من المهارات الحياتية التي ينبغي العمل عليها مبكرا، لأنها تهيئ الناشئة للأدوار الاجتماعية التي تنتظرهم في حياتهم ما بعد الدراسة، فالجنس هو المنطلق الأولي من مبدأ الهوية الجنسية، نقول لشخص ما هي جنسيتك، على جواز السفر لكل شخص الجنسية تعني هوية البلد، سوري، مصري، فرنسي... والكلمة تشير إلى الجنس والتجانس والجنسية وكلها تشير إلى الفارق التشريحي الذي يميز الطفل الذكر من الطفلة الأنثى، فهناك العلاقة بين الذات والذات الأخرى، ابتداء من العلاقة الذاتية للإنسان مع نفسه، فعندما يفكر لوحده لا

3- يمكن أن يخرج من أناه في نظر الأخر، فالأنا الفردية والنمو الاجتماعي في اتصال مستمر بين الطرفين.. فلنأخذ الإنسان العربي مثلاً ليس عنده تصورات لذاته من دون الجماعة الفردية والعكس يجعله منبوذاً وكل شيء من حولنا يشير إلى هذه المشاركة الساحات، الصلاة، الجامع، الجمعة، الأعراس وطقوس الوفاة. وهذه الفلسفة الدينية التي تحيي روح الجماعة وتناسي الروح الفردية، الآن في برامج التنمية البشرية يركز عليها من خلال عمل الفريق والاستثمارات المساهمة إلى آخره من الأشكال الأخرى للعمل الجماعي . فالفرد دائما توق إلى الأخر الاجتماعي / القيمة الاجتماعية / "جاك لاكان" يسميه الأخر الكبير الذي هو مصدر شقائنا وسعادتنا فلا يمكن تلافيه في أي نظرية نفسية لأنه جزء من الواقع النفسي ، يميز "لاكان" مفهومين للآخر، الآخر الصغير /القرين، الآخر الكبير /الأنا المثالي، فالذات في اتصال دائم مابين الخارج والداخل، فما هو داخلي يصبح خارجي مرات وما هو خارجي يصبح داخلي، فهذه النفس متواصلة وموزعة إلا في علاقتها في حقل الآخر الكبير، والانفتاح الحاصل من خلال التأثير الذي يطال المعتقدات والعادات الثقافية الخاصة بكل شعب مما يسبب البلبلة والارتباك سواء على الصعيد السياسي أو الاجتماعي أو النفسي التحليلية والخبرة اليومية تؤكد أن الإنسان إذا تكلم قال أكثر مما يعرف. والسؤال من أين تأتي هذه المعرفة التي تعدت حدود الكلام، عند التحليلين النفسيين اللاوعي مصدر هام لمعرفة تجهلها الأنا الواعية بالاستناد إلى تراثنا وثقافتنا الموروثة عبر الأجيال، فاللاشعور الجمعي عند "يونـــــغ" أكدت ذلك، وهناك عالم نفس تحليلي آخر هو"غريزنجـــــر" يقول: أن محور الأنا، أساس للتعامل مع الداخل والخارج فقوة الأنا وصلابتها ووحدتها تحدد مدى تعرض الشخص للإمراضية النفسية.. فالأنا قابلة للتغيير حسب العمر والظروف الخاصة والعامة ، " ماينـــــرت " الفرنسي يقول الأنا تظهر منذ الولادة وهي ما نسميها الأنا البدائية ومن ثم تتكون الأنا الثانوية التي بحكم الخبرة واكتساب المعرفة يصبح لها قدرة الرفض والأبعاد أي بمعنى الكبت مستنداً على قاعدة عضوية لهذه الأنا مركزها الدماغ المكون من خلايا متعددة الأجناس ترتبط ببعضها بسلسلة الظهر مصدر الحركة. اللغة عند "ماينرت " ليست إلاّ نتيجة للترابط الحر أي الصوتي مابين الصور المرئية والتقائها بالأصوات المسموعة أو الأشياء المحسوسة أو الأشياء المحسوسة الملموسة .

بهذه النظريات علم النفس انفصل عن الفلسفة وأخذ نتيجة نحو علم نفس فيزيولوجي مبني على الاختبار وتشريح الأعصاب انطلاقاً من الوظائف العصبية المبسطة إلى نظرية تكون الفكر والعاطفة واللغة.

النظريات الحديثة لفهم الإنسان اعتمدت النظرة الشمولية من كون الإنسان كائن حي يتحرك في العالم ضمن إطار شبه هرمي انطلاقا من الوحدة الحسية الحركية إلى البعد العاطفي ومن ثم في قمة الهرم تحكم العقل. وهناك النظرية الأخلاقية التي ابتدأها "جان جاك روسو" الذي يؤكد على أنه على التربية أن تساهم في التطور المستمر وتساعد على كبت المرحلة السابقة لأنها لا تتجانس مع المفهوم الحضاري الحديث. "ريبوت" العالم الفرنسي فرق بين المنطق العاطفي والمنطق العقلاني لفهم الإنسان وتشكيل الأنا وبالتالي الهوية، المنطق العقلاني هو نتاج تجارب الشعوب مجتمعة ويؤكد على ثلاث مراحل لفهم المنطق العقلاني وتبعاً للنظرية النشوئية في فهم تطور مفهوم الأنا/الهوية . كما يلي:

2- الهالة البدائية الفوضوية التي كانت تسودها إباحية العلاقات الجنسية دون تحريم .

3- التعريف بالأم وتحريمها نظراً للعلاقة العضوية ما بين الأم والولد لا يحتاج إلى افتراض الغيب بل هي علاقة حسية واقعية عيانية .

1- التعريف بالأب واكتشاف دور الأب كان له التأثير الأساسي في تحويل الفكر من المنظور إلى الغير منظور، الشيء الذي مهد لانتقال الفكر من الحقل العضوي الموضوعي إلى الرمزي التجريدي/القانون .

وبذلك الفهم المؤثر لمفهوم الذات ينطوي الحديث حول أهمية الجنس ومعرفة نشوئه، حيث أن المعرفة الجنسية تبدأ من الطفولة الأولى وتتكون من خلال الهوامات انطلاقاً مما يرى الطفل ويسمع ويصبح عنده الفهم لجنسه قبل نهاية العام السادس من عمره. حيث أن الشعور بالذات يبدأ من إدراك ذاتنا في عيون أبوينا ولاسيما عين أحد الأبوين من الجنس المختلف لجنسنا. إذ بإدراك الاختلاف والتشابه تكون بداية بزوغ الأنا، لأن مفهوم الهوية يحصل من أحادية الدال الذي يتماهى به الطفل مع الجنس المختلف للأبوين، فالفهم لمعنى الهوية الجنسية الأولي لا لموضوع نقصان بالنسبة للطفل لا يكمل هذا النقصان إلاّ عن طريق الجنس المختلف لأحد الأبوين.

لكي يحصل التعريف بالهوية الجنسية لابد من وصف لغوي تجد فيه الكلمات معناها وتفك رموزها من خلال الطلب عند الآخر الكبير المتمثل بالأم من خلال اللغة الأم وبذلك الاهتمام بالتربية الجنسية جزء هام من الاهتمام بالنمو العام وتكوين الشخصية والسلوك والعادات المتبعة في المجتمع، أما مفهوم الجنسية في التحليل النفسي فهو مرادف لمفهوم الحب بأوسع معانيه فهو يتضمن حب الذات وحب الوالدين والأولاد والصداقة وحب الإنسانية عامة إلى الحب الدال على الاتحاد الجنسي بين الزوجين الذكر والأنثى إلى التعلق الحميم بالموضوعات العيانية والأفكار المجردة أي الحب الوجودي الذي هو إفصاح عن الوجه الإنساني للإنس والمؤانسة / التكاثر والتوالد فقط وإنما التعاون والتعارف، التعارف من المعرفة ولاشك أن المعرفة في نهاية الأمر نشاط عقلي إنساني اجتماعي لأن الحياة ليست الفرد بل هي حب الناس ولا كيان للفرد إلا بوجود الآخرين. فالجنس عند الإنسان متغير تابع لا متغير مستقل والتغير في أشكال الحياة الجنسية يقع من التغيرات التي تطرأ على الحياة الإنسانية في أشكال العمل والإنتاج وأشكال التحولات الإيديولوجية والعقائدية، فدخول الإنسان عالم الآخر الكبير هو الذي يحدد هويته الجنسية والنقصان الذي يتبعه من هنا تنشأ الرغبة وتتكون لأن طلب الحب بعد إكفاء الحاجة هو الضمانة الرمزية لاستمرارية هذا الحب.

في المراهقة نجد أنه تصبح للمراهق هويتان الأولى هوية شخصية، والثانية هوية جنسية والهوية الشخصية تتأسس على نمو الهوية الجنسية فمثلا الخبرات الحسية الحركية التواصلية هي التي تجعل الفتاة تكون على مستوى قدرتها على الانتماء والتزاوج والرباط العاطفي مع الأم في الطفولة الأولى له الأهمية المحورية في النضج النفسي، فإذا حظي الطفل بالقبول غير المشروط والرعاية في علاقة وثيقة ومستقرة مع الأم تتكون لديه الطمأنينة القاعدية وينمو الفهم الايجابي عن الذات والعلاقات الاجتماعية عموماً. إذ أن الفهم الصحيح للهوية الجنسية في عالم البشر يؤدي إلى أن يصير الذكر رجلا والأنثى تصبح امرأة وهذا الانتقال من الطبيعة / الفهم الغريزي إلى الشريعة / الفهم الأخلاقي والقانوني .

المحللة النفسية الشهيرة "فرانسواز دولتو" تركز على ضرورة تعليم الأولاد إلى جانب التنشئة الاجتماعية الخاصة بالحياة البيولوجية للتكاثر تعليمهم القيم الأخلاقية للحب والرغبة في الإنجاب والمحرمات بين الأخوة والأخوات والابن والابنة التي هي بالنسبة إلى "دولتو" أمور أساس في التربية الجنسية، لأن الهو يقع خارج دائرة الأخلاق الاجتماعية وليس لمفهوم المحارم أي دلالة بالنسبة له، مثلما هو الحال عند الثعلب أو الأسد فليس لمفهوم القوة أي دالة عندهم بل هو فهم غريزي اندفاعي. فاللبيدو أو

الطاقة الجنسية يحتوي على الاندفاعات الغريزية النزوية بالإضافة إلى كونه بنية تكوينية للذات تمكن الإنسان من المضي والتطور بالحياة عبر وعي حاجاته وتحكمه باللغة وتحجيم مخاوفه عن طريق الترميز والتخفيف من وطأة المجهول وهذا الأمر مرهون بالتطور المعرفي الذي تحدث عنه " جان بياجيـــه " الذي يرى أن التطور والارتقاء المعرفي يحدث أولاً ثم يتبعه الارتقاء اللغوي، هذا النمو اللغوي المؤسس للهوية الشخصية من حيث التعبير عن النفس عبر اكتساب المفاهيم والمعتقدات الخاصة في كل بلد، فهوية البلد من هوية أبنائه وقيمه من قيمهم وموروثهم الثقافي والعكس بالعكس .

أما أننا اليوم في هذا الزمن المعاصر ، نجد أن الكونية مبنية ليس على الخصوصية للأفراد أو البلدان بل على الانصهار في المجموع وضياع التفاصيل التي تحكم التنشئة للأفراد من خلال المفاهيم الجديدة التي نسمعها ، من كون العالم قرية صغيرة، القرية الكونية... هذه المفاهيم التي روجت لها الدعاية والإعلام من خلال ثورة المعلومات التي كان من نتيجتها زيادة عصاب القلق ومقدار الجهد الذي يلزم أن يبذل لتحقيق التكيف مع المتغيرات السريعة في البيئة المحيطة. فغدا المعيار الحضاري اليوم مرهون بمقدار ما يستطيع الشخص استهلاكه من المنتجات والاستفادة بأكبر قدر من المعطيات التكنولوجية لهذا العصر، وهذا ما ولد نمو للعولمة العنيفة، ففي حين العولمة تعني التشابه والتوحيد في مظهرية الشكل في الاستمتاع، إذ نجد أن النموذج الأمريكي في الاحتكار وليس النموذج القيمي أو الثقافي فمثلاً، البيبسي أصبح بلا منازع هو المشروب المشترك في كل المجتمعات ومشروبات كثيرة محلية استبعدت بل وتغدو أن تنسى. فالنموذج الأمريكي يروج بأنه هو القابل للعولمة بحكم قوة الإنتاج والاحتكار .

لن أنهي كلامي بهذه الفكرة القاسية المتشائمة ، بل أؤكد على أهمية المناعة النفسية التي نتشربها من الأمهات الرائعات المدركات والمحبات لوظيفتهن الأمومية بشكل كبير، من كون الأم لا تعطي فقط الحليب بل تعطي التماسك والثقة والطمأنينة اللازمة في التعامل مع المتغيرات الجديدة في حياتنا العامة والخاصة ، من خلال التنشئة القيميّة التي نتشربها من خلال العلاقة المتفهمة والغير مستعجلة على نمو طفلها بل تعطيه الوقت الكافي في الاستكشاف واللعب والاحتواء، العالم الفيزيائي الشهير "باسكـــال" يقول : الكثير من المعرفة العلمية يقربنا من الله والقليل منها تبعدنا عن الله، لذا أتلمس أن يكون إيماننا بالتطور المعرفي القائم على الشك والبحث والتمعن بمقدرة الخالق لا التمسك الديني المبني على التقليد والحفظ والاستظهار بل على الاستبصار، وبذلك يكون صمام الأمان للحفاظ على هويتنا الثقافية العربية ...

Arabpsynet Reviews

Arabic Edition
www.arabpsynet.com/HomePage/Psy-Reviews.Ar.htm
English Edition
www.arabpsynet.com/HomePage/Psy-Reviews.htm
French Edition
www.arabpsynet.com/HomePage/Psy-Reviews.Fr.htm
APN eJournal
Index: www.arabpsynet.com/apn.journal/index-apn.htm
Reviews FORM
http://www.arabpsynet.com/review/RevForm.htm

Arabpsynet Books

Arabic Edition
http://www.arabpsynet.com/HomePage/Psy-books.Ar.htm
English Edition
http://www.arabpsynet.com/HomePage/Psy-books.htm
French Edition
http://www.arabpsynet.com/HomePage/Psy-books.Fr.htm
APN eBooks
Index:
http://www.arabpsynet.com/apneBooks/index.eBooks.htm

المعجـــم الموســـــوع للعلـــوم النفسيـــة

الإصـــدار الإنكليـــزي - الفرنســـي -العربـــي

"الجـــزء الخامـــس عشـــر "O" "

د . جمـــال التركـــي
turky.jamel@gnet.tn
مستند اكروبات مضغوط
http://www.arabpsynet.com/pass_download.asp?file=3065
(خاص بالمشتركين - محمي بكلمة عبور)

صـــــــراع الهويـــــات.. وثقافـــــة الســـــلام

(المجتمـــع العراقـــــي نموذجـــــا)

أ.د.قاســـــم حسيـــــن صالـــــح – رئيـــــس الجمعيـــــة النفسيـــــة العراقيـــــة –العـــــراق
qassimsalihy@yahoo.com

أسئلة للتأمل والحوار

- ماذا تعني الهوية؟ وهل يمتلك الفرد هوية واحدة أم هويات بعدد الجماعات التي ينتمي لها؟ وفي حالة تعدد هويات الفرد وتداخلها، لأية هوية يكون الدور الأكبر في تحديد اهدافه وسلوكه؟
- ماذا تعني الهوية: الشخصية؟ الوطنية؟ القومية؟ والاجتماعية؟ وما الهوية التي تتحكم بسلوك الفرد والجماعات في حالة وجود صراع بين المكونات الاجتماعية؟

بعد كل ما حدث قبل التغيير وبعده في العراق (2003)، هل يمكن أن يتوحد ثلاثون مليون عراقي في هوية وطنية واحدة ويبقى كل واحد منهم معتزا بهويته الشخصية، والجماعات معتزة بهوياتها الاجتماعية، والكل يعيش في وئام، أم أن ثقافة السلام تتطلب تذويب الهويات الفئوية؟.

تحديـــــد مفهـــــوم

يتداول كثير من السياسيين والمثقفين مفردة (الهوية) كما لو أنهم يحملون عنها مفهوما مشتركا محددا وواضحا، فيما يشير واقع الحال الى أنهم يختلفون في دلالاتها ومعانيها وما اذا كانت نوعا واحدا أم على أنواع.

ومحاولة لتوحيد هذا المفهوم واشاعته في الثقافة بشكل عام والسياسة بشكل خاص، وتوظيفها في المشاريع الهادفة الى اشاعة ثقافة السلام، نشير الى أن علماء النفس الاجتماعي توصلوا الى أن الهوية على أنواع ،أهمها:

1. الهويـــــة الشخصيـــــة / Personal Identity

وتعني ماهية الأفكار والقيم الثابتة نسبيا التي يحملها الفرد بخصوص نفسه ودوره وفئته الاجتماعية والاحساس بكينونته وصفاته الفردية من قبيل النزاهة والكرم..

2. الهويـــــة الاجتماعيـــــة الفئويـــــة

وتعني الشعور بانتماء الفرد لجماعة اجتماعية معينة ،وتقاليد ومشاعر خاصة بها .وتكون على نوعين في المجتمع العراقي :الهوية المذهبية (الطائفية)وتتمثل بطائفتي السنة والشيعة ، والهوية العشائرية ،وتتمثل بالعشائر الكبيرة في المجتمع العراقي بشكل عام.

3. الهويـــــة القوميـــــة

وتعني أحساس الفرد بانتمائه لجماعة كبيرة أو شعب، يشتركون في تاريخ واحد وقيم وعادات وفولكلور ومشاعر مشتركة بين بعضهم البعض.

4.الهويـــــة الوطنيـــــة

وتعني احساس الفرد بانتمائه الى وطن واحد تعيش فيه مكونات اجتماعية متعددة الهويات ،يشكلون شعبا يجمعهم ،على اختلافهم ،شعور مشترك بالاعتزاز بوطن عاشوا على أرضه لتاريخ طويل ،واكتسب أسم دولة لها علم واحد يميزها بين أعلام الدول.

5.هويـــــة الـــــدور

وتعني ما نستدخله من توقعات مرتبطة بالمكانات المختلفة (سياسي، طالب ،صحفي،..).فيما تعني الادوار الاجتماعية ،التوقعات المشتركة لدى الجماعة بخصوص الكيفية التي تتصرف بها جماعة معينة يشترك افرادها بنشاط خاص في سياق نشاط اجتماعي عام.

6.الهويـــــة الثقافيـــــة

وتعني أنماط السلوك والمعتقدات والقيم والفنون والآداب والخرافات ..والمنظور العام للأمور ما اذا كان مرنا أم قطعيا ، التي تميز جماعة اجتماعية او مدينة او وطن.

7.الهويـــــة الدينيـــــة

وتعني شعور الفرد بانتمائه لدين معين واحساسه الداخلي نحو هذا الدين.

8.الهويـــــة الجندريـــــة

وتعني مفهوم الشخص عن نفسه، وماهية شعوره السيكولوجي بخصوص كونه ذكرا أم أنثى، والاختلافات في السلوك الناجمة عن الفرص المتاحة والتحديات والخبرات والمحددات التي تخلقها الأدوار الاجتماعية لكل من الرجل والمرأة.

ولك أن تضيف ما شئت من الهويات التي تتنوع بتنوع المكونات الاجتماعية قد تصل الى عشرات كما في الهند وأمريكا، يشكلون شعبا أو شعوبا في حدود دولة لها علم واحد.

تصنيـــــف الهويـــــات بحســـــب الحجـــــم

مع تنوع هذه الهويات فانه يمكن تصنيفها على أساس حجم أفرادها على النحو الآتي:

1.هويـــــات خاصـــــة

وتتحدد **بالهوية الشخصية للفرد**، بالمفهوم المذكور آنفا،التي لا

يمكن أن تتطابق مع أية هوية شخصية لفرد آخر. وتعني الهوية هنا: الذات الحقيقية التي تجيب عن سؤالين مهمين :**من أنا؟ وماذا استطيع أن أفعل؟** ،ونوع مفهوم الذات لديه الذي يعني تشكيلة المعتقدات التي يحملها بخصوص طبيعته وصفاته وامكاناته التي ينفرد بها ،وسلوكه النموذجي ،وكل ما يتعلق بالصورة الذهنية التي يحملها بخصوص نفسه.

2.الهويـــــــات الفئويـــــــة

وتشمل الهويات المتعلقة بالانتماء لجماعات صغيرة او متوسطة الحجم داخل المجتمع الأوسع ، وتضم كلا من :

أ. الهويات المذهبية(الطائفية)

ب. الهويات العشائرية

ج. الهويات الثقافية

3.الهويـــــات القوميـــــة

وتضم كلا" من :

أ. العرب.

ب. الكرد.

ج. التركمان.

د. الاقليات الأخرى.

4. الهويـــــات الدينيـــــة

وتضم كلا" من :

أ. المسلمين.

ب. المسيحيين.

ج. الصابئة.

د. الازيديين.

هـ. الديانات الأخرى.

5. الهويـــــة الوطنيـــــة

وينضوي تحت هذه الهوية كل المكونات الاجتماعية التي تعيش في وطن واحد اسمه العـــــراق ، ودولة واحدة اسمها جمهورية العراق، فيما يخص المجتمع العراقي ..وكذا قل عن المجتمع اللبناني مثلا.

لقد اشرنا الى أن" الهويـــــة " لها الدور الأكبر في تحديد أهداف الفرد وتوجيه سلوكه ونوع العلاقة التي تربطه بجماعة اجتماعية معينة أو جماعات، لا سيما في أوقات الأزمات. ونشير الى حقيقة نفسية هي حاجة الانسان الى هويتين: واحدة للذات واخرى اجتماعيـــــة.. الأولى تمثل كينونته و " اناه " الخاص به، والثانية تمثل عضويته في جماعة مرجعية (قومية، دينية ، مذهبية..) وهما حاجتان انسانيتان مشروعتان شرط أن لاتكون الهوية الشخصية "الذات" مصابة بالتضخم الذي يقود الى الاستعلاء على الآخرين أو الاحساس بالنقص الذي يؤدي الى الشعور بالاضطهاد المرضي.. وكلاهما من صنف البارانويا، وان لا تثير الهوية الاجتماعية في صاحبها الشعور باعلاء مكانة واعتبار الجماعة التي ينتمي لها بصيغة التفضيل على الجماعات الأخرى.

توصيـــف النـــــاس بحســـــب هوياتهـــم

يمكن تصنيف الناس بحسب هوياتهم الى الآتي:

1. المثقفـــــون غيـــــر المسيّسيـــــن

يغلب لدى هذا الصنف **الاعتزاز بالهويتين الشخصية والوطنية،** بمعنى ان الذي يحدد اهدافهم ويتحكم بسلوكهم هو: انماء فكرهم، واثبات كينونتهم، والشعور بأن لوجودهم معنى، ولجهدهم التنويري جدوى..وهم يغلّبون انتماءهم للوطن على الانتماءات الاجتماعية الأخرى.

2. السياسيـــــــــون

ويقصد بهم الافراد المنتمين لأحزاب وكيانات سياسية بضمنهم المسؤولون في الدولة على صعيد الرئاسات الثلاث والمؤسسات الحكومية ، وهم على صنفين:

أ. الاسلاميـــــــــــون: وهم المنتمون لأحزاب وكيانات دينية توظّف الدين الاسلامي في خدمة السياسة، ويكون للهويتين الدينية والمذهبية، لدى هؤلاء، الدور الاكبر في تحديد أهدافهم وتوجيه سلوكهم.

ب. العلمانيـــــــــون: وهم المنتمون لأحزاب وكيانات تدعو الى فصل الدين عن السياسة، ويكون للهوية الوطنية الدور الأكبر في توجيه سلوك وتحديد أهداف غالبيتهم.

3. القوميـــــــون

ويغلب لدى هولاء التعصب ،بدرجات، لقومياتهم العرقية (العروبيون و الكرديون مثلا"). وتحدد الهوية القومية لدى هؤلاء أهداف ونوع علاقاتهم مع افراد القوميات الأخرى.

4. الطائفيـــــــون

ويغلب لدى هؤلاء التعصب ،بدرجات، لمذهب اسلامي معين أو دين أو معتقد غير اسلاميين. ويكون محرّك السلوك لدى هؤلاء هو الهوية المذهبية أو الهوية الدينية.

5. العشائريـــــــون

ويمثلون شيوخ ووجهاء القبائل والعشائر الكبيرة والمتنفذون فيها. وتتحكم الهوية العشائرية في سلوك هؤلاء ونوعية علاقاتهم بالآخرين.

6. الجماهيـــــر الشعبيـــــة

وهم الغالبية من الناس غير المسيّسين. وهؤلاء لا هوية محددة لهم تحرّك سلوكهم وتعين أهدافهم، انما يتوزعزن بحسب الظروف الموقفية على جماعات الهويات التي يكون لها الدور الفاعل في حمايتهم الشخصية وتحقيق مصالحهم.

ثقافـــــــة الســـــــلام

يعرّف قاموس وبيستر "الثقافـــــة" بأنها: تطور وتحسين وتهذيب العقل والانفعالات والاهتمامات والعادات والاذواق ، فضلا" عن الآداب والفنون والافكار والتقاليد والمهارات الخاصة بجماعة معينة في زمن معين. ويضيف قاموس اكسفورد،ان الثقافة تعني الجانب الذهني للتمدن أو التحضّر .

وما يهم هنا أن الثقافة، بوصفها قيم وأفكار ومعتقدات، هي التي توجّه سلوك الفرد وتحدد نوع أهدافه. ولك أن تشبّه الثقافة، من حيث قوة تأثيرها في السلوك، بالبرنامج الرقمي الذي يتحكم بعمل الحاسوب..وأن تفترض أن بداخل كل واحد منّا " مركز سيطرة ثقافي " هو الذي يوجّه سلوكنا

ويحدد أهدافنا ..وكما أن الثقافة القائمة على التنافس تشجّع على العدوان فان الثقافة القائمة على السلام تشجّع على التعاون والايثار.

ويعرّف قاموس وبيستر "الســـــــــلام" بأنه : التحرر من الحرب وتحقيق الأمن الاجتماعي والتوافق والانسجام والصفاء بين الناس. وعلى هذا الأساس فان (ثقافة الســـــلام) تقوم على ما ذكر في أعلاه، وتعمل على أن تكون الوسيط لنقل: القيم، الأفكار الأخلاقية ، المعلومات، التقاليد، العادات، الانفعالات، والفنون، بين: الناس والاجيال والأمم والحضارات. وبهذا تكون ثقافة السلام قوة منتجة من خلال نقلها للأنماط الثقافية من الماضي الى الحاضر، وخالقا مهما ومؤثرا تربويا فاعلا بما تمتلكه من قدرة على ابتكار ما هو جديد من القيم والمعايير والاتجاهات والسلوك.

وتتحدد قيم "ثقافـــــة الســـــــلام" بالآتي:

1. فهم واحترام ثقافات الآخرين واديانهم.
2. حق كل فرد في أن يعامل بشكل أنساني، واحترام قيمه الثقافية ومعاييره وتقاليده.
3. تأمين حرية كل فرد، وحمايته من العنف والارهاب والحرب.
4. تأمين الحقوق المتساوية لكل من الرجال والنساء.
5. التضامن بين الناس على صعيد شعوب العالم، ومناصرة قيام نظام اقتصادي عالمي عادل.
6. فصل الدين عن السياسة.

ومع أن تحقيق السلام بين المكونات الاجتماعية في العراق (ولبنان ايضا) يحتاج الى زمن بالوصف المذكور في أعلاه، فان الصفحة الأولى من استراتيجية هذا المشروع يجب أن تبدأ بخفض الصراع ين الهويات باعتماد الآتي:

1. احترام كل الهويات، والاعتراف بحق وجودها وتطورها واحترام خصوصياتها، وعدم التعرّض لمعتقداتها وما يخصها من مناسبات، بأستثناء التحليل العلمي القائم على الحوار الموضوعي، بهدف تنقية المعتقد بما ينسجم والحياة المعاصرة، وتصحيح أفكار خاطئة بخصوصه قد تحملها افراد جماعات أخرى.
2. التفاعل المتبادل بين جماعات الهويات في المناسبات الوطنية والدينية والثقافية والترويحية، بما فيها تبادل الزيارات في المناسبات الخاصة بجماعة كل هوية.
3. ضمان عدم تعريض افراد جماعة اية هوية الى الاحباط الناجم عن حرمانهم من تحقيق حاجاتهم المشروعة، لا سيما الأساسية منها المتمثلة بالطعام والسكن والصحة والتعليم.

أن ما ذكر في أعلاه تحقق في المجتمعات التي نضجت فيها الديمقراطية وصار فيها مبـــــدأ تـــداول السلطـــــــة سلميا" تقليدا" ثابتا". والفرد في هذه المجتمعات يكون معتزا" بهويتيه (الشخصية والاجتماعية) ، مانحا" حق الاعتزاز نفسه لأي فرد آخر وأية جماعة أخرى في المجتمع الذي يعيش فيه.. وهذا ما ينبغي أن يتصف به الفرد العراقي بعد أن تغير نظامه السياسي من الدكتاتورية الى الديمقراطية. فكما للعربي الحق في أن يعتز بعروبته، فاللكردي الحق نفسه في ان يعتز بكرديته، وكذا التركماني والقوميات الأخرى. وكما للسنّي الحق في الايمان بمذهبه، فان للشيعي الحق نفسه في الايمان بمذهبه، وكذا الازيدي والصابئي ومن هو على مذهب أو دين أخر. ومع أن احترابا" رهيبا" راح ضحيته، بين عامي 2006 و 2008، مئات الالاف من العراقيين الأبرياء على أساس (الهويـــــــــة)، والمخجل انها كانت احيانا" على الاسم ليس الا، فأن هذا الصراع لم ينتهي بين مكونات المجتمع العراقي، انما دخل في مرحلة، هدنة، وتوجّس وترقب. ولأن للهدنة زمنا" محدودا" ينتهي اما بعودة الاحتراب أو العيش بوئام، ولأن عودة الاحتراب اسهل عمليا" وانفعاليا" (باثارة فتنه على نطاق ضيق مثلا) ،فان العيـــــش في وئـــــام يتطلب استراتيجية تستهدف اشاعة ثقافة السلام بين المكونات الاجتماعية بالوصف المذكور في أعلاه، وأن يبدأ تطبيقه بالأخطر والمحدد بالصراع بين (الهويات القومية) أولا. فخطره – اذا نشب – سيكون ثمنه أفدح وأقسى من الذي دفع في الاحتراب الطائفي، لأن الجارتين الشمالية والشرقية والعرب الجيران والأباعد سيدخلون العراق.. وسيتحول صراع الهويات الى صراع وجود وافناء ..وقد يقطّع العراق الى دويلات ضعيفة فيما المتوقع له أن يكون النمر الآسيوي الأقوى اقتصاديا وعلميا واستراتيجيا ومن الدول المؤثرة الكبرى على صعيد العالم.. ان اعتمد قادته ومثقفوه استراتيجية احتواء صراع الهويات واشاعة ثقافة السلام.

وتبقى ثمة ملاحظة تخص المجتمعات العربية، فبعد أن هبّت رياح التغيير من تونس الى مصر وبلدان عربية أخرى في توجه نحو الديمقراطية، فانها ما أن تهدأ سيتهددها خطر الهويات المتعددة:" دينية ،طائفية،عشائرية،قومية..." لأن الديمقراطيـــــــة ليست فكـــــرا فقط انما هي سلوك مهذّب يحتاج الى ممارسة وزمن ليترسخ في المجتمعات العربية.

Arabpsynet Psychologists Search

www.arabpsynet.com/CV/defaultPsychologists.asp

Arabpsynet Psychologists

Arabic Edition
http://www.arabpsynet.com/HomePage/Psy-Gists.Ar.asp
English Edition
http://www.arabpsynet.com/HomePage/Psy-Gists.asp
French Edition
http://www.arabpsynet.com/HomePage/Psy-Gists.Fr.asp

الحـــرب النفسيـــة ... انعكاساتهـــا علـــى الأفـــراد والمجتمعـــــات العربإ سلاميـــة

خالـد عبـــد السـلام – علـم النفـس وعلـوم التربيـة والأرطفونيـا – سطيـــف - الجزائـــر
absalam05@yahoo.fr

عاشت المجتمعات العربية الإسلامية خلال القرن الماضي مراحل تاريخية عصيبة نتيجة القوى الاستعمارية التي استولت على سيادتها وأراضيها عن طريق التدخل العسكري والاحتلال المباشر للأرض بهدف استذلالها والتحكم في خيراتها وفي نفس الوقت مسخ هويتها وبرمجت عقول أبنائها بالكيفية التي تجعلهم ينسلخون من مقومات ثقافاتهم و يذوبون في قيمهم وثقافته وبالتالي التأسيس لواقع يجعلهم يرضخون ويستسلمون لكل ما يملى عليهم. واستعملت في ذلك كل الوسائل العسكرية والتربوية وحتى الحرب النفسية التي تزلزل من خلالها كل إرادة تغيير ومقاومة.

لكن رغم كل ذلك لم تفلح في كل خططها بفضل قوة الإرادة والوعي بالذات التي نمت وتطورت بفعل المفكرين والعلماء والمجاهدين الذين شحنوا العزائم والهمم ورفعوا التحديات.

غير أن الدول الغربية بحكم طبيعة تفكيرها الاستعماري و الاستعلائي غير المبالي بالآخر الرافض للمنافسة والندية، مازالت تعمل على تحقيق أهدافها الاستعمارية من خلال شن حروبها النفسية ضد كل عناصر قوة مجتمعاتنا لجعلها خاضعة وتابعة لها إلى الأبد حتى ترسخ قناعاة لدينا بأنها قدرا مقدورا علينا ومسيرين وفق خططها.

و نظرا لما آل إليه واقع مجتمعاتنا العربية والإسلامية السياسي والاقتصادي والثقافي والأمني خاصة بعد انهيار المعسكر الشيوعي وظهور نظام عالمي أحادي القطب تتزعمه الولايات المتحدة الأمريكية وبروز معالم استرتيجية التكفل بعدو جديد (الحضارة الإسلامية) شبيه بالعدو السابق(المعسكر الشيوعي) كما حدده فوكوياما في كتابه" نهاية التاريخ" وهينغتون (صدام الحضارات) تعمدنا تناول الموضع من هذه الزاوية من أجل لفت انتباه المسؤولين والمختصين في العلوم الاجتماعية والأمنية للعمل سويا على كشف خطط الحرب النفسية التي تمارس ضدنا، بحيث تصاغ في قوالب فكرية ومعلوماتية ظاهرها مقنع،تخترق الأجهزة العقلية والنفسية لأفراد المجتمع بطرق سحرية وباطنها مدمر كالفيروسات تسعى إلى شلها و تخديرها وبالتالي إبطال قدرتها على الحركة و المقاومة.

و سنبين في موضوعنا طبيعة الحرب النفسية ،أخطارها ونتائجها على الفرد والمجتمع على أن نتاول تقنياتها بالتفصيل في الأعداد المقبلة.

تعريـــــف الحـــــرب النفسيـــــة

قبل تقديم تعريف للحرب النفسية يجدر بنا أولا الإشارة إلى أهم المفاهيم والمصطلحات التي تستعمل للدلالة على مضمون الحرب النفسية وهي :الحرب الباردة، حرب الأعصاب ، حرب الدعايات ، حرب الشائعات ، حرب الكلمة ، والصراع الفكري كما يسميه مالك بن نبي.

أما تعريفها فهي حسب الموسوعة العسكرية :"الحرب النفسية هي مجموعة من الأعمال تستهدف التأثير في العدو بما في ذلك القادة السياسيين والأفراد غير المقاتلين بهدف خدمة أغراض هذا النوع من الحرب".(1)

ويعرفها علماء النفس الاجتماعي :على أنها"استخدام مخطط من جانب دولة أو مجموعة من الدول في وقت الحرب أو في وقت السلام لإجراءات إعلامية بقصد التأثير في آراء وعواطف ومواقف وسلوك جماعات أجنبية معادية أو محايدة أو صديقة بطريقة تساعد على تحقيق سياسة وأهداف الدولة أو الدول المستخدمة"(2)

ويمكن ان نعرفها على أنها نوع من الأفكار والمعلومات المضللة (بالتهويل او التهوين او غير الصحيحة) التي تنشرها دول ضد مجتمعات ودول معادية أو محايدة بطرق متعددة على نمط فيروسات تحطم جهاز المناعة النفسية والفكرية لذلك المجتمع فتجعله مشوش التفكير و مشلول الإرادة والرغبة في المواجهة والتحدي له القابلية للاستسلام لكل السياسات والقرارات والاقتراحات التي تعرض عليه من قبل الدول المستعملة للحرب.

العلاقـــة بيـــن الحـــــرب النفسيـــــة والحـــرب العسكريـــة

– إذا كانت الحرب العسكرية هي تحطيم للوجود المادي للإنسان فإن الحرب النفسية هي تحطيم لوجوده المعنوي.

ـــ إذا كانت الحرب العسكرية تسعى إلى احتلال الحقول فإن الحرب النفسية تسعى إلى احتلال العقول.

ـــ إذا كانت خطورة الحرب العسكرية في قنابلها ومدافعها وأنواع الأسلحة الفتاكة التي تستعمل لتدمير كيان الآخر وتعطي لهذا الأخير

فرصة التحصين ليحمي نفسه منها، فإن الحرب النفسية تتسلل إلى نفسية الإنسان بشكل مقنع فتؤثر في أعصابه ومعنوياته وعواطفه لتشلها وتكبح فيه إرادة الحركة والتفكير و المقاومة.

ــ إذا كان الحرب العسكرية تهاجم العسكريين والمواقع العسكرية فإن الحرب النفسية تهاجم المدنيين والعسكريين على حد سواء.

ــ وإذا كانت الحرب العسكرية محدودة في الزمان والمكان فإن الحرب النفسية مستمرة في الزمان يعني(أوقات الحرب والسلم معا) و تمارس من قبل الكثير من الدول وخاصة الدول الاستعمارية ضد الدول المتخلفة والنامية أو المعادية بشكل يومي والدول العربية والإسلامية بشكل خاص (بحكم تاريخها وثقافتها المنافسة للثقافات الغربية وامتدادها الجغرافي وغناها بالثروات الطبيعية والطاقات البشرية),

ــ وإذا كان من تقنيات الحرب العسكرية التشويش على الرادارات وأجهزت الاتصالات واختراقها لتحريف ضربات العدو وإفساد خططه، فإن الحرب النفسية تعمل على التشويش على العقول وعمليات التفكير للأفراد والقادة السياسيين والعسكريين واختراق ضمائرهم لزرع فيهم الخوف والرعب وجعلهم لا يثقون في أنفسهم بحيث يسيطر عليهم الشعور بالنقص و من ثمة تحويل مشاعرهم بجعلهم يرون العدو صديقا والصديق عدوا.

ــ وإذا كانت الحرب العسكرية تستعمل الحرب الالكترونية والمعلوماتية وتعمل على تدميرها بفيروسات فإن الحرب النفسية تستعمل فيروسات المعلومات المغلوطة والمشوهة و ترسلها إلى أنظمة جهاز التفكير لدى أفراد المجتمع المعادي لتدمر معنوياته وتشل قدرته على الابتكار والتفكير بشكل سوي.

ومن هنا تتضح لنا أهمية وخطورة الحرب النفسية على الفرد والمجتمع.

أهميـــة الحـــرب النفسيـــة

تكمن أهمية الحرب النفسية في النتائج التي تسعى إلى تحقيقها دون تكاليف مادية أو عسكرية.حيث عشنا خلال نهاية القرن العشرين وبداية القرن الواحد والعشرون ثلاث حروب بمنطقة الخليج جعلتنا نعيش فن الحرب النفسية التي شنتها الولايات المتحدة الأمريكية والدول الغربية ضد العراق قبل وأثناء حرب الخليج الأولى والثانية وتلك التي شنتها نفس الدول وإسرائيل ضد حزب الله في لبنان وحماس في غزة من خلال الدعايات والإشاعات والصور التي تبث عبر القنوات الأجنبية والمعلومات المغلوطة التي تبثها من حين لآخر من أجل إحداث هزيمة معنوية ونصرا دون تكاليف. وفي نفس الوقت الحرب النفسية المضادة التي مارستها تلك الأطراف ضد الدول المعادية .حيث كل عمل على نشر الرعب والخوف في الطرف المعادي لإفشاله .

وفي هذا الصدد يقول ديغول حول أهمية الحرب النفسية " لكي تنتصر دولة ما في حرب ،عليها أن تشن حربا نفسية قبل أن تتحرك قواتها إلى ميادين القتال. وتظل هذه الحرب تساند هذه القوات حتى تنتهي من مهمتها"(3)

ويقول أحد المفكرين حول أهمية الحرب النفسية بالنسبة لإرادة التغيير والإصلاح في المجتمعات العربية الإسلامية "إن الحرب النفسية هي أخطر الحروب التي تواجه الثورات والحركات الإصلاحية في كل زمان ومكان فهي تحاول أن تصيب الأفكار والتعاليم والمبادئ الناهضة وتحول بينها وبين الوصول إلى العقول والرسوخ في القلوب .وهي تزرع بذور الفرقة والانقسام وتضع العقبات أمام التقدم والتطور. وتعمل في الظلام وتطعن في الخلف. وتلجأ إلى تشويش الأفكار وخلق الأقاويل والإشاعات ونشر الإرهاب وإتباع وسائل الترغيب والتهديد " وهو ما فعلته فرنسا ضد حركات المقاومة والانتفاضات الشعبية التي ظهرت منذ احتلال الجزائر سنة 1830إلى ثورة التحرير سنة 1945 وبقيت مستمرة إلى يومنا الحالي بأشكال وألوان جديدة ومتطورة .

كما ان أهمية الحرب النفسية تكمن في أنها تثير الدوافع التي تنشأ في نفوس المواطنين أثناء الحرب أو عند تعرضهم للمصاعب والتهديد أو الخطر المستمر كما حدث في الجزائر خلال العشرية السوداء ،وهي تسعى إلى تحطيم معنوياتهم ثم تهيئتهم نفسيا لقبول آية فكرة أو حل يطرح عليهم ثم تشجيعهم على تنفيذها وأخيرا مساعدتهم على تحقيقها.

إذن نستخلص أن الحرب النفسية لها مفعول أخطر من مفعول القنابل والصواريخ والمدافع لأنها تحطم قوة الإرادة والحركة لدى كل أفراد المجتمع سواء كانوا قادة أو مقودين.

أهـــداف الحـــــرب النفسيـــــة

وبناء على ما سبق نجد ان الحرب النفسية تسعى إلى تحقيق عدة أهداف حسب الظروف والطرف المعادي ومن أهمها ما يأتي:

1- إضعاف ايمان الجماعة المعادية بكل ما يخصها من دين وعقيدة أو مبادئ وقيم,عن طريق تضخيم بعض الأخطاء السلوكية أو التصورات الفكرية المختلفة معه و تهوين بعض القيم والتشهير بها إلى درجة الاستهزاء. وهذا ما تقوم به الصحافة الغربية اتجاه الدين الإسلامي منذ سنوات وخاصة بعد سقوط المعسكر الشيوعي والتأسيس للعولمة من خلال كتاب فوكوياما "نهاية التاريخ "الذي بشَر فيه لنهاية عصر الايديولوجيات وانتصار الفكر الرأسمالي. و في نفس الوقت لوح في كتابه بوجود حضارة وفكر منافس للرأسمالية وهو الدين الإسلامي لذلك حان الوقت للتفرغ كلية لمواجهته و تحطيمه كما حطمت الشيوعية. فكانت أحداث 11 سبتمبر 2001 الأرضية التي وفرت مناخا نفسيا وسياسيا لتشن كل الدول الغربية حملاتها التشويهية والتحريضية والتخويفية من كل ما له علاقة بالإسلام" تصريحات سياسية ،رسومات كاريكاتورية مسيئة للرسول"ص" قضية الحجاب التشهير بالواقع المأساوي الذي تعيشه بعض المجتمعات الإسلامية وخاصة من زاوية واقع المرأة من أجل تنفير وتخويف الناس من هذا الدين. ويمكن اعتبار أيضا ظهور الجماعات الإرهابية المسلحة في الكثير من الدول العربية و الإسلامية أحد عناصر استراتيجياتها في الحرب النفسية، باعتبارها تحقق أهدافا تعجز هي عن تحقيقها بوسائلها المباشرة .حيث تكونها و تدعمها سريا بنفس الاستراتيجية التي اعتمدتها في أفغانستان لمحاربة الشيوعية.

2 ـ إثارة بذور وعوامل الفرقة والشقاق في صفوف الجماعة المعادية أو المحايدة بتفريق أفراد الشعب عن القيادة وتفريق أبناء المجتمع الواحد عن بعضهم البعض عن طريق زرع قنابل عنقودية متنوعة في عقول أفراد و جماعات المجتمعات الإسلامية والعربية بعناوين مثل "الأقليم" كما هو في اندونيسيا" **الجنس والعرق**" كما هو في الجزائر ودول المغرب العربي ""الدين " كما هو في مصر (الأقباط) ولبنان في قضية الطوائف وآخر ماركة من هذه القنابل هي قضية المذهب" بين الشيعة والسنة في العراق ولبنان وبين إيران ودول الخليج . حيث تمكنت الدول الغربية بوسائلها الاعلامية والدعائية وعلى رأسها الولايات المتحدة من زرع هذه القنبلة الأخيرة بين المسلمين بعد غزوها للعراق مباشرة ، فكرست مبدأ التخويف من النفوذ الايراني والشيعي على حساب السنة .وتصنع من إيران بمشروعها النووي عدوا و إسرائيل دولة معتدلة وصديقة للعرب والمسلمين . فهذه الاستراتيجية قديمة قدم الاستعمار التي يعتمد مبدأ فرّق تسد داخل الدويلات التي استولى عليها وتحضرني هنا مقولة لأحد الفكرين الفرنسيين روزي (Rozet) مدعم سياسة الإدماج

خلال سنوات استعمار فرنسا للجزائر قائلا عن واقع المجتمع الجزائري" إن الجزائر تتكون من أمم متعددة بني ميزاب ، الأمازيغ، والعرب ويحدث بينها صراع". كما أكد هيرب فريدمان ضابط متقاعد في الجيش الأمريكي عمل بقوات الحرب النفسية في أفغانستان حينما قال " سنوزع منشورات وفق مبدأ فرق تسد لمحاولة فصل الشعب عن طالبان" (جريدة الشرق الوسط أكتوبر 2001 عدد8346) وما يحدث في السودان واليمن والعراق ولبنان(حيث ما لم تستطع أمريكا تنفيذه في العراق ولبنان من صراع طائفي ومذهبي بين السنة والشيعة بدأ يتحقق بأيادي عربية أمينة نظام اليمن بمساعدة السعودية) فهل هذا غباء أم وفاء للولاء أم ماذا؟!.

3- تهويل وتضخيم الضائقة الاقتصادية والمالية والاجتماعية: من أجل فرض الهيمنة والوصاية على تلك الدول عن طريق قروض و خطط إنقاذ وفق شروط استذلالية تزيد الدولة المستدينة تبعية ورضوخا. وهو ما لاحظناه في تحاليل الصحافة الفرنسية بصفة خاصة والغربية بصفة عامة لواقع الأزمة التي مرت عليها الجزائري منذ أكتوبر 1988، حيث أرجعوا أسباب الأزمة إلى اللغة المعتمدة والقيم الدينية والفلسفة الاجتماعية السائدة وغيرها من الدعايات التي حاولت من خلالها تشويه مقومات الشعب الجزائري.فطرحوا مشكلة الأقليات العرقية وغيرها.

4 - تحقيق السيطرة على إرادة الشعوب وقياداتها وتوجيهها وفق ما تريد حسب ما يخدم مصالحها وسياساتها. من خلال التشكيك في قدرات وخطط وبرامج البلدان المستهدفة، لتجعلها تتعقد من شخصيتها وبالتالي تستسلم لقرارات الدول الاستعمارية دون نقاش ولا ملاحظة. وهو ما نلتمسه في مختلف المفاوضات التي أجرتها الجزائر ومختف الدول العربية والإسلامية مع مختلف المنظمات والدول الغربية.

5 - على الصعيد الاجتماعي تسعى الحرب النفسية إلى إحداث البلبلة والفوضى في معسكر العدو: للتأثير في الروح المعنوية لأفراد المجتمع وقرارات القادة. وهو ما عشناه نهاية الثمانينات في الجزائر وفي المباشر في الكثير من الدول الإفريقية والعربية (قضية دارفور في السودان) في لبنان وفي الصومال وكذا في ايران بعد الانتخابات الرئاسية مؤخرا.

5 - تدعيم التطرف الديني والسياسي للتشويش على القناعات والاعتقادات الدينية الصحيحة والمعتدلة والتشكيك في مصداقيتها.(الفكر السلفي المسالم والجهادي) (حركة التمسيح..).

6 - تعميم مشاعر الإحباط واليأس بين أفراد المجتمع وخاصة بين فئة الشباب بحكم خصوصية اهتماماته وطموحاته. وغيرها من أهداف سياسية واقتصادية واجتماعية واستراتيجية.

ويؤكد مثل هذه الأهداف البروفسور رجيار داكروس رئيس الحرب النفسية في بريطانيا خلال الحرب العالمية الثانية حينما قال أن من أهم أهداف الحرب النفسية هي :

أ ــ تحطيم قيم وأخلاقيات الشعب الذي توجه إليه الحرب النفسية.

ب ــ إرباك كل نظرته السياسية وقتل كافة معتقداته ومثله التي يؤمن بها.

ج ــ إعطائه الدروس الجديدة ليؤمن بها بعد ذلك و بكل ما نؤمن به.

د ــ زيادة شقة الخلاف بين الحكومات وشعوبها.

ه ــ غرس بذور الفرقة بين أبناء الشعب الواحد.

يعني أن الدول الاستعمارية لا يمكن لها في يوم من الأيام أن تعزز ثقتنا بأنفسنا ووحدتنا وتعزز روح الانتماء لأوطاننا والاعتزاز بها. بل في كل تصرفاتها وأعمالها الإعلامية والسياسية والاقتصادية تسعى دائم إلى زرع الشك وعدم الثقة ،القتنة والفرقة بيننا و الإحباط وروح الانهزام والاستسلام لإرادته و بذلك يؤسس لنمط أفراد و شعوب لها القابلية للاستعمار كما سماها مالك بن نبي. تنبهر بكل ما يأت من الخارج وتستهين وتستهزئ بكل ما له علاقة بالذات والهوية والانتماء للوطن.

ميـــــدان الحـــــرب النفسيـــــــة

يعتبر الإنسان بما فيه من روح وعقل وجسم هو الميدان الحيوي للحرب النفسية قصد توجيهه والتحكم فيه كما تشاء القوى المستعملة للحرب.

فالله سبحانه وتعالى زود الإنسان بعناصر قوة ومصادر طاقة تؤهله ليواجه صعاب الحياة بكل أشكالها.

ومن هذه الطاقات ما يأتي:

1 - الطاقة الروحية: وهي أهم قوة في الإنسان والتي تعتبر بمثابة واقي الصدمات Air bag .و الذي يجعله يتسامى بمعنوياته إلى العلى متمسكا بقدرة الخالق التي تزيده شعورا بالاعتزاز بالذات والاطمئنان .بحيث لا يتزعزع عند الشدائد وأحسن مثال على ذلك قوة إيمان الشهيد العربي بن مهيدي الذي جعله يبتسم ويتحدى كل أساليب التعذيب التي كانت تمارس عليه من قبل جلاديه ولم يقدم أي معلومة حول أسرار الثورة. فهذه الطاقة الخارقة هي التي تجعل أفراد المجتمع يملكون القدرة على التحمل والصبر لكل المحن والشدائد. و لما أدرك غيرنا أهميتها أصبحوا يستعملون كل الوسائل الدعائية (بما فيها الأعمال الإرهابية) للتشكيك والتشويه بكل ما له صلة بهذا المصدر الإيماني.

2 - الطاقة النفسية(قوة الإرادة والعزيمة):فهي ثاني مصدر قوة الإنسان التي تجعله صانع حقيقي لمستقبله ونجاح مسار حياته ، وبواسطتها يحقق طموحاته و سعادته. فقوة الإرادة والعزيمة على الفعل والعمل هي مولد طاقة الحركة لدى الإنسان و تجعله لا يعترف بالمستحيل أو بالصعب.

وقد علمتنا تجارب الحياة و أحداث التاريخ أن صاحب الإرادة دائما يتغلب على خصمه وعدوه رغم عدده وعدته. و لنا في الثورة التحريرية أحسن مثال التي غلبت فيها إرادة النصر والاستقلال على جبروت القوة العسكرية والدعائية (الحرب النفسية) للاستعمار الفرنسي.

ونظرا لأهمية هذا الجانب أصبحت الحرب النفسية تستهدف تحطيم إرادة الخصم بالتخويف والتهويل والوعيد وغيرها من أدوات شل الارادة.

3 - قوة التجمع والاتحاد:وهو يمثل مجموع القوى الفردية التي تتشكل وتنشأ عن الوحدة والاتحاد في الاتجاهات والقيم والشعور بالانتماء والمصير المشترك.على شاكلة المعادن عندما تتحد عناصرها المختلفة لتكون عنصرا واحدا قويا وصلبا. فالمعروف في دراسات علماء النفس وعلم الاجتماع أن الفرد ضعيف لوحده وقوي بإخوانه. لذلك أصبحت غريزة التجمع(اجتماعي بالطبع) والحاجة إلى الغير والانتماء إليه من حاجاته النفسية الأساسية. ونظرا لأهمية هذه القوة لدى كل المجتمعات أصبحت الدول الاستعمارية تعتمد سياسات فرق تسد باسم الجغرافيا وباسم العرق وباسم الدين والمذهب أو الحزب أو الأقلية وهكذا من مسميات.و هو ما نشاهده ونعيشه يوميا في مختلف مناطق العالم العربي والإسلامي والعالم المتخلف من نزاعات مسلحة وحروب عرقية ودينية وانتفاضات وحركات انفصالية مدعمة غربيا. و هو ما تحاول تجسيده في الجزائر بمختلف العناوين العرقية تارة والمذهبية والدينية ،كما هو بالنسبة لسياسة التمسيح التي بدأت تظهر في مختلف مناطق الوطن التي تريد من خلالها خلق أقلية دينية تستعمل كورقة ابتزاز وضغط ضد الدولة الجزائرية بعدما فشلت سياساتها التفريقية الأخرى إلى حد الساعة.

4 ـ قوة الاقتصاد : فالمجتمع الذي يحقق اكتفاؤه الذاتي ويطور ثرواته الطبيعية ليرقى بمستوى معيشة أفراد مجتمعه ،يكون بمنأى عن الابتزاز السياسي والتدخلات الخارجية. و يكون في موقع القدرة على فرض الشروط بل يتمتع أكثر باستقلالية قراراته وسياساته.

5 ـ قوة العلم والتكنولوجية : كلما تطورت أي دولة علميا وتكنولوجيا كلما فرضت وجودها بين الأمم والعكس صحيح.

نستخلص من كل ما سبق أن عناصر الفرد والمجتمع هي نفسها عناصر قوة أي دولة ولذلك فالحرب النفسية تعمل أساسا على إضعاف وتحطيم عناصر القوة في الإنسان والمجتمع والدولة و تستثير وتنشط عناصر الضعف فيه كالشهوات والغرائز بالإغراءات والترغيب(الرشاوي) والترهيب تارة أخرى لتحطيم القيم والأخلاق كما يحدث بالنسبة للمساعدات الاقتصادية والأزمات المالية والاجتماعية و البرامج الثقافية.

وسائـــــل الحـــــرب النفسيـــــــة

لتحقق الحرب النفسية مفعولها ونتائجها تعتمد عدة وسائل من أهمها:

1ـ الحملات الإعلامية : إذا كان الإعلام يصنف قديما بأنه يمثل السلطة الرابعة فإننا يمكن تصنيفها في عصرنا الحالي بأنها تمثل السلطة الثانية بل الأولى نتيجة لما تحققه من نتائج ملموسة وتغييرات جذرية في السياسات والاستراتيجيات وحتى في الجغرافية السياسية.

وهي تتنوع من الإعلام المكتوب ،المسموع والمرئي خاصة والمعلوماتية وتكنولوجية الاتصال السلكية واللاسلكية دليلنا في ذلك اختراق شبكات الاتصال من قبل المخابرات الاسرائيلية والأمريكية والبريطانية وبث رسائل sms لهواتف اللبنانيين والفلسطينيين في الحربين الأخيرتين وكذا الإيرانيين بعد الانتخابات الرئاسية الأخيرة محاولين في ذلك زرع الشك والبلبلة بين المواطنين لاضعاف معنوياتهم عن طريق التخويف والعلومات المغلوطة.

وتعتمد في ذلك أساليب : الدعاية والإشاعة التي سنفصل في تقنياتها وشروطها وظروفها في عدد لاحق إن شاء الله.

2 ـ الضغوط السياسية والدبلوماسية: كما يحدث مع إيران في برنامجها النووي ومع السلطة الفلسطينية في ملف المفاوضات مع إسرائيل. ومع السودان في ملف ظاهره دارفور وباطنه البترول.

3ـ العقوبات الاقتصادية والمالية: وممارسة الحصار الاقتصادي كما هو مطبق على سكان غزة، وإيران وكوريا الشمالية وغيرها من الدول التي لها الجرأة وروح التحدي لتقول للدول الاستعمارية **(لا)** للخضوع، ولا للهيمنة.

4 ـ شن الغارات العسكرية الاستفزازية كما هو في جنوب لبنان وسوريا مؤخرا .

5 ـ القيام بالأعمال العسكرية الرادعة كما حدث في العراق وسوريا مؤخرا.

نتائـج الحـرب النفسيـة علـى مجتمعاتنـا العربيـة والإسلاميـة

لقد حققت الحرب النفسية الممارسة علينا من قبل الدول الغربية عدة نتائج لها انعكاسات خطيرة على مستقبل مجتمعاتنا من أهمها :

ـــ إرباك الأنظمة السياسية وابتزازها سياسيا واقتصاديا.

ـــ إشعال فتيل النزاعات والصراعات المسلحة داخل بلداننا بألوان مختلفة.

ـــ وضع قنابل اجتماعية وسياسية موقوتة من خلال تدعيم أقليات دينية وعرقية وسياسية(العراق السودان والصومال أندونيسيا وماليزيا وباكستان ..) ومحاولة خلق أقليات دينية جديدة(سياسة التمسيح في الجزائر).

ـــ النفوذ إلى برامجتنا التربوية تحت دعاوي مختلفة والعمل على تغيير محتوياتها بما يتماشى وثقافة الاستسلام والانهزام وترسيخ عقدة النقص لدينا.

ـــ التشكيك والتشويش على تصوراتنا وقناعاتنا اتجاه قضايا الأسرة والمرأة والضغط من أجل تغيير النصوص القانونية المنظمة للأحوال الشخصية والاجتماعية بما يعزز الانحلال الخلقي والاجتماعي اللذان يفقدان تماسك الأسرة التي تعتبر نواة المجتمع.

ـــ تعقيدنا من اللغة والدين الإسلامي وصل الأمر بأفراد مجتمعاتنا ومسؤولينا السياسيين إلى درجة الحرج و الارتباك عند الحديث باللغة العربية في المواقف الرسمية أو الاستشهاد بالدين الإسلامي.

ـــ إشغالنا بالقضايا الهامشية كالمذهبية (الشيعة والسنة في الخليج)(السنة والإباضية في الجزائر) على حساب القضايا المصيرية كقضية فلسطين والعراق وقضايا التنمية والوحدة.

نشوء أجيال من الشباب محبطة ويائسة من كل شيء له علاقة بوطنه (الانتحار والهجرة السرية(الحرقة)مع الانبهار و الولوع بكل ما له علاقة بالغرب....

ـ نشوء ثقافة الاستسلام والخضوع لمخططات الدول الاستعمارية.

ـــ نمو الروح الانهزامية لدى أفراد وقادة الدول العربية والاسلامية خاصة بعد أحداث 11 سبتمبر 2001 وحتى لدى بعض نخبها المثقفة، من منطلق الخوف والرهبة وعقد النقص من قوة الغرب وعدم القدرة على مواجهته.

كيف نواجه ونقي أنفسنا ومجتمعاتنا من أخطار الحرب النفسية ؟

إن طرق مواجهة الحرب النفسية ترتبط ارتباطا وثيقا بالأهداف التي تسعى إلى تحقيقها وذلك بإبطال مفعولها او تحويل اتجاهها نحو الجهة المعادية (الحرب المضادة) عن طريق :

1 ـ اعتماد إستراتيجية التحصين لأفراد المجتمع في مختلف الجوانب مثل:

ـ **التحصين النفسي** بزرع روح الثقة في الذات – الاعتزاز بالنفس ، والاعتماد عليها مع تنمية روح التحدي والنّدية في التعامل مع الآخر وتنمية روح المسئولية لدى أفراد المجتمع حتى لا يكونوا إمعة ينساقون وينقادون وراء كل الدعوات والنعرات بسهولة.

ـ التحصين الفكري والعقائدي،عن طريق تقوية مفاهيم عقيدة المجتمع ومبادئه النبيلة وتصوراته المنطقية المبنية على القناعات الراسخة والتفكير العلمي في شؤون الكون والنفس والاجتماع والسياسة مع محاربة الخرافات والاعتقادات البالية المثبطة للعزائم والمستسلمة للأوهام ومحاربة كل أشكال التطرف.

ـ التحصين الاجتماعي بتعزيز روح الانتماء للوطن والأمة والاعتزاز بذلك عن طريق تدعيم مفاهيم التعاون والتكافل والاتحاد والمساواة والعدالة بين أبناء المجتمع الواحد . ونتعجب في هذا الأمر كيف أن أوروبا مهد القوميات والعرقيات ،عناصر الاختلاف فيها أكثر من عناصر الاتفاق استطاعت أن تؤسس اتحادا و تكتلا سياسيا واقتصاديا و تعمل على تأسيس وحدة ثقافية وفكرية واجتماعية،ونحن العرب والمسلمين نملك كل عناصر الاتفاق والوحدة الفكرية والدينية لم نستطع أن نحصن حتى وحدتنا الداخلية.

2 ـ تقوية جهاز المناعة السياسية والإعلامية والاقتصادية عن طريق :

أـــ تقوية الثقة بين أفراد المجتمع أفقيا وعموديا بين الحكام والمحكومين **(جهاز المناعة السياسية)**من خلال تأسيس تقاليد التسيير والتداول السلمي على السلطة وترسيخ تقاليد النقد البناء و المحاسبة العادلة لكل مسؤول مع ترقية حقوق الإنسان واحترامها من خلال تعزيز مفهوم دولة القانون حتى لا تستغل الثغرات والهفوات في الحملات الدعائية والضغوط السياسية والاقتصادية كما هو في الكثير من الدول النامية.

ب ـــ تعزيز وتدعيم قيم الحوار و مبدأ المشاركة الجماعية في معالجة مختلف القضايا العالقة داخل مجتمعاتنا بدل الانفرادية والتسلط وسيطرة لغة العنف و المواجهة في حل خلافاتنا.

ج ـــ تدعيم فضاءات حرية التعبير لتمكين أفراد المجتمع من الشعور بالعزة والكرامة وروح المسؤولية .

د ـــ تعزيز حرية الإعلام وتعدده لنشر الحقائق والمعلومات بشفافية ومصداقية لسد الطريق أمام الدعايات والإشاعات المغرضة .

هـــ ـــ توفير فرص العمل وتدعيم المستوى المعيشي لأفراد المجتمع حتى لا تكون البطالة و الفقر مرتعا لسياسات التمسيح و الجوسسة وغيرها.

وغيرها من الإجراءات التي تساهم في تقوية جهاز مناعة المجتمع. فهذا التحصين يعتبر صمام أمان قوة المجتمع والدولة. لأنه إذا كان الأطفال يحتاجون إلى تقوية جهاز مناعتهم البيولوجية منذ الصغر عن طريق حقنهم بلقاحات تساعدهم على مقاومة مختلف الأمراض والأوبئة فإن أفراد المجتمع يحتاجون إلى اللقاحات السالفة الذكر لتقوية جهاز مناعتهم النفسية من كل الاختراقات والاهتزازات. (تأسيس نظام الواقي للصدمات النفسي Air bag-).

ونستخلص أن الحرب النفسية تقاوم وفق المعادلة الآتية:

المناعة النفسية+ المناعة الفكرية ،العقائدية والسياسية +المناعة الاقتصادية+المناعة العلمية والتكنولوجية == فرد ومجتمع محصنين من كل الصواريخ والقنابل النفسية المدمرة

والذي يمكن تسميته باللغة الفرنسية =Air bag psychosocial

وبذلك نكون أو لا نكون

الأستاذ خالد عبد السلام جامعة فرحات عباس سطيف أوت 2009

المراجـــــــــع

1- المسوعة العسكرية الجزء1 .المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

2- حامد عبد السلام زهران.علم النفس الاجتماعي – عالم الكتب ط3 1979 القاهرة.

3- عبد الحميد محمد الهاشمي .المرشد في علم النفس الاجتماعي ديوان المطبوعات الجامعية.دون سنة.

4 – عبد السلام عبد الغفار .مقدمة في علم النفس العام . ط2 .دار النهضة العربية .القاهرة.

5- فخري الدباغ. غسل الدماغ ,المؤسسة اللبنانية للنشر , 1970 بيروت.

مقالات من النترنيت

– د . سمير محمود قديح – باحث في الشئون الامنية والاستراتيجية- الحرب النفسية و طرق التصدي لها موقع دنيا الوطن الافتراضية.تاريخ النشر .2006/12/17 .

ومقالات أخرى مثل :

ـــ أندريه ستون .أمريكا واستخدام الحرب النفسية في المعركة ضد بن لادن وطالبان "مجلة الشرق الوسط العربي الافتراضية".

– الحرب النفسية في النظام الدولي الجديد.ل الدكتور سعد العبيدي

المعجـــــم الإلكتـــــروني الموســـــع للعلـــــوم النفسيـــــة

"ســـــــي – دي"

الإصدار الكامل (عربي – انكليزي – فرنسي)

(CD) Complete Edition – ePsydict C

Fr.Ar.Eng –Ar .Eng.Fr –Fr .Eng.Ar

تنزيل نسخة تجريبية

www.arabpsynet.com/HomePage/ePsyCs.exe

الإصدار الإنكليزي الفرنسي

(CD) Edition French -English –ePsydict EF
French.English –French .English

تنزيل نسخة تجريبية

exe.ePsyEFs/HomePage/com.arabpsynet.www//:http

صـــــوت أبنـــــــــاء مصـــــــــر

د. أنيســـــة الأميـــــن مرعـــــي – محللـــــة نفسيـــــة – لبنـــــان
elaminemerhi@yahoo.fr

" أبي، ألا... ترى إني أحترق"
سيغموند فرويد – تفسير الأحلام

كتب **محمد فرج** ، من القاهرة ، في **"سفير الشباب"** بتاريخ **22 شباط 2011** م. **10 ما يلي :**

" نحـــــن مصريون، نحن الذين ولدوا بين أوائل السبعينات ومنتصف الثمتنينات.

نحـــــن الذين ذهبنا إلى مدارس لاتشبه المدارس، واعتدينا على مدرسينا وفررنا من الأيام الدراسية التي كانت مملة.

نحـــــن الذين دخلنا جامعات لاتشبه الجامعات ولم نتعلم سوى كيف نعبر تلك السنوات لنتخرج إلى الفراغ.

نحـــــن مدخنو الحشيش، ومشجعو كرة القدم بحرقة التهبت لها حناجرنا وانفلتت أعصابنا كثيرا من أجل النصر في المباراة.

نحـــــن المتحرشون بالفتيات في المواصلات العامة وفي الأماكن المزدحمة وفي الأعياد وفي كل مناسبة تسمح لنا بلمس فتاة مارة.

نحـــــن الذين نصلي أحيانا خلال العام، ونصلي دائما في رمضان، ونبكي بحرقة كي يغفر الله ذنوبنا التي لا نعرفها ونحتفل في العيد بالمخدرات والحشيش.

نحـــــن محبو تامر حسني وهيفاء وهبي ونانسي عجرم وروبي أيضا، نتبع الفيديو كليب بكل حرص وتلهف لنعقد المقارنات بين صدر هذه ومؤخرة تلك.

نحـــــن ننفق الساعات الطويلة أمام شاشات الكمبيوتر، باحثين عن غرف الدردشة الجنسية على شبكة الأنترنت.

نحـــــن الذين نلقي القمامة في الشارع ونتأسف كثيرا من أكوامها التي تتراكم أمامنا بثبات.

نحـــــن الذين بعنا مصاغ أمهاتنا ومدخرات آبائنا القليلة لنعطيها لسمسار ليضعنا في مركب ليلقي بنا على شواطئ أوروبا، لكننا غرقنا في البحر.

نحـــــن الذين ذهبنا إلى الغردقة وشرم الشيخ لنبحث عن سائحة أجنبية يمكنها منحنا جنسية أخرى وبلد آخر.

ولكن كان ثلاثاء، وجدنا أنفسنا نمشي في الشارع، في كل المدن كنا نمشي، في كل الشوارع، **نرفع أصواتنا التي لم نعرف أنها لنا.** أصوات **تنادي بلدا اكتشفنا أنه وطناً.** وبدأنا نعرف معنى هذه الأحرف الثلاثة : **"وطـــــــــن".**

نحـــــن الذين أمسكنا بأيدي الفتيات كي نعبر معا إلى ساحة ميدان الحلم، ولم نتحرش بهن، ولم نشعر إلا بأننا واحد. "

عيّن هذه الشاب وسّمى مرة واحدة **كل ما كان يشكو منه الشباب المصري**، متع موجعة وآنية، قلق إزاء الجنس الآخر، هجرات وغرق في البحر.

أصواتهم فاجأتهم هم قبل أن يصل صداها إلى كآبة الكبار وقنوطهم وهزيمتهم على مدى ما يقارب النصف قرن. وعي برز فجأة كأنه آت من مكان آخر. صوتهم واحد، ذكورا وإناثاً، كلمة واحدة : **لا.**

من أين خرج هذا الصوت ؟

إلى أين هو ذاهب ؟

الأجســـــــــاد المحترقـــــــــة

بين" *الغرق في البحر* " و"جسد محمد بوعزيزي الملتهب" توجد مسافة ضوئية. الغرق في البحر هو الصمت والموت والغياب، هو الذل والمهانة، هو أن يكون الواحد لاشيئ.. جسد الاحتراق هو على العكس من ذلك كلية، إنه مشهد هائل يحضر معلنا الحضور الكبير لمأساة وجود من دون معنى، وجود اللا أحد. المشهدية العلنية في السلوك هي نداء و رسالة موجهة إلى من يجب أن يرى ويفهم ويتدخل. ولكن، قال زين العابدين بن علي عن البوعزيزي التونسي " فليمـــــــــت "..، الطاغية ميت، لايسمع ولايرى ولايشعر. وصلت الصورة إلى مكان آخر. الجسد الملتهب صورة اخترقت الأجساد الملتهبة رغبة بالحياة وبالكرامة. صورة مشهدية. والصورة أكثر وصولا لأنها طفولية. نحن نلتقط الصور قبل التقاط الكلمات، تذهب الصورة مباشرة إلى هواماتنا. الأجساد الملتهبة بالرغبة، مسها الحريق فصرخت. وكانت صرخة الولادة. يقول محمد فرج "*كان ثلاثاء .....كنا نمشي في كل الشوارع ، نرفع أصواتنا التي لا نعرف أنها لنا* " .

لمـــــاذا لا يعـــــرف الطفـــــل صوتـــــه ؟

تتم بين الأم وطفلها لغة خاصة، هي نظرات ولمسات وأصوات يتبادلانها. هي كود خاصة بهما. عندما يتم تعلم اللغة يحضر الأب " هذا أبوك " تسميه الأم، إنه رجلها القادر على إشباع رغباتها وإملاء نقصها، إنه الحامل للقضيب (الفالوس) بكل ما يعني ذلك من حضور وقوة ومعنى وقدرة. أنه الثالث الذي له وظيفة جوهرية في قطع حبل السرة بين الأم والطفل. يأخذ الأب بيد ابنه إلى العالم الرحب ويدخله إلى العالم الرمزي، عالم اللغة، عالم المعنى. تكمن أهمية دور الأب كونه المنافس الأساسي الذي يطرح أمام الولدا صبي أو بنت \ صورة يجهد في تمثلها ليأخذ مطرحا في الدنيا، حيث ينسج المتخيل سيناريوهات تشكل دروبا للتحقق الفردي، لتكوين هوية، لتغذية النرجسية الذاتية، ليصير الصبي رجلا يبحث عن امرأة تضاهي أمه، ولتصير البنت أنثى تلتقي برجل يضاهي أباها. إذا لم يمتلك الأب هذه الصورة الصلبة لا تستطيع صورته أن تبني رجالا ونساء.. يبقى الطفل غارقا في البحر. ماذا لو كان الأب مهزوما! ألا تصير الأم مطلقة القدرة! هي التي تخلف وهي التي تعطي الأمان. ألا يبقى الأولاد هنا أطفالا!

مـــــــن أيـــن يأتـــــي الأب ؟

ما من أب خرج " أبا " من بطن أمرأة. البطن لا يولد سوى أبناء.الأب بناء يتكفل الحقل العام بتكريسه.

مـــــاذا عـــــن الأب المصـــــري اليـــــوم ؟

هنا سوف نستكشف صورة الأب في المتخيل الشعبي كما تقدمه المسلسلات المصرية.

المسلسل مرآة اجتماعية موجودة في كل بيت، تتعاقب مع الليالي، صور للذات وللغير في شبكة من العلاقات والأحداث حيث الداخل والخارج، البيت والشارع، يتداخلون بشكل توليفي وطبيعي ، ليلة بعد ليلة وحلقة بعد حلقة.

حضـــــرة المتهـــــم أبـــــي

. " حضرة المتهم أبي " مسلسل عرض في رمضان 2006. كتابة محمد جلال. إخراج رباب حسين.

. في هذا المسلسل مادة ملفتة لما آلت إليه الحال في الواقع المصري، من تداع للمؤسسات التي كانت رافعة لمسار التكون الشبابي الحالم بالغد. يقوم التحليل عبر تقديم الدلالات الأساسية لمسار أستاذين. أستاذ اللغة العربية في مدرسة ثانوية وأستاذ جامعي هو بنفس الوقت ، كاتب صحفي ومناضل سابق، كليهما أب لأسرة. إلى جانبهما آباء آخرين. ومصير الأبناء في بيئة هزمت فيها القيم الإنسانية.

الحالـــــــــــة الأولى

الأستاذ عبد الحميد أحمد دراز، **أستاذ اللغة العربية** في المدرسة القومية النموذجية للغات .

أستاذ نموذجي في التعليم وهذا ما يشهد عليه الجميع. أينما يذهب فهو محط احترام وتقدير. يجد تلامذته أينما كان: الطبيب والمحامي والضابط. كما يحترمه كل من عرفه أو سمع به. أحسن مدرس لغة عربية في القاهرة.

إنه أيضا الوكيل الذي يهتم بشؤون الطلاب ومشاكلهم. نراه في اجتماع مجلس الأهل حيث تدور النقاشات عاليا إنما لا نعرف ولا نفهم كلمة مما يقال، فقط جملة واحدة تتسلل إلى السمع، على لسانه "*لازم نكون قدوة لأولادنا* ". في المدرسة هو أب لمن ليس له أب " لأن الأساتذة هم ورثة الأنبياء، الساهرين على الإرث القيمي والأخلاقي الذي أتى مع الدين ". الله \ ربنا \ اللغة \.

حسبي الله ونعم الوكيل

في البيت نرى أننا أمام أسرة محافظة. زوجة هنية تطبخ لزوجها ما يحب، تساعده في شلح حذائه، في محياها كل الرضى والإبتسامة والفرح. الابن أحمد، سنة جامعية ثانية وكابتن فريق كرة السلة في الجامعة ومؤهل ليكون بطلا ً قوميا ً، الابن محمد، ثانوي، البنت دعاء سنة جامعية رابعة وتعيش معهم ابنة أخت الأستاذ، هنى، التي أتت من الصعيد لتدخل الجامعة. تسكن العائلة في حي متواضع (العمرانية). نرى ألفة وحب بين الزوج والزوجة وسهر ومراقبة وانتظار لخروج ودخول الأولاد.

في البيت يقرأ الأستاذ القرآن، يلبس الجلابية ويستعمل مفردات وحكم من السيرة ومن القرآن الكريم . تتكرر جملة حسبي الله ونعم الوكيل كلازمة في نهاية كل محادثة. عائلة عربية مسلمة نموذجية يسوسها أب مثالي. مع كل مؤشرات الثقافة العربية الاسلامية: اللغة، الثوب ، القيم ، العلاقات الأسرية . مع دماثة خاصة متحصلة من قدرة الممثل نور الشريف.

الإبن أحمد \الكابتن \ المؤدب ، تتعلق به الصبية، نجار فؤاد نصار، البنت الأنعم والأغنى في الجامعة. مما يثير غيظ أشرف (ابن وزير سابق أقيل من وظيفته بتهمة الفساد) فيتعامل للإعتداء على أحمد، مع اثنين من شلته، بضربه بالقشاط ورميه في حوض السباحة حيث يصطدم رأسه بالحديد. ويؤخذ إلى المستشفى بين الحياة والموت.

الحـــــــق والعـــــدل والقانـــــــون والأخـــــــلاق

يذهب الأب بقناعة راسخة للدفاع عن حق ابنه في النيابة العامة التي ترى الأمر بعين القانون، والأستاذ يقدم شكوى تتهم من اعتدى على ابنه. ولكن الأمور تذهب في اتجاه المضايقة وتلفيق التهم وسحب اسم صهره الطبيب، زوج ابنته دعاء من البعثة التي سوف تسافر لندن لإنجاز الاختصاص وتلفيق تهمة التحرش بتلميذة يحاول مساعدتها، وذلك عبر والدها، البلطجي الذي يتم شراؤه من قبل عصابة الوزير السابق ورجل الأعمال. ينقل الأستاذ إلى مكتب، هو عبارة عن مخزن قديم يملأه الغبار. الأستاذ في المستودع. القانون موجود إنما من دون أخلاق. "وكل واحد ياخذ حقو بإيدو".

أمام هذ ه الإزاحات والتلفيقات المدبرة من قبل الوزير ورجل الأعمال فؤاد نصار لا يجد الأستاذ \ الأب حلا سوى التنازل عن حقه في قضية ابنه. أستاذ اللغة العربية \ الأب الساهر على تربية.

اولاده وأولاد الناس ينهزم بعد رميه في المستودع. يتنازل عن اتهاماته على من اعتدى على ابنه. اننا أمام **ترميز غاية في الأهمية** .الدال هنا هو مفردة ***التنازل*** .

التنـــــــازل عـــــن الحـــــــق

بعد لحظة التنازل نرى الإبن أحمد يريد أخذ حقه بيده ." انت خليت بي يابا .....أنا حقي فين " يذهب إلى مقهى حيث أولاد الحرام: الحشيشة والبلطجية، وفعلا ينتقم ممن ضربه بمساعدة البلطجية ولكن أيضا بتحوله إلى مروج مخدرات، لأنه فقط بهذه الطريقة ينتقم من الفقر الذي كان سببا سوّل لشلة المترفين ضربه وإهانته.

امتلك المال وأصبح واحدا من الشلة، ولكن هذه الشلة تشي به وتتم مداهمة بيت الأستاذ الذي يقول أن شنطة المخدرات هي ملكه وذلك لحماية ابنه. في السجن يرفع الأستاذ صوته بقوة ويقول " أنا نائب فاعل مرفوع " . حتى اللحظة الأخيرة يبقى الأستاذ عبد الحميد يدافع عن ابنه داخل كل الوحول التي تجعل الأرض تميد تحته. انه يسير وصوت زوجته في المقدمة الموسيقية يردد " إنت مش قدهم ".

مـــــن هـــــم هـــــــؤلاء ؟

الملياردير فؤاد نصار الذي يسكن قصراً يشبه قصور ألف ليلة وليلة مع خدم وحراس، هو على الهاتف مع ابنته من أميركا أو في حديقة منزله وحوله عدد من النساء يتكلم معهن الانكليزية. أو في جلسات العمل حيث يتكلم الانكليزية أيضا. طيارة خاصة تطير إلى فرنسا أو إلى لوس أنجلوس. يرسل ابنته لتتعلم في لندن ليبعدها عن هذا الولد الحقير، ابن المدرس، ساكن العمرانية. هو في المارينا برفقة الوزير المقال (والد أشرف) يتناقشان بكيفية تزويج أشرف ونجار التي لا تحيد عن حبيبها ميدو (الكابتن أحمد) مع كل ما جرى معه. وطبعا يرتبان طرق القضاء ا لمبرم إذا لم يكن النهائي على هذا المدرس .

المال قوة فالوسية،السلطة قوة فالوسية، كذلك العلم و اللغات الأجنبية اليوم .

الأستاذ عبد الحميد دراز ، الأستاذ المثالي الذي يعرف العربية كلغة حياة وسلوك هو أيضا أب مثالي، نراه في مطرحين فقط: المدرسة والبيت. يتفاجأ بكل ما يحصل في الخارج وتعبر امرأته عن ذلك بأن تشهق كلما سمعت أن هنى قد تأكل سندويش في الخارج مثلا، أو أن ابنتها سوف تسافر إلى لندن مع عريسها. يبقى يكرر نفس الرؤى القيمية، بنفس الجمل ،مع كل ما يحصل في بيته. توحي هذه الدائرة المسورة: اللغة العربية وبنيتها الاجتماعية وأهلها وقيمها، التي قدمت بطريقة نكاد نعشق صفاءها وطهرها ونقاوتها، كأن الخارج غير موجود إلا للإزعاج والتشويش على هذا الداخل المكتمل.

مرة واحدة يعترف الأستاذ أنه أخطأ عندما تنازل عن حقه.

لم يستطع الأب \ الأستاذ، تعبيد الطريق لأولاده كي يصيروا رجالا أحرارا فبقوا أطفالا صفعتهم عواصف التحولات المحيطة. لذا أطلق على المسلسل اسم حضرة المتهم أبي. ويجب أن ننتبه لمفردة حضرة حيث الاتهام يوجه بكل أدب إلى أب هزمته أنظمة فاسدة، وثقافة مقفلة على نفسها. الهزيمة ليست له وحده، هي هزيمة اللغة والحق والقانون والهوية.

ضاع الإبن الذي كانا واعدا بأن يكون بطلا رياضيا قوميا. ورسب الإبن الآخر. يقول علاء الأسواني " في الغرب، ينظرون غالبا إلى الشعوب العربية على أنهم أطفال صغار وكأنهم لا يفقهون ماعليهم فعله ".

الحالـــــة الثانيـــــة

الأب في الأسرة الثانية هو مناضل سابق، أستاذ جامعي في قسم الصحافة، وصحفي.

تركت الزوجة البيت لأن المناضل يجيبها دائما بلغة الثورة والقيم والأخلاقيات الكونية، سيدة جميلة مطلقة، تفتح بزنس، بوتيك، وتعشق شابا في عمر ابنها. العائلة مؤلفة من الأب والأم وصبي وبنت.

ابن المناضل \ الأستاذ الجامعي، هو واحد من شلة أشرف، ابن المليونير. سيارات وبذخ ومخدرات وتحرش. تقع بين يديه، هنى، إبنة أخت الأستاذ عبد الحميد دراز، الريفية الوافدة إلى القاهرة لتدرس الصحافة، البنت المحافظة والمسكونة بان يهتم بها شاب ما، فكيف إذا كان ابن الأستاذ الذي تحترمه. يقنعها بالزواج العرفي، تصدق حبه. يرى خالد أن أمه تتزوج من شاب في عمره، يصاب بحالة هستيرية ويرى أنه لا يستطيع أن يثق بأية امرأة، يخنق هنى وتموت.

النضال الفكري والسياسي يتحول هنا إلى لغة خشبية تكرارية، مؤسسة الجامعة لم تنتج علماء, صارت مكانا للعبور أو لتنمية أيديولوجيات أو لتكوين زمر وعصب حيث المتع الآنية متاحة وحيث طلب اللذة يترجم ، عند الضرورة، بالزواج العرفي.

أما الصحافة فلهاث وراء الخبر وترجمات ولغة لا يقرؤها الشباب. سقطت مؤسسة الجامعة ومؤسسة الصحافة ولعبة الركض وراء الأفكار التغييرية في المتخيل الشعبي. الأستاذ الجامعي هنا وحيد, تتزوج طليقته من شاب في عمر ابنها الذي يصير قاتلا وتموت البنت التي تصدق الحب والزواج وخالد.

الصورة الدرامية التي قدمها محمد فرج عن الشباب المصري، في عهد نظام مبارك، هي نفسها التي قدمها المسلسل.

عـــــــودة المكبـــــــــوت

" كان ثلاثاء ..... كنا نمشي في كل الشوارع ، نرفع أصواتنا التي لانعرف أنها لنا "

تفاجأ الجميع من غضبة شباب الفيسبوك، حتى الشباب أنفسهم.

تحول الشباب في نظر الجميع إلى حالة منبوذة، مرضية. الأعراض symptôme التي ذكرها محمد فرج " نحن الذين ....." اختصرت الشباب إلى ما يعانونه، حيث التعبير الجزئي يختصر الكائن الحامل لها، وهذا تيار تقليصي تقدمه اليوم العلوم الطبية والعلوم النفسية، في محاولة منها إلى تحويل الكائن المتكلم إلى تعضية جسدية، وبالتالي فإن الحل يتم بالمزيد من الإستهلاك، بما فيها الحبوب المهدئة. فالأعراض اليوم هي موضة، نتعايش معها، أنهم رفقة حميمة تعلن حضور الذهن في الجسد. يتعامل الطب مع العارض فقط، تماما كما يتعامل الناس مع الشباب وكأن الذات المتألمة تبقى غريبة عن ما تعانيه. كأن تاريخ هذا الكائن المتكلم ليس له علاقة بما يعانيه. قام التحليل النفسي بثورة عندما قدم أن وعينا بما نعانيه هو مصدر شفاؤنا. العارض هو إعلان صريح أن شيئا ما في سيرورة انبناء الكائن المتكلم لا يجري كما يجب. العارض مزدوج المعنى، إنه الرغبة أو

الشوق لأمر ما ونفيه، أحد أهم الأعراض هو الخـــــــــوف، إذا لم نقل الفوبيـــــــا، والفوبيا هي عارض غياب الأب . إن التذكر والتلفظ بالظروف التي أدت إلى ظهور الأعراض، يسمح، بحركة واحدة، بتحرير الهوام الكائن وراء الرغبة، هوام مكيس سجين فخ يقع بين الجلد والكلمة. انهيار حاجز الخوف فتح الباب واسعا ليس فقط أمام التعبير، إنما للخروج إلى الميدان " ميدان التحرير"

إن لغة الفايسبوك كانت وسيلة ناقلة لما وراءها. ابتدأت بجملة "كلنا خالد سعيد" ، الضحية التي أعطت رسما واسما للقهر. يختزن الشباب كل آمال الأهل، يريدون تحقيق رغبة الأم في إعادة الإعتبار لرجلها \ أبيهم، حتى يتحرروا هم من هذا المكوث في الغرف المغلقة في بيوتهم وحيث ظلها لا يفارقهم. الأب المهزوم أمام القانون وفي الشارع وفي المتخيل حيث رؤساء الأحزاب فقدوا موقعهم حين بقوا رؤساء فقط، احتكروا المعنى. سقطت لغتهم هم أيضا، لحظة تتا زلوا عن حقهم الذي هو في الحقيقة حق أولادهم. اختزن الشباب القضايا كلها، وهذا هو منطق الكائن، الحركة التي قاموا بها متقلة بتواريخ ولحظات لازمت عمرهم. الحركة مفاجئة ولكن المعنى كامن في الصوت وفي الكلمات، في العودة إلى أخذ الأمكنة التي طرد منها آبائهم، وهل هناك أكثر دلالة من مفردة " ميدان التحرير ". اللغة لها صداها في اللاوعي، " الشعب يريد إسقاط النظام ". نظام كامل من الطرد والنفي والشطب، كانت نتائجه أجساد تلتهب شوقا للحضور قبل أن تحترق.

إلـــى أيـــــن يذهـــــب الصـــــوت !.

خرج الأبناء الشباب وقالوا كلمتهم، إنهم رجال زمن بدأ. قال علاء الأسواني: " وأنت يا أم الدنيا ، يا حبالة، يا ولادة، يا نوارة، لدي لنا في هذه الأيام القادمة دنياك الجديد" . هل هناك أم تلد من دون رجل! وهل مصر من دون رجالها تصير دنيا جديدة! الأبناء اليوم أحيوا آبائهم وليس مولديهم، أصبحوا رجالا سوف يفاجئوننا كل يوم بإنجازاتهم.

قال رجل من الميدان أمام الميكرو " عمري واحد وأربعين عاما، لأول مرة أشعر أنني رجل".

Arabpsynet Papers Search

By Arabic, English & French words

www.arabpsynet.com/paper/default.asp

Form Add Papers (For Subscribers)

http://localhost/paper/PapForm.htm

Arabpsynet Papers Form

Send Your Papers Summary Via This Form

www.arabpsynet.com/paper/PapForm.htm

المجلـــــة الإلكترونيـــــة لشبكـــــة العلـــــوم النفسيـــــة

Index APN eJournal

www.arabpsynet.com/apn.journal/index-apn.htm

ملـف العدد 31 – صيف 2011

"العلاج النفسي... رؤية مستقبلية من خلال تخصصات نفسية متعددة".

المشرف: أ . د. خالد الفخراني

أستاذ علم النفس – طنطا – مصر

fakhrany61@hotmail.com

fakhrany@maktoob.com

arabpsynet@gmail.com

آخر أجل لقبول الأبحاث 30 – 06 – 2011

الثـــــــورات العربيـــــــــة تعيـــــــــد قـــــــــدرة الاندهـــــــاش

أ.د. محمـــــد احمـــــد النابلســـــي -الطـــــب النفســـــي -لبنـــــان

رئيـس المركـز العربـي للدراسـات المستقبلية، رئيـس مركـز الدراسـات النفسيـة و النفسيـة -الجسديـة

ceps50@hotmail.com ; nabulsy@cyberia.net.lb

أن حروب المستقبل يجب أن تواكب التحولات الإجتماعية العميقة في بنى المجتمعات. وعليه فإن إدارتها الرئيسية ستكون متمثلة بالإعلام وليس بالأسلحة التقليدية أو بأسلحة الدمار الشامل أو حتى بالأسلحة الذكية. وهذه التحولات لا تأتي بصورة "تسونامي" بل هي تراكمية ويحتاج كل نوع منها الى فترة حضانة مختلفة كي يتفاعل مع الداخل كما مع المحيد الاقليمي.

ومهما توالت اعلانات وخطط اغتيال العروبة فان مؤشرات دقيقة تشير الى استمرارية النوع العربي بما يكرس ديمومة موضوعية للعروبة مهما تعالت صرخات العرب كارهي انفسهم وعروبتهم ومعها إقحام آلية التوحد بالمعتدي كسبيل للخلاص او الامان او الكسب او التكسب. واحياناً تشكل هذه الكراهية انتقاماً من الذات الذين يمنعهم فقد الدافع والعجز عن التعقيل وربما حالات الجبن من الانتحار فيلجأون النوع من الانتقام.

من مؤشرات عدم قابلية العروبة للنهاية حتى في عصر نهاية التاريخ نذكر قوافل المقاتلين العرب المتدفقين الى العراق امحاربة الاحتلال فيه بغض النظر عن جدلية التنظيم والفعالية.

الا ان المؤشر الاهم يبقى تجاوب الشارع العربي مع اولى الثورات العربية المعطرة بالياسمين ومن بعدها مع الثورة المصرية. وفي الثورتين نشوة العودة الى حضن العروبة داخل البلدين وفخر الشارع العربي بانجاز الثوار في البلدين. ما اعاد للشارع العربي قدرته على الاندهاش وهي وفق مباديء التحليل النفسي الوجودي القدرة الفاصلة بين الفراغ الوجودي الذي عاشه الوطن العربي وبين حالة التفاعل الوجودي التي سادت بعد الثورتين ولو بصورة متعجلة وانفعالية فصلت باقي الثورات عن الثورتين الأم.

وبالنظر الى اهمية استعادة القدرة على الاندهاش نورد اولاً مقالة لنا حول الموضوع ونذيلها بمكان وتاريخ نشرها. وهي مقالة بعنوان: **العـــــالم العربي الجديد**

العالـــــم العربـــــي الجديـــــد

من المحزن أن تبدو الحياة في النهاية عادية جدا، فذات يوم قد نفقد قدرة الاندهاش وملكة الذهول، فلا نستعيدها إلا ونحن نتهيأ لمفارقة الدنيا..'!.

'جوستان غاردنر'

نتلفت حولنا في هذا العالم العربي الكبير ،أو الجديد برأي رايس، فنجده عادياً جداً رغم الأحداث الجسام التي يتعرض اليها. أول الغيث إعتراف الجميع بأن الفتنة المذهبية جاهزة للتفجير. فإذا ما إنطلقت في بلد فإنها تمتد الى الجميع. فإذا ما إنتقلنا الى كل بلد على حدة وجدنا أن الأوضاع الداخلية متفجرة في كل الدول العربية. بل أن عدداً من هذه الدول وضعت في لائحة الدول الآيلة للسقوط. وأن العديد من الحكومات العربية تستمر فقط لوجود ظروف غير عادية تفرض إستمراريتها.

وبمعنى آخر فإن الشعوب العربية باتت محكومة بالأمر الواقع وليس بالحكم الصالح. هؤلاء الحكام وحكوماتهم يدركون أنهم فقدوا مبررات وجودهم وحكمهم وثقة الشارع العربي بهم وهم يستمرون بفعل التورط الأميركي في المنطقة. لذلك فهم لا يأبهون إلا بإرضاء الراعي الأميركي وبتغييب صوت الشارع وكبته وإيذائه. هل أن الحياة عادية في هذه الظروف أم ترانا فقدنا القدرة على الذهول والإندهاش!؟.

الأمر سيان ولا يستأهل البحث عن جواب ونحن في طريقنا لمفارقة هذه الدنيا!.

فاليمن غارق في حرب غير مرشحة للنهاية القريبة وسط فقدانه مقومات الدولة.

ومثله دخلت الصومال والسودان في حروب أهلية شبيهة.

وهي تأخذ أشكالاً أخرى في المغرب العربي لكنها موجودة بفعالية وقوة.

أما في المشرق العربي فإن إسرائيل ضمنت أمنها عبر التأمين الأميركي لمحيط عربي عاجز.

حيث إستمرارية الحكم الأردني تقتضي إستنجاده بصداقة إسرائيل ومعلوماتها الامنية وحمايتها ووساطتها لدى واشنطن وابلاغ الاخيرة رضاها عن السلوك السياسي الاردني.

وحيث مصر إستبدلت دورها الإقليمي بضمان صك توريث جمال مبارك مكان والده الرئيس مبارك.

فيما تعيش سوريا تحت ضغوط لا تتحملها دولة عادية من دولة بحجم الولايات المتحدة.

أما لبنان فهو أعلن محبته للحياة بتسليمه درع الأرز الى أكثر المسؤولين الأميركيين تحيزاً لإسرائيل وتطرفاً ضد العرب "جون بولتون".

وبذلك لم يعد أمام إسرائيل سوى إستكمال سيطرتها على القدس وتصفيتها للقضية الفلسطينية بهدوء لم تنعم به منذ قيامها.

إن بقية من دهشة ومن القدرة على الإندهاش ستكون كافية لشن حرب إنتحارية على هذه الإسرائيل حيث القدس أغلى من المتاجرين بالحكم تحت شعارات وإتجارات خبيثة مختلفة.

بالإتجاه شرقاً يصدمنا العراق الذي ما زال ينزف دون أن يسمعه أو يلتفت إليه أحد من أشقائه العرب. فالكل يتريث ليرى مسار الأمور وإتجاهها. لدرجة دفعت بكوفي أنان للتقرير بأن عراق صدام كان أفضل من هذا العراق. وكل ذلك تحت حكم حكومة عراقية لا يمكن تفضيلها على حكومات الفشل العربية. سواء من حيث دعمها وإرتباطاتها الخارجية أو من حيث عجزها عن ممارسة الحكم أو من حيث تعصبها الطائفي المرفق بلا تمثيليتها للطائفة موضوع التعصب.

ونصل الى السعودية لنجدها على صراع مع كل العرب. حيث صحافتها تمارس التمييز العنصري القطري فتتعالى على كل العرب دون تمييز بينهم. لتبدا بالهجوم على جارتها الصغيرة قطر ولا تنتهي بالهجوم على جارتها البعيدة ليبيا. وهي ترى أن قبائلها العربية متعالية على التعاون مع إسرائيل وانما تفعل ذلك القطريات الأخرى مثل المصريين والسوريين واللبنانيين وغيرهم. وكأن العالم غافل عن اللقاءات السعودية الإسرائيلية.

أما الداخل السعودي فهو لا يهدد السعودية وحدها بل يهدد كل دول الخليج العربي. فالقبض على الشبكات القاعدية بامكاناتها المالية والتسليحية والتنظيمية يؤكد على وجود شبكات أخرى كثيرة ومتغلغلة ومتمكنة. ونحن لا نتمنى للشقيقة الكبرى السعودية إلا الإستقرار والأمن رغم كل ما تمارسه علينا.

هذا هو بإختصار عالمنا العربي الجديد المدهش الذي حوله الوجود العسكري الأميركي في العراق الى عالم محب للحياة ولنمط الحياة الأميركية. وحيث ثبت فيه الأميركيون كل الظلم والتجاوز والفساد الحليف لسياسة واشنطن. وحيث أينعت فيه رؤوس مستعدة لقبول إسرائيل سيدة للمنطقة تتحكم فيها تحكم السيد بعبيده. فتسربت الى سياسة هذه الدول وجوه لاتملك من أمرها سوى الإستسلام والتبعية لغاية العبودية للمشيئة الأميركية. وبذلك فقدنا "العدو المشترك" الإسرائيلي وتحولنا لعداء بعضنا البعض.

المشهد العربي مظلم ومعتم ومهدد وهو أطفأ شمعة حرب لبنان الأخيرة كي لا تفسد عليه ظلاميته وعتمته. فعندما أضاءت تلك الشمعة نورها الخافت المتواضع تصايح الجميع داعين لإطفائها فلم نعد نلمح لنورها من أثر في حياتنا لذلك عدنا لتعداد الضحايا العرب في العراق واليمن والسودان والصومال. ولمن ضجر من هذا التعداد فإن واشنطن تهدد دولاً جديدة بالإقتتال الداخلي بعد أن توقف قطار إحتلالها في المحطة البغدادية الصعبة. ولكن ماذا عن المستقبل وهل هي النهاية؟.

علم المستقبليات يقول أن التاريخ يميل دائما الى المحطات الأقدم. وما نشهده اليوم هو محطات جديدة لا تصمد إلا لفترة عابرة. ففي إستطلاع أجرته إحدى السفارات الأجنبية في لبنان نقرأ أن كل التوجهات المستجدة على المشهد السياسي اللبناني عابرة وعاجزة عن الإستمرار. ومن النتائج على سبيل المثال أن الطائفة السنية اللبنانية قد تهادن واشنطن لفترة ولسبب محددين لكنها لا تستطيع التصالح مع اميركا. فللأخيرة تاريخ من قهر هذه الطائفة والمساس برموزها.

هذا في الداخل أما خارجياً ،ونحن في حالة عبودية للخارج، فإن متغيرات كبيرة تلوح في الأفق. حيث وجد جورج تينيت فرصته للإنتقام بعد أن قدمته إدارة بوش كبش فداء لأخطائها العراقية وفي 11 سبتمبر. وذلك بسبب أصوله اليونانية. فلو كان تينيت آرياً لما تمت التضحية به. وهذا الرجل يملك من فضائح بوش ما يكفي لإخراج كل العملاء العرب المستجدين على إدارة بوش من النعيم الأميركي. ولا نريد غير ذلك كي نستعيد قدرتنا على الإندهاش وعلى محاسبة خدم بولتون في لبنان والجوار العربي.

انتهى المقال

مناقشـــــــــة المقـــــــــال

بداية نشر الكاتب هذا المقال في جريدة الرقيب اللبنانية بتاريخ 2 أيار/ مايو العام 2007 ونقلته بعض المواقع على الشبكة حيث لم نعثر منها بعد مرور اربع سنوات على نشر المقال سوى على روابط نشره في موقع مركز المعطيات والدراسات والاستراتيجية على الروابط التالية:

www.dascsyriapress.net/ar/modules/news/article.php?storyid=39932

www.dascsyriapress.net/ar/modules/news/print.php?storyid=39932

واليوم ما هي المستجدات التي يمكن اضافتها الى المقال لتحديثه بالمعطيات الاساسية لمتغيرات السنوات الاربع الماضية على نشره. وهنا تبرز تسريبات موقع ويكيليكس التي اضافت الى فضائح الانظمة العربية فضائح مضافة تؤكد المقاربات الواردة في هذا المقال وهي باتت معروفة بجلاء.

ويبقى الاهم ان المقال يعتمد مبدأ الاستقراء المستقبلي متتبعاً التحولات الإجتماعية العميقة في بنى المجتمعات العربية بعد احتلال العراق وبعد أمركة لبنان كمقدمة لامركة المنطقة العربية بكاملها. وأمركة لبنان لم تعد تهمة نطلقها من عنداياتنا بل اننا لم نعد مسؤولين حتى عن صياغتها التجميلية في هذا المقال بعد ان كشفت تسريبات ويكيليكس عوراتها بدقة ووضوح تعفينا من تحمل وزر الغمز من قناتها ومعه أوزار الارهاب المتامرك الممارس علينا في لبنان عبر قنوات متعددة.

وبالانتقال الى الثورات العربية يبدو المقال مقترحاً استعادة المواطن العربي للقدرة على الاندهاش بعد ان تم تحييد هذه القدرة بالقمع والقسر والاحتلال المباشر او غير المباشر.

ولسنا نعلم اذا كان القاريء يوافقنا الرأي بان المقال أثار مسألة تصنيف المعاناة في مختلف الدول العربية التي تمخضت راهنا عن ثورات او تحركات شعبية. وهذا التصنيف المسبق يعطي لتصنيفنا بعض الافضلية لمجرد بعده عن ادعاء الحكمة بمفعول رجعي.

مراجعة المقال وقراءته لاوضاع البلدان العربية المذكورة يعطينا تصنيفاً تفريقياً بين التحركات الشعبية والثورات العربية في مختلف هذه الدول العربية.

بداية فإن الشعوب العربية باتت محكومة بالأمر الواقع وليس بالحكم الصالح. هؤلاء الحكام وحكوماتهم يدركون أنهم فقدوا مبررات وجودهم وحكمهم وثقة الشارع العربي بهم وهم يستمرون بفعل التورط الأميركي في المنطقة. لذلك فهم لا يأبهون إلا بإرضاء الراعي الأميركي وبتغييب صوت الشارع وكبته وإيذائه. هل أن الحياة عادية في هذه الظروف أم ترانا فقدنا القدرة على الذهول والإندهاش!؟. وعن هذا الواقع تتفرع مجموعة معايير تصنيفية مرجعية للتحركات الشعبية العربية المنطلقة من ثورة تونس وهي التالية:

1 – **إستعادة القدرة على الاندهاش** وهي واحدة من الشروط الرئيسية لتصنيف اي تحرك شعبي في خانة الثورتين. وعكسه ان تؤدي التحركات

الشعبية الى زيادة الاغتراب عبر توريط الشعوب في صدامات أهلية ومشاريع تقسيمية انشطارية. ووفق هذا المعيار ترتبط شفافية التحركـــات وتحولها الى ثورة وطنية بمستوى اســـتعادتها لقـــدرة مواطنيهـــا علـــى الاندهاش.

2 – الابتعـاد عن الراعي الاميركي حيث أكدت وثائق ويكيلـيكس أن هذا الراعي دعم مأسسة الفساد وشجع فساد الحكام وقـــدم لهـــم التغطيـــة والتجاهل. كما أمن لهم الاستمرارية في الحكم الذي ولد التحركات. بحيث يصبح من الطبيعي طرح علامات الاستفهام حول قبول التحرك الشـــعبي العرب للرعاية الاميركية, بما يبشر باستبدال نظام قائم بما هو أسوأ منـــه والاخطر بكونه أكثر عجزاً وخنوعاً للامركة من النظام السابق. وتكفـــي هنا مراجعة البدائل الاميركية في العراق ولبنان وفلسطين.

باخصار فان واشنطن نفسها لاتستطيع تصور تحركاً شـــعبياً عربيـــاً صادقاً وشفافاً يمكنه ان يؤيدها ويؤيد سياساتها الحمقاء التي زرعت الغربة الوجودية لدى الشعوب العربية. فما بالنا بادعاء ثورات متامركة وجـــود صلة نسب بينها وبين الثورتين التونسية والمصرية؟. ولأوقح منها ادعاء ثورة متأمركة حضانة الثورتين!؟.

3 – إستبعاد التحركات القائمة على الاحقاد التاريخية حيـــث تشـــير دراسات ووثائق اميركية عديدة الى خطط زعزعة استقرار الدول العربية عن طريق تفجير احقادها التاريخية الداخلية والبينية. وبهذا تستبعد مـــن التصنيف في خانة الثورتين كل التحركات الشعبية التي تقوم على اساس الاحقاد التاريخية من دينية ومذهبية وعشائرية واتنية وغيرها. ولقد قدمت ثورتا تونس ومصر الامثلة على مبدأ "المواطنة" الذي يستوعب كل هـــذه الاحقاد البدائية الغرائزية. اذ كانت ثورة تونس وطنية يسارية وكان ميدان التحرير مكانا لاقامة صلوات المتظاهرين من مختلف الاديان. كما ابتعدتا عن الراعي الاميركي والاهم انهما عادتا القدرة على الاندهاش ليس فقط الى الشعبين التونسي والمصري بل الى الشارع العربي بكامله.

4 – مراجعة المقدمات المؤدية للتحركات حيث اشرنا في المقال الى الطابع التراكمي للتحولات الاجتماعية وبعدها عن الفجائية الشبيهة بـــال تسونامي. وهو ما يتيح للمراقب متابعة مقدمات هذه التحركات وتحليلهـــا على ضوء المعايير المذكورة أعلاه. فبمراجعة مقدمات الثورة التونســـية نقع على تحركات كثيفة للنقابات التونسية والاحتجاجات علـــى الاعتقـــال التعسفي للصحفيين. اما في مصر فقد سجل العام 2010 لوحـــده حـــوالي العشرة آلاف اضرابا احتجاجيا. فيما لاحت معالم الحرب الاهلية والتقسيم في دول مثل السودان والصومال واليمن ولبنان والجزائر وغيرها. وهذه المعالم تخفي خلفها احقاداً لا تمت الى المواطنة بصـــلة. وبالتـــالي فـــان تحركاتها غير ممكنة الادراج في خانة الثورتين.

5 – مقدمة التحركات الشعبية السورية حيث صدرت الى جانب وثـــائق ويكيليكس قائمة من الكتب الاجنبية التي توثق التوجهات الاميركية والفرنسية لاسقاط النظام السوري الممانع للراعي الاميركي والمصنف مـــن قبلـــه فـــي محور الشـــر. ومثل هذه المقدمات لا يمكنها ان تشير الا الـــى كـــون هـــذه التحركات السورية امتداداً للمحاولة الفرنسية الاميركية السابقة لاسقاط النظام السوري. وبالعودة الى مبدأ "المواطنة" فان التحركات في سوريا تتوزع فـــي الشمال الشرقي الى اتنية – كردية مدعومة من حـــزب البرزانـــي الكـــردي العراقي صاحب التحالفات الاميركية الاسرائيلية العلنية. اضافة الى تحـــرك باختراق مذهبي اقليمي في درعا خصوصاً. ومعهما فريـــق ثالـــث يعكـــس خلافات داخل العائلة بما فيها الصراع بين الرئيس السوري وابناء عمه رفعت وكذلك تحرك عبد الحليم خدام الذي خدم النظام ثلاثة عقود ليعود فيتحدث عن فساده رغم فضائح الفساد التي ارتكبها ابناءه باسوأ صـــور اســـاءة اســـتخدام السلطة. وبهذا فان التحركات السورية تكاد تكون مؤامرة على الثورتين. وهي فيروس لاحت علائمه في تظاهرة مصر الجمعة 8 ابريل 2011 في مصـــر. حيث ظهر في افلامها حملة اعلام ســـورية وغيرهـــا. ونصـــيحتنا للثـــورة المصرية الاحتياط لهذه الفيروسات فالثورة المصرية تحتمل العلم المصـــري والى جانبه العلم التونسي وما دونهما فيروسات أو عينات يجب فحصها قبـــل السماح بظهورها.

دليل القياسات النفسية العربية و العالمية

الإصـــدار العـــربـــي

www.arabpsynet.com/HomePage/Psy-metry.Ar.asp

ARABPSYNET PSYCHOMETRY GUIDE

ENGLISH EDITION

www.arabpsynet.com/HomePage/Psy-metry.asp

أمـــــــــــــــراض السلطـــــــــــــــــة

د. محمـــــــــــد المهـــــــــدي- الطـــــــب النفســـــــي ، مصـــــــــر
mahdy1956@hotmail.com

حاولت البشرية على مر العصور ومن خلال تجاربها المريرة والمؤلمة أن تتجنب أمراض السلطة ومساوئها , وقد نجحت إلى حد معقول فى ذلك حين اتجهت إلى أنظمة الإستقرار وإلى سلطة الإدارة وإلى السلطة المنطقية , ولذلك فالأمراض التى سنذكرها ستكون بالطبع لصيقة بالنظم غير المنطقية وبسلطة السلطة وسلطة الإدارة والسلطة الأبوية والسلطة الفرعونية وأنظمة الطفرة :

الهاجـــــــس الأمنـــــــى

أى سلطة يشغلها الجانب الأمنى , ولكن يزداد هذا الإنشغال حتى يصل إلى أقصى درجاته لدى السلطة غير المنطقية ولدى السلطة الفرعونية ولدى سلطة السلطة , والسبب فى ذلك هو أن هذه الأنواع من السلطة تشعر فى دخيلة نفسها أنها اغتصبت شيئا هاما من الجماهير لذلك فهى تتوجس خيفة من هذه الجماهير ولا تصدق مظاهر ولائها لأنها تعلم يقينا أنها مظاهر كاذبة وأن الجماهير تتمنى اللحظة التى تزول فيها السلطة سواءا بأيديها أو بأيدى القدر , ولذلك تأخذ السلطة احتياطات أمنية كثيرة ومبالغ فيها تتناسب مع قدر خوفها من الجماهير وعدم ثقتها بها أو احتقارها لها , فالسلطة التى تحتقر الجماهير تبالغ كثيرا فى الحلول الأمنية والإحتياطات الأمنية فهى ترى فى هذه الجماهير بوادر الخداع والغدر كما أنها ترى هذه الجماهير غير جديرة بالحوار السياسى أو الثقافى وإنما هى تستحق التأديب بعصا غليظة متمثلة فى بطش الجهاز الأمنى لأى نبضة تبدر من هذه الجماهير , فهذه السلطة ترى فى الجماهير أكبر عدو يتربص بها ولذلك تعد العدة لمقاومته وقهره ولا تدع له فرصة يفيق فيها أو يستعيد عافيته أو وعيه . وإذا حدث وخرج أحد من هذه الجماهير عن النص المسموح به فإن السلطة تواجهه بكل قسوة (حتى لو أدى ذلك إلى تشوه صورتها فى الخارج أو اتهامها بأنها ضد حقوق الإنسان) لأن ذلك يعطى العبرة للآخرين فلا يحاولون تهديد السلطة بعد ذلك , لأنهم يعرفون وسائل العذاب الرهيبة التى تملكها السلطة لكل من يخرج عن الإطار المرسوم , والسلطة فى هذه الحالة تسعد ربما بنشر حوادث التعذيب وانتهاك الشرف للمعارضين وذلك لبث الرعب فى قلوب الباقين فيلزمون الصمت للأبد .أما الأثر الخارجى لهذه الممارسات فتعرف السلطة كيف تخفف من حدته ببعض التنازلات أو الرشاوى السياسية .ومن علامات اشتداد الهاجس الأمنى كثرة عدد المنتمين للأجهزة الأمنية وكبر حجم الإنفاق على الجهاز الأمنى من مرتبات ومعدات وأجهزة تنصت ومراقبة وتعذيب , وتجنيد عملاء سريين فى كل مكان ينقلون لها كل شئ يدور بين الناس خاصة فى أماكن التجمعات .وجهاز الشرطة حين يستعين بهؤلاء العملاء السريين والعلنيين يصبح عليه دفع فاتورة لهم لضمان استمرار تدفق المعلومات وضمان الولاء , والفاتورة تتمثل فى تعيين هؤلاء العملاء فى أماكن وظيفية مهمة , وشيئا فشيئا يحدث تغلغل سرطانى لهؤلاء العملاء بما يحملونه من صفات سيئة تساعد على تنامى الفساد بشكل كبير .

والسلطة فى هذه الأنظمة كثيرا ما تقوم تقوم بعمليات استباقية هدفها إجهاض أى محاولة حقيقية أو متخيلة لتجمع الجماهير الغاضبة أو المطالبة بحقها أو المتمردة على ظلمها , فتلجأ فى سبيل ذلك إلى إصدار القوانين التى تحول دون تكون كتلة جماهيرية تكون قادرة فى الحاضر أو المستقبل على تحريك الجماهير الأوسع ضدها أو تكون نواة لتجمعات خطرة من وجهة نظر السلطة , وتحظر التجمعات والمسيرات وتستخدم قوانين الطوارئ والأحكام العرفية التى تسمح بالحركة السريعة للسيطرة على أى بادرة تجمع أو تظاهر . وقد يتم تقسيم الميادين أو الشوارع بحواجز حديدية للحيلولة دون تكون كتل كبيرة من الناس , وربما يتم تقسيم المدن والأحياء بناءا على هذه الإعتبارات الأمنية . فالسلطة تعرف جيدا سيكولوجية الجماهير وتعرف أنها ربما يطول سكوتها وخضوعها ولكنها حين تنتفض تجرف فى طريقها كل شئ , فالجماهير فى حالة ثورتها وانتفاضتها تصبح كيانا غير عاقل لايستطيع أحد التحكم فيه أو كبح جماحه , فالجماهير حين تستشعر الظلم أو الطغيان أو إهدار الكرامة قد تسكت لبعض الوقت ولكنها عند نقطة معينة تسمى النقطة الحرجة تنفجر انفجارا مفاجئا (أو يبدو مفاجئا) فتتحول هى الأخرى إلى طغيان مقابل قد يدمر السلطة ويمتد أثره التدميرى لأبعد من السلطة , فالغضب الجماهيرى يكون مثل الطوفان لا يعرف أحد أين سيتوقف ومتى , فبركان الغضب يسعى نحو التدمير والتغيير ولا يوجد ميزان حساس فى هذه الظروف يوائم بين قدر التدمير للأبنية السلطوية القائمة والمرفوضة وبين قدر التغيير المطلوب , ويزداد الخطر أكثر حين يكون انفجار الجماهير بغير قيادة, أى انفجار عشوائى منفلت يحدث تحت تأثير ضغط وقهر فاقا الإحتمال فانفجرت براكين الغضب دون ترتيب سابق ودون هدف محدد غير الإنتقام ممن قهرها أو سحقها أو خدعها . وهناك أمثلة كثيرة لانتفاضات الجماهير حدثت بصور مفاجئة وأحدثت تغييرات جذرية , وقد قفزت هذه الإنتفاضات فوق حواجز أمنية أسطورية مثل ما حدث فى إيران وفى ألمانيا الشرقية ورومانيا وبولندا وغيرها .وعلى الرغم من وجود الخوف لدى الناس كأفراد إلا أنهم فى حالة تجمعهم فى مسيرات أو مظاهرات يقل هذا الخوف ويصل أحيانا إلى درجة التلاشى كما يزداد الإحساس بالظلم والإحساس بالكرامة المنتهكة فتنطلق الكتلة الجماهيرية لا تعبأ بأى محاذير أو حسابات فمجموع الأفراد فى هذه الحالة يكونون فى حالة استلاب وقابلية شديدة للإيحاء والإستثارة فإذا ظهرت قيادة لها تأثير كاريزمى فى هذه اللحظات الحرجة فإنها تأخذ الجماهير إلى حيث تريد بشرط أن يكون ذلك فى اتجاه التغيير والإنتقام اللذان خرجت من أجلهما الجماهير.

وللسلطة أساليب متنوعة أخرى فى منع تكون أى تجمع حزبى أو جماهيرى مؤثر , ومن هذا قيامها بزرع عملاء داخل أى تجمع محتمل وتكون وظيفة هؤلاء الرصد لأى نبضة حركة وفى ذات الوقت ربما يقومون بعملية تفجير للتجمع من الداخل وذلك بإثارة الخلافات أو إحداث تيارات فى اتجاهات متشتتة . والمهم لدى السلطة دائما هو عدم تكون مايسمى بالكتلة الجماهيرية الحرجة تلك الكتلة القادرة على إزاحة النظام أو الضغط عليه ضغطا شديدا .

وكلما ازدادت الطبيعة البارانوية (الشك وسوء الظن والتعالى) لدى رمز أو رموز السلطة كلما تضخم الهاجس الأمنى وتسرطنت وسائل التجسس والقمع لأنها فى هذه الحالة تمثل حالة من إسقاط المشاعر العدائية لدى الشخصية البارانوية المتحكمة فى السلطة والمحركة لها .

تزييـــــف الوعـــــى

فالسلطة غير المنطقية أو غير الشرعية أو المستبدة لاتستطيع الإستمرار لفترات طويلة إلا إذا قامت بعمليات تزييف للوعى الجماهيرى فهى تريد أن تشكل هذا الوعى لكى يقبل منظومة السلطة وتوجهاتها ومصالحها دون الحاجة إلى الإفراط فى استخدام القمع الأمنى الذى ربما يكلفها ثمنا سياسيا أو اجتماعيا كبيرا , لذلك تشكل أجهزة الدعاية والإعلام والإعلان لدى السلطة الجناح الآخر لبقائها (بجانب الجناح الأمنى) , فتقوم هذه الأجهزة بالمبالغة فى إظهار إنجازات السلطة وتبرير أفعالها وتحويل هزائمها إلى انتصارات تاريخية كما تقوم بإضفاء صفات البطولة والحكمة والتضحية على رموز السلطة وتضع صورهم وتماثيلهم فى كل مكان (وهو ما يسمى فى علم النفس : الإعلان بالغمر أو الإعلان بالتكرار والإلحاح) فحيثما ذهبت يطالعك وجه القائد أو الزعيم أو تطالعك أقواله وإنجازاته وتوجيهاته . وتنجح عمليات تزييف الوعى أكثر فى المجتمعات ضعيفة الثقافة التى لا تملك عقلية نقدية تزن بها الأمور , تلك المجتمعات القابلة للإيحاء والإستهواء والتنويم والتغييب , تلك المجتمعات العاطفية التى يسهل تحريك مشاعرها فى الإتجاه الذى تريده الأدوات الإعلامية للسلطة . غير أن هذا التزييف يتراكم فيحجب الحقيقة عن السلطة وعن الجماهير ثم يجد الناس أنفسهم فى حالة من الإضطراب والتناقض وتكرار الكوارث والهزائم على الرغم من الوعود والبيانات الوردية المتفائلة , وهنا يقترب الخطر حين تكتشف الجماهير أنها تعرضت لحالة من الخداع المنظم خاصة وهى تعيش حياة تعسة كل يوم تكذب كل ما تبثه الآلة الإعلامية الجبارة , عندئذ تشعر الجماهير بالغضب لسببين : الأول هو خداعها واللعب بها والثانى هو شقاءها الذى تعيشه فى كل لحظة , عندئذ تحدث الإنتفاضة أو يحدث الإنفجار طالبا بالثأر ممن خدعوا وزيفوا وأفقروا . وهناك إرهاصات لفشل عمليات تزييف الوعى منها لا مبالاة الجماهير بما تقوله أجهزة إعلام السلطة أو التندر وإطلاق النكات عليها أو الإنصراف عنها والبحث عن مصادر أخرى لمعرفة الحقيقة خاصة فى أوقات الأزمات .

الإدعـــــــاء

فصاحب السلطة شيئا فشيئا يفقد تلقائيته ويتورط فى سلوك ادعائى غير طبيعى وبعيدا عن الصدق والأصالة ولذلك يفقد تعاطف الناس معه وإحساسهم به , وتزيد صفة الإدعاء كلما زادت الأطماع فى استمرار السلطة أو توريثها لأن صاحب السلطة هنا يريد أن يشكل وعى وتفكير الجموع فى اتجاه مصالحه الخاصة فيلبس قناعا يراه مناسبا لتحقيق هذا الهدف . ولذلك كلما رأيت الشخص يبالغ فى ادعائه تعرف تلقائيا أنه يريد تحقيق مصالح خاصة باستخدام مبادئ أو شعارات عامة .

العزلـــــــة

فكلما ابتعدت السلطة عن الشرعية والعدل وكلما طال التشبث بها زادت العزلة لأن صاحب السلطة يشعر فى أعماقه بما يدور فى أعماق الجماهير من رغبة فى الإنقضاض عليه لذلك يزيد باستمرار من احتياطات الأمن والسلامة خاصة إذا تكررت محاولات الإغتيال ,ومن هنا تبدأ العزلة , وهى ليست فقط عزلة جسدية بمعنى وجود حواجز متعددة تحول بين الجماهير وصاحب السلطة ولكن أيضا عزلة شعورية بمعنى وجود هوة بين مشاعر وأفكار واحتياجات الطرفين , وهذه الهوة تزداد يوما بعد يوم حتى تصل إلى الحالة الحرجة التى يفقد فيها كل طرف إحساسه بالآخر وهنا تحدث حالة من الغربة والإغتراب بين الجماهير والسلطة .

تضخـــــم دافعـــــى التملـــــك والخلـــــود

إن دافعى التملك والخلود من أقوى الدوافع فى النفس البشرية , وقد عرف إبليس هذه الحقيقة مبكرا وحاول الإستفادة منها عندما أراد أن يغوى آدم فقال له مغريا إياه بالأكل من الشجرة المحرمة : " هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى " (طه 120)

" وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين " (الأعراف 20) . وفعلا نجح الإغواء لآدم من هذا الطريق على الرغم من التحذير الإلهى له " ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين " (البقرة 35) , وعلى الرغم من إتاحة فرص التنعم المتعددة فى الجنة , وهذا يدل على قوة هذين الدافعين وعمقهما فى النفس البشرية , وعلى أنهما نقطتى ضعف يسهل الإغواء عن طريقهما . ويبدو أن هذين الدافعين يكونان متضخمين فى نفس الشخص الساعى للسلطة أو المتشبث بها فهو لا يشبع من التملك ودائما يسعى إلى الخلود فى الدنيا وينكر فى أعماقه فكرة الموت . وكلما ا تسعت دائرة نفوذه وانتشرت صوره وتماثيله فى كل مكان كلما انزلق إلى الإعتقاد بفكرة خلوده , ولو أصابه المرض أو أدركته الشيخوخة وأيقن بفكرة موته فإنه يتمسك بملكه ويتعلق بخلوده من خلال أبنائه فيحرص على توريثهم كل ما استطاع أن يتملكه فهم امتداد لذاته , وهذه هى سيكولوجية الأنظمة التى تقوم على فكرة التوريث حفاظا على بقاء الملك وخلود الذكر . وقد وقع فى هذا صحابى مثل معاوية رضى الله عنه حين حارب عليا رضى الله عنه من أجل الخلافة وحين حرص بعد ذلك على توريث ابنه يزيد رغم ماكان يعرفه عنه من سلوك ينافى احتياجات هذا المقام . ومن سنن الله فى الكون أن كل من يتعلق بالملك أو الخلود يزول منه لأن الملك لله وحده والخلود له وحده , وحين سعى آدم نحو الملك الذى لا يبلى والخلود ابتلاه الله بالحرمان من الجنة بل والحرمان مما يستره من الملابس " فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوءاتهما " (الأعراف 22) , وهذا يحدث مع كل من تخدعه ذاته أو يخدعه شياطين الإنس أو شياطين الجن بفكرة الخلود أو الملك الذى لا يبلى حيث يبتلى بضياع الملك ويبتلى بالطرد من الجنة التى عاش فيها وظن أنها لا تزول .

الرعب الدفين مما بعد السلطة ومحاولة استبعاد ذلك الإحتمال

فصاحب السلطة يرتعد خوفا كلما مر بخاطره لحظة فقدانه لسلطاته وخروجه من دائرة التحكم والسيطرة وما يصاحب ذلك من فقد اهتمام الناس وتزلفهم له ومن المزايا الهائلة التى كانت تتيحها السلطة , يضاف إلى ذلك شماتة أعدائه أو محاولات الإنتقام من جانب أناس كثيرون ظلمهم وقهرهم , أو محاولات الحساب له على ما ضيع وأهدر وسلب فى فترة وجوده بالسلطة , لذلك يصعب على الكثيرين من أصحاب السلطة ترك سلطتهم طواعية وذلك لما يعرفونه من عواقب ما بعد السلطة خاصة إذا كانت هذه السلطة غير شرعية أو غير منطقية أو مستبدة . أما فى النظم الديموقراطية فلا يوجد مثل هذا الرعب حيث يعرف صاحب السلطة مقدما حدود سلطته زمنا ومساحة ويعرف حتمية خروجه من السلطة طبقا للدستور (الذى لا يتغير لبقائه فى السلطة حين يريد) وتتم محاسبته أولا بأول فيخرج من السلطة بالطرق السلمية المعتادة لينعم بحياته الشخصية والعائلية بعيدا عن أعباء السلطة وقيودها وهو يشعر أنه خدم بلده فى الفترة التى قضاها فى السلطة ومن حقه الآن أن يخلو إلى نفسه أو إلى أسرته أو يمارس أعمالا خيرية أو ثقافية , وهكذا تمر الأمور بسلام دون شماتة أو انتقام .

تضخـــــــم الـــــــذات

يسعى إلى امتلاك السلطة والتشبث بها نوعان من الشخصيات هما الشخصية البارانوية والشخصية النرجسية وكلاهما لديه مشكلة مع ذاته , فالشخص البارانوى يشعر بالدونية وباحتقار الآخرين له ومحاولاتهم اضطهاده وسحقه وتدميره (هكذا يعتقد) لذلك فهو لا يثق بأحد ويتوقع السوء من أقرب الناس إليه ويشعر فى بدايات حياته بالظلم والإضطهاد وينظر إلى الناس بعين الشك ويسئ الظن بهم ويتوقع منهم الإيذاء والتآمر ضده , ويفسر أقوالهم وأفعالهم على محمل سئ ويأخذ حذره منهم ويبالغ فى ذلك , ونراه مفتوح العينين مستنفر القوى طول الوقت لأنه يتصور أن الخطر يحوطه من كل مكان , لذلك يسعى لامتلاك أدوات القوة ويسعى بكل ما يملك نحو السلطة عساها تحميه من غدر الناس وتعطيه القوة والسيطرة والإستعلاء على هؤلاء الأوغاد المتآمرين (الناس – كل الناس) . لذلك فصاحب هذه الشخصية لا يضيع وقتا فى أشياء جانبية تعطله عن هدفه . وهو لا يعرف قانون الحب وإنما يعرف التسلط والسيطرة للحفاظ على ذاته التى يقلق من تلاشيها أو سحقها لذلك فالوصول إلى السلطة يعتبر بمثابة دعم للذات وهو طول الوقت يحاول أن يزيد ويقوى من سلطاته لأن ذلك يدعم ذاته الهشة المهتزة , وفى مرحلة معينة تمتزج الذات بالسلطة فيصبحان شيئا واحدا لذلك تصبح السلطة بالنسبة له مسألة حياه أو موت وليست شيئا يمكن الإستغناء عنه فى وقت من الأوقات , وهذه هى اللحظة الفاصلة أو المرحلة الفاصلة التى يتحول عندها صاحب السلطة إلى مستبد أبدى ويصل إلى نقطة اللاعودة ولا يتخلى عن السلطة طواعية مهما كانت الأمور لأنه توحد معها وأصبحت جزءا من نسيجه النفسى , وربما يكون هذا وراء تحديد فترات السلطة فى الدول الديموقراطية حتى لا يصل الشخص المعرض لذلك إلى تلك الحالة المرضية . أما الشخص النرجسى فهو يشعر شعورا مبالغا فيه بذاته ويتصور أنه متفرد وأنه شئ خاص جدا وأنه محور الكون وأن لديه ملكات لا يملكها غيره وأنه جدير بكل الحب والإحترام والتقدير , لذلك يحاول أن يضع نفسه حيث يراها فنراه يهتم بصحته ومظهره وشياكته بشكل واضح ويبذل جهدا كبيرا للوصول إلى مستوى النجومية والتألق فلديه ذات متضخمة من البداية ويشعر أن الجماهير التى يحكمها محظوظة بحكمه إياها وكلما اتسعت سلطته طولا وعرضا وزمنا كلما تضخمت ذاته أكثر وأكثر حتى يصعب عليه فى مرحلة من المراحل أن يرى بجواره أحد فهو الملهم والعظيم والقادر والحكيم , وتتعقد الأمور حين يعمل من حوله من المتزلفين والمنتفعين على النفخ فى هذه الذات لتتضخم أكثر وأكثر حتى تمحو ما حولها ويشعر صاحب السلطة بامتلاكه لكل شئ وبتوحد الوطن مع ذاته , وهذه هى نقطة اللاعودة التى يصعب عليه عندها ترك السلطة طواعية لأنه ابتلع الوطن فى ذاته المتضخمة . وفى الحالتين نلاحظ حالة من التوحد بين ذات صاحب السلطة وبين الوطن على اختلاف دوافع التوحد ومبرراته , وهذا موقف فى غاية الخطورة لأنه يضع الجميع فى ورطة فقد أصبح الوطن فى هذه الحالة رهينة فى شخصية الحاكم وتصبح عملية الفصل غاية فى الخطورة (مثل عملية فصل التوأمين المتصلين) لأنها تحمل فى طياتها احتمالات تدميرية ربما تودى بالحاكم والوطن أو تكبدهما خسائر فادحة تستمر لسنوات طويلة .

ومن هنا نفهم مغزى عزل سيدنا عمر رضى الله عنه لسيدنا خالد بن الوليد وهو فى قمة انتصاراته وعظمة فتوحاته المذهلة , فكأن عمر خشى على خالد من الفتنة (تضخم الذات) وخشى على المسلمين من الإعتقاد بأن النصر يأتى به خالد , وعمر رضى الله عنه صاحب رسالة تهمه القيم أكثر مما تهمه الفتوحات لذلك لم يتردد فى عزل خالدبن الوليد قبل أن يدخل فى مرحلة الخطر كما ذكرنا على الرغم من أنه صحابى جليل وسيف الله المسلول . ويبدو أن سيدنا عمر رضى الله عنه كان يقظا لهذا الأمر فى نفسه وفى غيره , فحين ولى أمر المسلمين وقف فيهم وقال : " قد وليت عليكم ولست بخيركم فإن وجدتم فىّ خيرا فأعينونى وإن وجدتم غير ذلك فقومونى " , وكان دائم اللوم والتقليل لنفسه وكأنه يلجمها ويحميها من الزهو أو التضخم . فإذا كان سيدنا عمر يفعل ذلك مع نفسه ومع سيدنا خالد رضوان الله عليهما رغم ما يتمتعان به من نضج شخصى وصلاح وورع فمن باب أولى يصبح هذا الأمر أكثر ضرورة لشخصيات تقترب من السلطة وتسعى إليها وهى تحمل فى داخلها سمات بارانوية أو سمات نرجسية (منتشرة كثيرا فى مستويات السلطة المختلفة) قابلة للإنحراف فى أى مرحلة .

التلـــــوث السيكوباتـــــى والفســـــاد

كما قلنا من قبل فإن الشخصية البارانوية والشخصية النرجسية هما أكثر شخصيتين يسعيان نحو السلطة ويتواجدان فيها ويتشبثان بها , والسلطة بالنسبة لهما احتياج شخصى لتدعيم الذات وتضخيمها لذلك نراهما فى طريق سعيهما للسلطة ينتهكان الكثير من القيم أو الأعراف أو القوانين تحت زعم " الغاية تبرر الوسيلة " أو تحت وهم أنها ضرورات مرحلية يتم فيها التجاوز عن بعض المحظورات , وحين تصل هذه الشخصيات إلى السلطة وتذوق طعمها وتتوحد معها تتأكد أنه لا وجود لها بدون السلطة لذلك تستمر فى محاولات الإستبداد بالسلطة والتشبث بها وهذا يستدعى ممارسة سلوكيات سيكوباتية للتحايل والإلتفاف والتلفيق والخداع والكذب , وتصبح هذه الأشياء من ضرورات الإستمرار فى اغتصاب السلطة , وهكذا يحدث التلوث السيكوباتى لشخصية صاحب السلطة وينتشر هذا التلوث فى كافة جوانب المجتمع فى صورة فساد عام , والفساد هنا ضرورة بقاء حتى يحدث تناغم بين المنظومة السلطوية والمنظومة العامة (لأن المنظومة العامة لو بقيت نقية فى حالة فساد وتلوث المنظومة السلطوية فإنها سرعان ما تلفظها) , وكل هذا يحدث طبقا للمعايير السيكوباتية التى تهتم بالمبالغة فى إعلان عكس ذلك فنجد مبالغة فى الحديث عن الشفافية والطهارة والمبالغة فى الحديث عن المثاليات الأخلاقية والمبالغة فى الطقوس والمظاهرالدينية الخالية من روحانيات الدين , فى الوقت الذى يستشرى فيه الفساد ويتوحش .

إدمـــــان السلطـــــة

يحدث الإدمان نتيجة الشعور بعائد التعاطى من نشوة وانبساط ويحدث أيضا نتيجة ارتباطات شرطية تثبت السلوك الإدمانى وتدعمه , ولا شك أن السلطة تعطى نشوه ويحدث معها ارتباطات شرطية مدعمه وذلك بما تعطيه لصاحبها من مكانة وتميز وما تضفى عليه من هالة وما تهيؤه له ولأسرته من هيبة وما تتيح له من خضوع الناس واستعدادهم لخدمته والتفانى فى تلبية ما يريد . هذا الوضع حين يستمر طويلا يؤدى إلى حالة من إدمان السلطة , وكما هو الحال فى صعوبة علاج إدمان المخدرات أو إدمان التدخين أو إدمان أى شئ فإن علاج إدمان السلطة يكون غاية فى الصعوبة وقد يصل إلى درجة الإستحالة , فالسلطة شهوة من أقوى شهوات النفس فى حياة الإنسان وخاصة حين يتجاوز الإنسان مرحلة الشباب (التى تكون فيها الشهوة الجنسية هى أقوى الشهوات) , ولذلك كان بعض المعترضين على نظرية فرويد فى الغرائز يقولون بأن الغريزة الجنسية ليست هى الغريزة الوحيدة المحركة للسلوك فى كل مراحل العمر , حتى وإن كان ذلك صحيحا فى المراحل المبكرة من العمر إلا أنه فى مراحل تالية كثيرا ما تتفوق عليها غرائز أخرى مثل غريزة جمع المال أو غريزة السلطة , ونحن نرى رجالا كثيرين لا يهتمون كثيرا بالموضوعات الجنسية خاصة فى المراحل المتأخرة من عمرهم ولكنهم يهيمون عشقا ويضعفون أمام إغراءات السلطة أو المال .

العزلـــــة وافتقـــــاد الحيـــــاة الطبيعيـــــة

فصاحب السلطة يعيش حياة تحوطها المحاذير والقيود , فعلى الرغم من تمتعه بسلطات واسعة تبهر من يراه من بعيد إلا أنه محاط بآلاف المحاذير فهو غير قادر أن يعيش حياة تلقائية عفوية مثل بقية الناس وغير قادر على التجول فى الشوارع وارتياد المحلات والشواطئ والمنتزهات العامة , وكل تعاملاته مع الناس تحدث من وراء ستار لذلك فهى تعاملات غير صادقة وغير أصيلة وغير حقيقية , فكل المحيطين به يظهرون له الولاء والطاعة ليس بدافع من حب حقيقى وإنما بدافع من خوف حقيقى من سطوته , لذلك فهو محروم من المشاعر الطبيعية التى يتعامل بها البشر مع بعضهم . لذلك فالإستمرار فى السلطة لفترات طويلة يؤثر بالسلب فى شخصية صاحب السلطة حيث يبعده عن حقيقة الحياة وطبيعتها وعن حقيقة الناس ومشاعرهم ويفرض عليه وجودا كاذبا خادعا فهو لا يرى الحياة إلا من خلال تقارير تعكس وجهة نظر من كتبوها ولا يرى من الناس إلا أقنعة لبسوها رغبا ورهبا , ولا يبقى له من معرفة بالحياة الحقيقية إلا ذكرياته عنها قبل أن يجلس على كرسى السلطة وكلما تقادم به العهد فى السلطة خفتت هذه الذكريات فلا يبقى بينه وبين الحياة الحقيقية أى ارتباط . وهذا أحد الأسباب الذى جعل الدول الديموقراطية تحول دون أبدية السلطة حفاظا على السلامة النفسية لصاحب السلطة وحفاظا على صحة العلاقة بينه وبين شعبه .

سكـــــــرة السلطـــــة

وهى تعنى ذهول صاحب السلطة عن الواقع المحيط به (باستثناء ما يهدد السلطة) وعن العواقب الدنيوية والأخروية لأفعاله , وعن احتمال زوال السلطة , وربما يضطرب لديه الإحساس بالزمان والمكان نظرا للظروف التى تعطيه إحساسا بإمكانية كل شئ (على الأقل فى إطار احتياجاته الشخصية) , فصاحب السلطة يعيش حالة خاصة من الوعى تؤثر كثيرا فى إدراكه وفى قراراته .

الإغـــراء بالقـــدرة

فالسلطة قدرة قد تبدو لصاحبها هائلة وغير نهائية , وهذا يغريه بتفعيل هذه القدرة المتاحة واستخدامها فى تحقيق ما يريد دون النظر لكثير من المعايير المعتادة لدى عموم الناس , والمثل الشعبى يصور هذا الموقف الذى تتحول فيه القوة إلى قانون بقوله : " القوى عايب " , فعند مرحلة معينة من الشعور بالقدرة والسيطرة يشعر صاحب السلطة بأنه هو القانون والدستور وكل شئ , فإذا وقفت إحدى مواد الدستور حائلا بينه وبين إحدى رغباته أو احتياجاته فلا مانع أبدا من تغيير هذه المادة أو حتى تغيير الدستور أو تعطيله أو إلغائه وعمل دستور جديد يحقق له ما يريد مع إعطاء قناع قانونى زائف لكل هذا كاستفتاء الجماهير على الردستور الجديد وتزييف إرادتهم خلال عملية الإستفتاء , وسوف يجد صاحب السلطة من حوله ومن تحته من هم جاهزون لعمل كل ما يريد فهم أيضا عبّاد للسلطة ولأصحابها .

العنـــــــاد

وهو شعور مركب يتكون من الغرور والكبر واحتقار الآخرين وارغبة فى السيطرة المطلقة واغتصاب إرادة الآخرين بحجة أن الشخص المعاند هو الأعلم والأحكم والأقدر , وأن الآخرين جهلاء وقصّر . والعناد يحمل قدرا كبيرا من العدوان لأنه يبعث برسالة للرعية بأنها ليست ذات وزن حتى يستجيب لها صاحب السلطة , وبأنه ليس فى حاجة إلى إرضائها أو استرضائها فهو متحكم فيها بقوته وسطوته وليس برضاها أو قبولها

التألـــــــه

وهو قمة تضخم الذات لدى صاحب السلطة إلى الدرجة التى لا يستطيع معها رؤية أى ذات أخرى بما فيها الذات الإلهية , وقد أعلنها فرعون صراحة حين قال " ما علمت لكم من إله غيرى " , وقد يعلنها أصحاب سلطة آخرون بأشكال ولغات مختلفة تتفاوت درجتها حسب حالة تضخم الذات التى وصلوا إليها وانكماش ذوات الجماهير التى تحتهم .والتألّه يؤدى إلى التجبر والإستعلاء والطغيان والإستبداد بلا حدود , والمتألّه لا يكسره شئ إلا الموت يخطفه وهو فى قمة انتفاخه وزهوه.

الإحتـــــــراق (الإفـــــلاس)

ويحدث حين تطول مدة الحكم حيث تسرى حالة من الملل والفتور حياة السلطة وصاحبها نتيجة للروتين والتكرار الطويل الممل , وقد يحاول صاحب السلطة إيهام الآخرين بأن ثمة تجديد يطرحه من وقت لآخر من خلال بعض الإجراءات الهامشية السطحية , أو بعض الإعلانات التى توحى أو تعد من وقت لآخر ببداية مرحلة جديدة أو تبنى فكرا جديدا , ولكن يكتشف الجميع بعد وقت قصير أن الأمور كما هى وأنه لم يعد هناك غير الفتور والملل اللانهائيين

الشيخوخـــــــة

قد تشيخ السلطة فتصبح غير قادرة على استيعاب منظومات الحياة الحديثة أو تصبح غير قادرة على مواكبة الأحداث كما ينبغى , لذلك تتمسك بالأنماط القديمة والشعارات القديمة , وتصبح حركتها بطيئة وبليدة واستجاباتها باهتة شاحبة , ولا تستطيع مواكبة حركة الزمن أو التفاعل مع احتياجات الجماهير المتجددة , وتسعى إلى تكبيل حركة المجتمع وضبط إيقاعه بما يتناسب مع الإيقاع البطئ لصاحب السلطة

عبـــــادة الأبنـــــاء

حين يكتشف صاحب السلطة أن أبديته مستحيلة يلجأ مباشرة إلى السعى نحو الأبدية عن طريق توريث الأبناء الذين هم امتداد طبيعى لذاته التى عاش يعبدها ويسخر كل شئ من أجلها , لذلك يتشبث بتوريث أحد الأبناء والذين يصبحون بالنسبة له حبل نجاة من الفناء والإنتهاء , ولذلك يعبدهم كامتداد لعبادته لذاته ويضحى فى سبيلهم بمصالح الوطن والرعية .

الوقايـــــة والعـــــلاج

مثل أى مرض معروف تحتاج أمراض السلطة لإجراءات وقائية وعلاجية تحول دون حدوثها وتخفف من آثارها على صاحب السلطة وعلى الرعية , ونذكر من هذه الإجراءات ما يلى :

1- شرعية السلطة : بمعنى أن تكون منتخبة انتخابا حقيقيا بواسطة جموع الناس , فهذا يعطيها ولاءا واحتراما لمصالحهم , واعترافا بإرادتهم

2- مدة السلطة : كلما طالت مدة السلطة كلما استفحلت أمراضها حتى تصل إلى مرحلة اللاعودة عند نقطة معينة , ولذلك حرصت الدول الديموقراطية المتقدمة – كما قلنا– على تحديد فترتين للرئاسة ولا يجوز التمديد أو الإستمرار أكثر من ذلك مهما كانت عبقرية الرئيس وإنجازاته

3- مساحة السلطة : فكلما ازدادت مساحة سلطة الفرد أو كانت تلك السلطة مطلقة كلما كانت احتمالات أمراض السلطة عالية لأن السلطات الواسعة أو السلطة المطلقة تغرى صاحبها بالإستبداد والطغيان مهما كانت بداياته طيبة ومتواضعة

4- مابعد السلطة : بمعنى أن يكون هناك تصورا واضحا لحياة كريمة بعد السلطة ينعم فيها صاحب السلطة بحياة هادئة وجميلة , بحيث يخرج من السلطة شاكرا مشكورا راضيا مرضيا لكى ينعم بحياة شخصية وعائلية هادئة بعد أن أدى لوطنه حقه بشرف وإخلاص .أما إذا كان هذا المفهوم غامضا فإن صاحب السلطة يتشبث بها خوفا من الضياع أو المحاسبة أو الإنتقام أو التشفى أو الإنتقام , ولا يترك السلطة حينئذ إلا بالموت .

5- المحاسبة : بحيث يتم محاسبة صاحب السلطة أولا بأول عن أفعاله وتصرفاته حتى لا تتضخم أخطاؤه ويصل إلى نقطة اللاعودة فيضطر لأن يأخذ الوطن رهينة يحمى بها حياته وحياة أسرته.

منظومـــــــــــــة الإستبـــــــــــــداد

د. محمـــــــــــد المهـــــــــــدي- الطـــــــــب النفســـــــــي ، مصـــــــــــر
mahdy1956@hotmail.com

استشرت منظومات الإستبداد طويلا في العالم العربي في صور أنظمة ملكية أو حتى جمهورية , وتشوهت صورة العالم العربي داخليا وخارجيا بسبب وجود أنظمة دكتاتورية تقوم على القهر والإستبداد واحتقار الشعوب واستحمارها وإذلالها ونهب وتبديد ثرواتها مستندين في ذلك إلى قوة بوليسية ضخمة ومرعبة . وقد سادت حالة من اليأس من تغيير هذه الأنظمة التي لم تكتف بكل ما ذكرناه تجاه شعوبها بل تحالفت هذه الأنظمة في تسليم إرادة الأمة لأعدائها وفي التفريط في مقدساتها , وكنا نرى اجتماعات القمة العربية المستفزة والتي تعكس صورة الإنهيار المخزي في الأنظمة العربية بلا استثناء , وكان هذا يصيبنا بحالة من اليأس والأسى تزداد مع استمرار تعرضنا للقهر والإهانة من العدو الصهيوني كل يوم وهو يتكئ في قهره وإهانته لنا على هذه الأنظمة الفاسدة المترفة .

والحمد لله فقد لاحت تباشير فجر عربي جديد على أيدي جيل عربي مختلف ثار ضد منظومات الإستبداد في العالم العربي وبدأت شرارته في تونس وانتقلت إلى مصر وهاهي تواصل زحفها نحو ليبيا واليمن وغيرها لتتغير الخريطة العربية ويتغير معها التاريخ العربي الحديث . والأمر يحتاج ليقظة وعمق معرفة بخصائص منظومة الإستبداد التي تكررت في التاريخ العربي بشكل ملفت للنظر وكانت لها ملامح مشتركة نرصدها فيما يلي :

تتضمن منظومة الإستبداد صفات المستبد (بكسر الباء) والمستبد (بفتح الباء) بهم (المستعبدين) وطبيعة العلاقة بينهما , والبيئة التى يعيشون فيها . وفيما يلي أهم عناصر تلك المنظومة :

1- **التأله (العلو والكبر) :** يشعر المستبد بعلوه على من حوله من البشر وملكيته لهم , وبالتالى يطلب منهم الطاعة والانقياد , ولا يسمح لهم بمخالفته أو مناقشته , ويتقمص صفات القاهر الجبار . وهكذا شيئاً فشيئاً تتضخم ذاته خاصة مع خضوع من حوله , ويصل فى النهاية إلى الاعتقاد بألوهيته , وهذا هو نهاية متصل الاستبداد والذى وصل إليه فرعون حين قال : ﴿ أنا ربكم الأعلى ﴾ [النازعات : 24] , وقال : ﴿يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيرى﴾ [القصص : 38].

2- **الاستخفاف :** وفى داخل نفس المستبد استخفاف واحتقار لمن يستبد بهم , ويزيد هذا الشعور بداخله كلما بالغوا هم فى طاعته ونفاقه والتزلف إليه لأنه يعلم بداخله كذبهم وخداعهم , ويعلم زيف مشاعرهم , ويشك فى ولائهم وإخلاصهم , كما أنه من البداية يشك فى قدراتهم وملكاتهم وجدارتهم , وبالتالى يصل فى النهاية إلى الشعور بالاستخفاف بهم . وكلمة الاستخفاف التى وردت فى القرآن الكريم ﴿ فاستخف قومه فأطاعوه﴾ [القصص4] تحمل فى طياتها معانى الاحتقار والاستهزاء والإذلال والاستغلال .

3- **الجبروت والعناد :**- فالمستبد جبار متجبر عنيد وهى صفات متصلة ببعضها لأن جذورها فى النفس واحدة , فالمعنى اللغوى للجبّار " هو الذى يقتل على الغضب " وتجبَّر الرجل بمعنى تكبر (مختار الصحاح لمحمد بن أبى بكر الرازى المتوفى سنة 666 هجرية – دار الجيل – بيروت – لبنان ص91,90 طبعة عام 1407هـ 1987م) . فمنظومة الاستبداد تبدأ بالتكبر والاستعلاء الذى يصل إلى درجة التأله , ومن هنا كان بغض الله للمستبد وسخطه عليه لأنه ينازعه صفة الجبار وينازعه الألوهية بصفة عامة , وينازعه نفاذ الأمر الذى لا يبدل ولا يغيَّر , ولهذا توعده العذاب الشديد , فعن أبى موسى رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إن فى جهنم وادياً , وفى الوادى بئر يقال له هبهب , حق على الله أن يسكنه كل جبار عنيد » (راوه الطبرانى بإسناد حسن كما قال المنذرى فى الترغيب , والهيثمى فى : المجمع 197/5 والحاكم وصححه ووافقه الذهبى 332/4).

وعن معاوية رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : « ستكون أئمة من بعدى يقولون فلا يرد عليهم قولهم , يتفاحمون فى النار كما تفاحم القردة » [رواه أبو يعلى والطبرانى , وذكره فى صحيح الجامع الصغير برقم 3615] .

وواضح من طريقة العذاب عظم الجرم الذى يقع فيه كل طاغية ومستبد ودكتاتور فى أى موقع وعلى أى مستوى .

والمتكبر لا يحتمل اختلافاً فى الرأى , بل لا يسمح من البداية أن يكون هناك رأياً آخر يزاحمه لأن هذا الرأى الآخر يعتبر قدحاً فى تألهه وجبروته فهو يفترض أنه على صواب دائماً وأن ما يراه هو الحق المطلق , وبالتالى فهو يعتبر أن صاحب الرأى الآخر سفيهاً أو مضللاً ومتعدياً على مقامه الأرفع ومن هنا يكون غضبه شديداً يصل إلى درجة قتل المخالف مروراً بتعنيفه أو سجنه أو تعذيبه أو نفيه .

والمتكبر دائماً وأبداً عنيد لأنه يفترض أنه يمتلك الحقيقة المطلقة وبالتالى لا يقتنع برأى آخر ولا يريد أصلاً ولا يقبل أن يكون هناك رأى آخر .

4-الفسق :- ومع استمرار السلوك الاستبدادى يتحول الناس (المستبد بهم) إلى كائنات مشوهه وذلك من كثرة الأقنعة التى يلبسونها لإرضاء المستبد فيتفشى فيهم النفاق والخداع والكذب والإلتواء والخوف والجبن وتكون النهاية كائنات مشوهه خارجة عن الإطار السليم للإنسان الذى كرمه الله , والقرآن الكريم يصفهم بالفسق , والفسق هنا كلمة جامعة لكل المعانى السلبية التى يكتسبها الخاضعون للمستبد ﴿ فاستخف قومه فأطاعوه إنهم كانوا قوماً فاسقين ﴾ [الزخرف 54] .

5- الفساد :- وحين تجتمع الصفات السلبية للمستبد مع الصفات السلبية للمستبد بهم تكون النتيجة بيئة مليئة بالفساد " وفرعون ذى الأوتاد الذين طغوا فى البلاد فأكثروا فيها الفساد" [الفجر10-12] فالفساد نتيجة طبيعية ومباشرة للاستبداد مهما كانت مبررات الاستبداد ومهما كانت اللافتات التى يتخفى وراءها لأن الاستبداد تشويه للتركيبة النفسية للمستبد وتشويه أيضاً للتركيبة النفسية للمستبد بهم وبالتالى يحدث تشويه للبيئة التى يعيشون فيها , وكأن الاستبداد أحد أهم عوامل التلوث الأخلاقى والبيئى فى الحياة .

6- الضلا ل :- ونظراً لمحدودية رؤية المستبد وتشوه تركيبته النفسية منذ البداية ثم زيادة هذا التشوه نتيجة تضخم ذاته بالمدح والثناء من المستعبدين (بفتح الباء) , ورفضه للإسترشاد برؤى الآخرين , وإصراره العنيد على إنفاذ أمره وحده فإن النتيجة هى قرارات خاطئة فى كل المجالات « فاتبعوا أمر فرعون وما أمر فرعون برشيد » .

7- الهلاك :- والنتيجة المنطقية لتشوه المستبد وتشوه المستبد بهم , وفساد البيئة التى يعيشون فيها معاً هى الهلاك المحقق , فما من مستبد إلا ووصل بجماعته إلى الهاوية فضاع وضاعوا معه « فاتبعوا أمر فرعون وما أمر فرعو ن برشيد ♦ يقدم قومه يوم القيامة فأوردوهم النار وبئس الورد المورود » (هود 98/97) .

« فأخذناه وجنوده فنبذناهم فى اليم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين » (القصص 40) .

والهلاك ليس فقط فى الآخرة وإنما يسبقه هلاك فى الدنيا , وهلاك منظومة الإستبداد ليس قائماً فقط على إعتبارات أخلاقية أو دينية وإنما هو سنة كونية وقانون حياتى لأن الإستبداد يسير ضد تيار الحياة الإنسانية وهو تشويه للفطرة (للمستبد والمستبد بهم) ولذلك فلا يمكن أن يستمر طالما قُدِّر للحياة أن تستمر وتنمو وتتطور , فالمستبد مثل أى ميكروب او فيروس يدخل الخلية ويوجه نشاطاتها لخدمته وفى حالة عجز الخلية عن إكتشافه ومقاومته بجهاز المناعه لديها فإن المآل الحتمى هو ضد قانون تطور الحياة ونموها .

والأمثلة التاريخية لهلاك منظومات الإستبداد ليس لها حصر , ففرعون قد هلك غرقاً هو وجنوده , ونيرون أحرق كل شيء وإحترق معه , وشاه إيران ضاع وضاع ملكه ولم يجد فى نهاية حياته مأوى يؤيه وظل حائراً بطائر ته فى الجو وقد ضاقت عليه الأرض بما رحبت , وشاوشيسكو انقض عليه شعبه سخطاً وغضباً وألقاه فى مزبلة التاريخ , وقبلهم هتلر تسبب فى قتل 45 مليوناً من البشر ثم مات منتحراً أو مقتولاً تلاحقه اللعنات فى كل مكان , وصدام حسين أضاع ثروات العراق وأسلمها لاحتلال أمريكى بغيض لا يعرف أحد متى يرحل .

الإستبـــداد وعلاقتـــه بنمـــط الشخصيـــة

هل توجد أنماط شخصية معين تميل إلى السلوك الإستبدادى ؟

نعم , فدراسة حياة مشاهير المستبدين على المستويات المختلفة تؤكد وجود أنماط شخصية معينة تميل إلى السلوك الإستبدادى خاصة إذا واتتها الظروف , ومن هنا تصبح معرفة هذه الأنماط مهمة للوقاية من السلوك الإستبدادى ومن المستبدين . ونذكر من هذه الأنماط الشخصية ما يلى:-

1- **الشخصية النرجسية :** صاحب هذه الشخصية لديه شعور خاص بالأهمية وبالعظمة ويبالغ فى قيمة مواهبه وقدراته وإنجازاته ويتوقع من الآخرين تقديراً غير عادى لشخصه وملكاته وإنجازاته المبهرة فى نظره وهو يعتقد أنه متفرد فى تكوينه وفى أفكاره ويحتاج لمستويات عليا من البشر كى تفهمه وتقدره , ويحتاج للثناء والمدح الدائم والتغنى بجماله وكماله وأفكاره وبطولاته الأسطورية وتوجيهاته التاريخية ومواقفه العظيمة غير المسبوقة وهو لا يشعر بالتعاطف مع الآخرين ولا يتفهم إحتياجاتهم بل يريدهم فقط أدوات لتحقيق أهدافه وإسعاده وبلوغ مجده وهو أنانى شديد الذاتية ويسعى طول حياته ليضخم هذه الذات التى يعتبرها محور الكون , وربما ينجح فى الوصول إلى مراكز عليا فى الحياة بسبب إخلاصه الشديد فى تحقيق ذاته ورغبته فى التميز والإستعلاء على الآخرين .

2- **الشخصية البارانوية :** تدور هذه الشخصية حول محور الشك وسوء الظن , فصاحبها لا يثق بأحد ويتوقع الإيذاء من كل الناس ولا يأخذ أى كلمة أو فعل على محمل البراءة بل يحاول أن يجد فى كل كلمة أو فعل سخرية منه أو إنتقاصاً من قدره أو محاولة لإيذائه , ولهذا نجده دائم الحذر من الآخرين , لا يهدأ ولا ينام , ويكافح طول عمره ليقوى ذاته ويحمى نفسه من الآخرين « الأعداء دائماً وأبداً » , وهذا الشك والحذر وعدم الولاء للناس يدفعه للعمل الجاد والشاق لكى يصل إلى المراكز العليا فى مجال تخصصه , وهو حين يحقق ذلك يمارس السيطرة والتحكم فى الناس الذين يحمل لهم بداخله ذكريات أليمه من السخرية والإحتقار والإيذاء وبما أنه لا يسامح أبداً ولا ينسى الإساءة لذلك فهو يمارس عدوانه على من تحت يده انتقاماً وإذلالاً , ويحقر كل من دونه كراهية ورفضاً .

3- **الشخصية الوسواسية :** والشخص الوسواسى يميل إلى الدقة والنظام والصرامة والإنضباط ولا يحتمل وجود أى خطأ , وهو فوق ذلك عنيد ومثابر إلى أقصى حد , ولهذا يميل إلى أن يتأكد من كل شيء بنفسه ولا يثق فى أحد لأنه يعتبر الآخرين عشوائيين وغير منضبطين وأنهم سوف يفسدون الأمور التى توكل إليهم , لذلك نراه إن كان والداً أو مسئولاً يريد أن يستحوذ على كل شيء فى يده ويتابع كل شيء بنفسه ولا يترك لأحد فرصة للتعبير عن نفسه أو تحمل مسئولياته , فالآخرين فى نظره غير جادين وغير دقيقين وغير صارمين مثله وهم يحتاجون دائماً للوصاية والتوجيه والتحكم , فهم فى نظره أطفال عابثون يحتاجون فى النهاية لمن يضبطهم ويوجههم وإلا فسدت كل الأمور .

4- **الشخصية السادية :** وهو الشخص الذى يستمتع بقهر الآخرين وإذلالهم والتحكم فيهم وكلما شاهد الألم فى عيونهم استراح وانتشى وواصل تعذيبهم وقهرهم ليحصل على المزيد من الراحة والنشوة .

5- **الشخصية المعادية للمجتمع :** وهو نوع من الشخصية لا يحترم القوانين والنظم والشرائع, بل يجد متعه فى الخروج عليها , ولا يشعر بالذنب تجاه شيء أو تجاه أحد , ولا يتعلم من تجارب فشله , ويعيش على ابتزاز الآخرين واستغلالهم مستغلاً سحر حديثه وقدرته على الكذب والمناورة والخداع , وهو شخص لا يفكر إلا فى نفسه وملذاته , والآخرين ليسوا إلا أدوات يستخدمها لتحقيق ملذاته .

وبعد استعراض هذه النماذج الشخصية الأكثر ميلا للإستبداد نود أن ننوه أن المستبد يمكن أن يكون أحد هذه الأنماط ويمكن أن يكون خليطاً منها بعضها أو كلها .

أما المستبد بهم (المقهورين) فيمكن أن يكونوا أناساً ذوى سمات متباينة ولكن يغلب أن يكون لديهم سماتاً ماسوشيه بمعنى أن لديهم ميل لأن يتحكم فيهم أحد وأن يخضعوا له ويسلموا له إرادتهم ويستشعروا الراحة وربما المتعه فى إيذائه لهم و إذلاله إياهم , فلديهم مشاعر دفينة بالذنب لا يخففها إلا قهر المستبد وإذلاله لهم على الرغم مما يعلنون من رفضهم لاستبداده . وهؤلاء المستعبدين ربما يكون لديهم معتقدات دينية أو ثقافية تدعوهم إلى كبت دوافع العنف وتقرن بين العنف والظلم وتعلى من قيمة المظلوم وتدعو إلى التسامح مع الظالم والصبر عليه وترى فى ذلك تطهيراً لنفس المظلوم من آثامه .

والشخصيات المستعبدة لديها شعور بالخوف وشعور بالوحدة لذلك يلجأون إلى صنع مستبد ليحتموا به ويسيروا خلفه ويعتبرونه أباً لهم يسلمون له قيادتهم وإرادتهم ويتخلصون من أية مسئولية تناط بهم فالمستبد قادر على فعل كل شيء فى نظرهم , وفى مقابل ذلك يتحملون تحكمه وقهره وإذلاله ويستمتعون بذلك أحياناً .

إذن فالمستبد ليس وحده المسئول عن نشأة منظومة الإستبداد ولكن المستعبدين (المستبد بهم) أيضاً يشاركون بوعى وبغير وعى فى هذا على الرغم من رفضهم الظاهرى للإستبداد وصراخهم منه أحياناً . ولا تزول ظاهرة الاستبداد عملياً فى الواقع إلا حين تزول نفسياً من نفوس المستعبدين حين ينضجوا ويتحرروا نفسياً ويرغبون فى استرداد وعيهم وكرامتهم وإرادتهم التى سلموها طوعاً أو كرهاً للمستبد , حينئذ فقط تضعف منظومة الاستبداد حتى تنطفئ , وليس هناك طريق غير هذا إذ لا يعقل أن يتخلى المستبد طواعية عن مكاسبه من الاستبداد خاصة وأن نمط شخصيته يدفعه دفعاً قوياً للمحافظة على تلك المكاسب الهائلة . وإذا رأينا المستعبدين (المستبد بهم) ينتظرون منحهم الحرية من المستبد فهذه علامة سذاجة وعدم نضج منهم توحى ببعدهم عن بلوغ مرادهم وتؤكد احتياجهم لمزيد من الوقت والوعى ليكونوا جديرين بالحرية , فقد أثبتت خبرات التاريخ أن الحرية لا تمنح وإنما تسترد وتكتسب .

المستبـــــد ودافعـــــى التملـــــك والخلـــــــود

إن دافعى التملك والخلود ليسا قاصرين على المستبد وحده فهما دافعين أساسين فى النفس البشرية وقد عرفهما إبليس وحاول اللعب عليهما عندما أراد أن يغوى آدم فقال له مغرياً إياه بالأكل من الشجرة المحرمة ﴿ قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى﴾ [طه : 120] . ﴿ وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين ﴾ [الأعراف : 20] .

وفعلاً نجح الإغواء لآدم على الرغم من التحذير الإلهى له ﴿ ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين ﴾ [البقرة : 35] وعلى الرغم من إتاحة فرص التنعم المتعددة فى الجنة , وهذا يدل على قوة هذين الدافعين وعمقهما فى النفس البشرية , وعلى أنهما نقطتى ضعف يسهل الإغواء عن طريقهما .

ويبدو أن هذين الدافعين يكونان متخضمين فى نفس المستبد فهو لا يشبع من التملك وهو يسعى إلى الخلود وينكر فى أعماقه فكرة الموت . وكلما اتسعت دائرة نفوذه وكلما انتشرت صوره وتماثيله فى كل مكان كلما انزلق إلى الإعتقاد بفكرة خلوده , ولو أصابه المرض أو أدركته الشيوخة وأيقن بفكرة موته فإنه يتسمك بملكه ويتعلق بخلوده من خلال أبنائه فيحرص على توريثهم كل ما استطاع أن يتملكه فهم امتداد لذاته , وهذه هى سيكولوجية الأنظمة التى تقوم على فكرة التوريث حفاظاً على بقاء المُلك وخلود الذِكر .

مستويـــــات الاستبـــــداد

تبدأ بذرة الاستبداد داخل النفس ثم تنبت وتتمدد شجرته الخبيثة لتمد فروعها داخل الأسرة ثم داخل المدرسة ثم داخل المؤسسات ثم داخل المجتمع ثم داخل النظام السياسى حتى يصل إلى المستوى الدولى . وفيما يلى إيضاح لهذه المستويات :

1- **الاستبداد النفسى :-** ربما يكون هذا المفهوم غريباً بعض الشئ , ولكنه فى الحقيقة هو جذر شجرة الاستبداد , وهو النموذج الأولى للاستبداد (Prototype) ولكى نفهم الاستبداد النفسى لابد أن نعلم بأن النفس البشرية رغم وحدتها الظاهرة إلا أنها تتكون من كيانات مختلفة تختلف أسماؤها باختلاف النظريات النفسية , ففى النظرية التحليلية لفرويد نجد الهو والانا والأنا الأعلى , وفى نظرية التحليل التفاعلاتى لإريك برن نجد ذات الطفل وذات الناضج وذات الوالد , وفى علم النفس التحليلى نجد الأنيما والأنيموس ونجد القناع والظل , وفى نظرية كارين هورنى نجد الذات المثالية والذات الاجتماعية والذات الحقيقية .

وتبدأ فكرة الاستبداد داخل النفس حين يتضخم أحد الكيانات أو أحد الذوات داخل النفس على حساب الكيانات أو الذوات الأخرى وهنا يختل التوازن النفسى ويتوحش هذا الجزء المتضخم فى حين تضمر وتنسحب الأجزاء الأخرى منتظرة اللحظة المناسبة للانقضاض على الجزء المستبد , وفى كل هذه الحالات تمرض النفس أو تتشوه أو تهلك .

2- **الاستبداد الأسرى :-** ففى الأسرة تتأكد مفاهيم الحرية أو تنتفى , فهى المحضن الأول والأساس لقيم الحرية والمساواة والعدل وغيرها من القيم , فإذا مارس الأب أو مارست الأم الاستبداد كان ذلك بمثابة نموذج أوّلى للاستبداد يحمله الطفل معه ويتحرك بموجبه فى كل المواقع التى يذهب إليها , فهو يتصنع الخضوع والاستسلام ويسلم إرادته لوالده المستبد , ثم حين تواتيه الفرصة (حين يكبر هو أو يضعف أبوه) ينقض عليه منتقماً ومتشفياً .

3- **الاستبداد المدرسى :-** ويمارسه ناظر المدرسة على مدرسيه ثم يمارسه المدرسون على الطلاب ثم يمارسه الطلاب الأقوياء على الطلاب الضعفاء .

وبما أن المدرسة داراً أساسية للتربية فهى تنمى ذلك السلوك وتدعمه بل وتعطيه شرعيه تربوية وأخلاقية .

4- **الاستبداد المؤسسى :-** وهو امتداد طبيعى للاستبداد الأسرى والاستبداد المدرسى حيث تقوم كل المؤسسات على فكرة شخص واحد كبير يعرف كل شئ ويتصرف وحده فى كل شئ , وقطيع من المرؤسين يسمعون ويطيعون . والعلاقة هنا بين الرئيس والمرؤس تقوم على الخوف والعداوة المستترة تحت غطاء من النفاق والخداع .

5- الاستبداد الدينى :- فعلى الرغم أن الدين الصحيح يؤكد مفهوم الحرية (حتى فى الاعتقاد الدينى نفسه) ويؤكد مفهوم المساواة ويؤكد مفهوم الشورى إلا أن بعض الأفراد أو بعض المؤسسات ربما تستغل بعض المفاهيم الدينية أو شبه الدينية لتمارس تسلطها على الناس بحجة أنها تتحدث باسم الإله وبأمره وأنها تملك الحقيقة المطلقة التى لا يصح معها حوار أو نقاش , وربما يكون هذا هو أخطر أنواع الاستبداد لأنه يذل أعناق البشر باسم الدين وتحت رايته . وهذا النموذج نراه واضحاً فى زوج يقهر زوجته محتجاً بنصوص مأخوذة بغير معناها وخارج سياقها , أو أب يستبد بأبنائه ويلغى إرادتهم شاهراً آيات الطاعة فى وجوههم , أو رجل دين يمنح صكوك الغفران لمن يرضى عنه ويلقى بسخطه وغضبه على من يخالفه , أو حاكم يتستر تحت مفاهيم دينية ليخفى طغيانه .

ومن علامات الإستبداد الدينى تآكل منطقة المباح , تلك المنطقة فى السلوك البشرى التى سكت الله عنها لا نسيانا ولا إهمالا وإنما ليعطى فسحة للعقل البشرى أن يتصرف بحرية فى أشياء لاتقع فى منطقة الحلال أو منطقة الحرام . ومنطقة المباح هذه هى التى قال عنها الرسول صلى الله عليه وسلم " أنتم أعلم بأمور دنياكم " , وهى منطقة أرادها الله أن تكون واسعة وأن يحررها من قيود الحلال والحرام لكى يعطى العقل البشرى فسحة للعمل والإبداع دون حرج . وفى مجتمعات الإستبداد الدينى تعلو أصوات رجال الدين معلنة تحكمهم فى كل صغيرة وكبيرة فى حياة الناس تحت زعم أن الدين لم يترك شيئا إلا ووضع له حكما , ونسوا أو تناسوا أن حكم منطقة المباح أن تكون حرة , وأن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يكره كثرة السؤال حتى لايقع الناس فى فخ التشديد والإلزام فى أشياء لاتستدعى ذلك . وهذه المجتمعات التى تتآكل فيها منطقة المباح ويصبح الناس أسرى لآراء رجال الدين فى كل صغيرة وكبيرة يقعون فى فخ " الكهنوت " وهو مقدمة الإستبداد الدينى .

6- الاستبداد الاجتماعى (الطبقى) :- بمعنى أن تستبد طبقة ما بمقاليد الأمور مثل طبقة النبلاء أو الإقطاعيين أو طبقة رجال الأعمال أو طبقة البروليتاريا , فى حين تستبعد باقى الطبقات وتعيش مقهورة ذليله ولا تملك إلا الإنتظار المؤلم الحقود للحظة تتمرد فيها وتنقض على الطبقة المسيطرة وإذا انتصرت هذه الطبقة الجديدة المنقضة أو الثائرة أو المتمردة فإنها تستبد هى الأخرى بالأمور وتلغى أو تستبعد أو تستعبد الطبقات الأخرى وتبدأ دورة جديدة من دورات الاستبداد تنهك قوى المجتمع وتفقده أفضل ملكاته وإمكاناته .

7- الاستبداد السياسى :- وهو أكثر مستويات الاستبداد شهرة لدرجة أنه حين تذكر كلمة الاستبداد يخطر فى الذهن مباشرة هذا النوع من الاستبداد دون غيره , ربما لأنه الأكثر وضوحا أو الأكثر شيوعا أو الأوسع تأثيرا . وهذا الوضوح وهذه الشهرة للاستبداد السياسى يجعلنا فى غنى عن الحديث عنه بالتفصيل فقد أصبح من البديهيات ولكننا فى فقط ننوه إلى جذوره التى جاءت من نفس مستبدة وأب مستبد وناظر مستبد ومدير مستبد ووزير مستبد ورجل دين مستبد , فالاستبداد السياسى ثمرة مرة لثقافة استبدادية على مستويات متعددة وهو لا يزول بمجرد ثورة أو انقلاب ولكنه يزول حين تسرى ثقافة الحرية والمساواة والعدل فى كل أو أغلب المستويات سابقة الذكر . وسريان ثقافة الحرية وحده لا يكفى بل لابد من أن يكافح معتنقوا الحرية من أجل ترسيخ آليات لممارسة الحرية مثل الشورى أو الديموقراطية أو أى آلية أخرى تكون ضماناً لاستمرار الحرية وحاجزا أمام كل مستبد طامع يحاول الانقضاض فى أى لحظة على هذه القيم تحت أى لافتة مهما كانت براقة .

8- الاستبداد الدولى :- وقد أصبح هذا الاستبداد واضحاً منذ ظهور عالم القطب الواحد حيث تتحكم الامبراطورية الأمريكية الآن – منفردة – فى مقاليد الأمور , حتى الهيئات والمنظمات الدولية التى نشأت للمحافظة على الشرعية الدولية قد أطيح بها وأصبحت أداة فى يد الدكتاتورية الأمريكية المستبدة . وتقوم بريطانيا بدور هامان للفرعون الأمريكى المتغطرس فبريطانيا لديها طموح سياسى تحققه من خلال تقديم الخدمات لأمريكا وتبرير أفعالها والسير فى ركابها وتقوم اليابان والصين بدور قارون المستفيد ماديا من هذا النظام العالمى الفاسد . أى أن أطراف الثالوث الاستبدادى (فرعون وهامان وقارون) التى ذكرناها آنفاً متحققة تماماً فى النموذج الدولى .

وهذه الأطراف الاستبدادية تتحكم فى مقدرات الضعفاء والمستضعفين والخاضعين والمستسلمين من شعوب العالم .

أطـــــراف الاستبـــــــداد

وهناك أطراف (أو أضلاع أو أركان) ثلاثة للاستبداد تتحالف مع بعضها وتتآمر لخلق منظومة الاستبداد التى تحاول أن تستفيد منها (أو تتوهم أنها ستستفيد منها) ويحدد الدكتور / يوسف القرضاوى (فتاوى معاصرة , الجزء الثانى , دار الوفاء المنصورة , الطبعة الثالثة 1415هـ – 1994م صفحة 639) أطرافاً ثلاثة للإستبداد هى :

- الأول :- الحاكم المتأله المتجبر فى بلاد الله , المتسلط على عباد الله , ويمثله فرعون .
- والثانى :- السياسى الوصولى , الذى يسخر ذكاءه وخبرته فى خدمة الطاغية , وتثبيت حكمه , وترويض شعبه للخضوع له ويمثله هامان .
- والثالث :- الرأسمالى أو الإقطاعى المستفيد من حكم الطاغية , فهو يؤيده ببذل بعض ماله , ليكسب أموالا أكثر من عرق الشعب ودمه , ويمثله قارون .

ولقد ذكر القرآن هذا الثالوث المتحالف على الإثم والعدوان , ووقوفه فى وجه رسالة موسى , حتى أخذهم الله أخذ عزيز مقتدر : ﴿ ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين ♦ إلى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذّاب ﴾ [غافر : 24,23] . ﴿وقارون وفرعون وهامان ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا فى الأرض وما كانوا سابقين ﴾ [العنكبوت 39] .

والعجيب أن قارون كان من قوم موسى , ولم يكن من قوم فرعون , ولكنه بغى على قومه , وأنضم إلى عدوهم فرعون , وقبله فرعون معه , دلالة على أن المصالح المادية هى التى جمعت بينهما , برغم اختلاف عروقهما وأنسابهما (انتهى كلام الدكتور / يوسف القرضاوى) .

أدوات الاستبـــــــداد

لابد للاستبداد من أدوات للترهيب والترغيب حتى تخضع له الرقاب ويسلم له العباد (أو العبيد) إرادتهم وخياراتهم .

والمستبد يعرف جيداً مواطن ضعف البشر ويحاول استغلالها بأبشع الطرق وأكثرها حقارة ودهاءاً فى نفس الوقت . ونذكر من هذه الأدوات حسب ترتيب أهميتها :-

1- السلطـــــــة : فالأب المستبد يستغل نفوذه المالى وقوته الجسدية ومكانته المعنوية فى قهر أبنائه , والزوج المستبد يستغل حق القوامة (كما يفهمه) ويستغل تفوقه العضلى وربما المالى فى إذلال زوجته ووأدها , والمسئول المستبد يستغل ما يملك من صلاحيات للتحكم فى رقاب مرؤسيه , والحاكم المستبد يستغل جنوده (الشرطة والجيش) لإرهاب رعيته ويستغل النظام السياسى الموالى له لإضفاء الشرعية على أفعاله وتجريد خصومه من تلك الشرعية ووصفهم بالتآمر والخيانة والإفساد فى الأرض وتعكير صفو الأمن .

والقرآن يصور هذا الموقف فى قوله تعالى : ﴿إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين﴾ [القصص 8] . وقوله ﴿فأخذناه وجنوده فنبذناهم فى اليم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين ﴾ [القصص 40] .

2- المـــــال :- ومن لا يصلح معه الترهيب بالسلطة يصلح معه الترغيب بالمال , ولهذا يحرص المستبد على إمساك الثروة فى يده لتكون وسيلة ضغط على من تحت يده ووسيلة ترغيب وشراء ذمم .

3- المناصب :- ينتقى المستبد من بين الناس أولئك المتعطشين للمناصب والراغبين فى العلو بأى ثمن فيستخدمهم ويستعملهم كدروع له وكأدوات لحمايته وتبريد أفعاله وتمجيده وتحلية صورته أمام العامة .

4- **الإعلام :-** فالمستبد يحتاج لمن يدارى سوءاته ويزين عوراته ويسوق مشروعاته وأفكاره بين الناس ويبرر أخطائه ويحولها إلى انتصارات ويمارس الترييف للوعى والتخدير للعقول ودغدغة المشاعر طول الوقت . ومن هنا يمكن أن نعتبرالإعلاميين الموالين لأى مستبد بمثابة سحرة فرعون الذين كانت مهمتهم أن يسحروا أعين الناس بمعنى تزييف وعيهم .

5- **رجال الدين :-** ونقصد بهم فئة معينة من رجال الدين يقبلون إضفاء شرعية دينية على فكرة الإستبداد وإضفاء شرعية على كل أفعال المستبد وإستغلال المفاهيم الدينية لتبرير وتمرير كل ما يقوم به المستبد , وإصدار الفتاوى المبنية على تفسيرات تلوى عنق الحقيقة لمصلحة المستبد . وكل مستبد يسعى إلى تقريب عدد من رجال الدين (حتى ولو كان هو ملحداً أو علمانياً) لمعرفته بقيمة الدين لدى الناس وتأثرهم به .

المستبـــد يصنعـــه النـــاس مـــن حولـــه

قد يبدو للنظر القصير أن مجموعة المحيطين بالمستبد ضحايا له إذ يعانون من إستبداده ويتحملونه على مضض وهذا صحيح من جانب واحد أما الجانب الآخر فهو أنهم شاركوا فى صنع هذا المستبد , بعضهم شارك بالأقوال والأفعال التى ضخمت ذات المستبد (كالمدح والثناء والتبرير لكل صفات المستبد وأفعاله والمشاركة فى تنفيذ مشروعات المستبد) وبعضهم الآخر شارك بالصمت والإنكماش مما سمح لصوت المستبد أن يعلو عمن سواه وسمح لذاته أن تتمدد فى الفراغ الذى انسحب منه الآخرون كرهاً أو طوعاً .

ولهذا كانت قاعدة تغيير المنكر واجبة وفاعلة على مختلف مستويات القدرة من اليد إلى اللسان إلى القلب (والإستبداد من أخطر المنكرات) : « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده , فإن لم يستطع فبلسانه , فإن لم يستطع , فبقلبه وذلك أضعف الإيمان » ... " أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر " .

وعلى الرغم من أن التغيير بالقلب يبدو هافتاً وضعيفاً إلا أنه مهم جداً حين يعجز الإنسان عن التغيير بالوسائل الأخرى (اليد واللسان) فبقاء الرفض القلبى للمنكر هو بمثابة بذرة للخير وجذوة للحق تظل كامنة إلى أن تتاح لها الظروف للنمو والظهور ولولاها لاختفى الخير وضاع الحق إلى الأبد .

والناس يدفعون ثمن سكوتهم على الإستبداد مرتين مرة فى الدنيا ومرة فى الآخرة ففى الدنيا فساد وضياع ومعاناة وفى الآخره عذاب شديد , وكأن الإستبداد خطيئة دنيوية وأخروية معاً . عن جابر رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لكعب بن عُجْره: « أعاذك الله من إمارة السفهاء يا كعب » قال وما إمارة السفهاء ؟ قال : أمراء يكونون بعدى , لا يهدون بهديى , ولا يستنون بسنتى , فمن صدقهم بكذبهم , وأعانهم على ظلمهم فأولئك ليسوا منى ولست منهم ولا يردون على حوضى , ومن لم يصدقهم بكذبهم ولم يعنهم على ظلمهم , أولئك منى وأنا منهم وسيردون على حوضى » (رواه أحمد والبزار ورجالهما رجال الصحيح , كما فى إلى الترغيب للمنذرى , والزوائد للهيثمى 247/5) .

وعن عبدالله بن عمرو مرفوعاً : « إذا رأيت أمتى تهاب أن تقول للظالم : يا ظالم , فقد تودع منهم » (رواه أحمد فى المسند , وصحح شاكر إسناده (6521) ونسبه الهيثمى للبزار أيضا بإسنادين رجال أحدهما رجال الصحيح 262/7 , والحاكم وصححه ووافقه الذهبى 96/4) .

المجلـــــة الإلكترونيـــــة لشبكـــــة العلـــــوم النفسيـــــة

Index APN eJournal

www.arabpsynet.com/apn.journal/index-apn.htm

ملـــف العدد 36 – خريف 2012

"العلاج النفسي من منظور ثنائي البعد"

تعدّ التركيبة الدماغية للمخ البشري الوحيدة بين جميع الكائنات الحية، الجهزة **بملكة الاعتقاد في اللامشاهد** (الغيب). من ذلك أنّ **المحدود لا قدرة له على إدراك اللامحدود/الموجود بالفعل**، بحكم انّه **جهّز بما يؤهله الاعتقاد فيه و ليس بما يؤهله إدراك كنهه**، هذا إضافة إلى جهوزيته **لإدراك المُشاهد** (المادة) فهما و وتفكيكا وإعادة صياغة.

إن علوم النفس ذات البعد الواحد، وقد تجاهلت في دراستها وظيفة من أهم وظائف المخ البشري، نعدها اليوم في حاجة قصوى إلى **مراجعة جذرية انطلاقا من منظور ثنائي البعد**، نُؤخذ فيه بالدراسة جميع وظائف وملكات المخ البشري، علّها تبصرنا بذات نفس الإنسان، مكانته في الكون، رسالته في الحياة ومآله بعد الموت، فيعرف الإنسان في ظلها **سكينة حقيقية** افتقدها في ظل علوم نفسية أحادية البعد.

المشرف : الدكتور إدريس عبد السلام شاهدي الوزاني - المغرب/ السعودية -الطب النفسي
driss.chahdi@gmail.com

arabpsynet@gmail.com

آخر أجل لقبول الأبحاث 30 – 09 – 2012

"لمـــــــاذا الحـــــــــرب ؟

لماذا يتقاتل الناس أثناء الحرب العالمية الثانية 1933م "
"سيقموند فرويد"

د. مرسلينـــــا شعبـــــان حســـــن – مجلـــة نفسيـــــة – سوريـــــا
mar-selena@hotmail.com

الزملاء والزميلات الأعزاء على شبكة العلوم النفسية العربية

إليكم كما وعدت مقال عالم النفس التحليلي "فرويد" حول الحرب ، الذي جاء كجواب لرسالة أرسلها له عالم الفيزياء الشهير " أنشتاين

" رسالة فرويد لأنشتاين كجواب لسؤال : " لماذا الحرب ؟

حضرة السيد أينشتاين :

عندما علمت أن في نيتك دعوتي لتبادل الآراء حول موضوع يثير اهتمامك واهتمام الآخرين ، وافقت بطيبة خاطر وتوقعت منك اختيار مشكلة تقع في تخوم المشكلات المعروفة حالياً والتي لكل واحد منا سواءً كان فيزيائياً أم عالم نفس ، أن يصل إليها بطرقه الخاصة بحيث تتفق وجهات نظرهم حولها ، ولقد فجأتني عندما طرحت عليّ السؤال التالي : ماذا يمكننا أن نفعل لنُبعد حتمية الحرب عن البشرية ؟ أسمح لنفسي بالقول أن الشعور بعدم كفاءتي وكفاءتنا أفزعتني في البداية ،لأنه بدا لي أن هذه المهمة العملية منوطة برجال الدولة . لكنني أدركت فيما بعد أنك لم تثر هذه المسألة لكونك عالماً أو فيزيائياً ، وإنما لأنك إنسان محب للبشر، استجاب لمقترحات جمعية الأمم كما استجاب مستكشف القطب (فريد جوف نانسن) الذي أخذ على عاتقه إعانة الشعوب الجائعة والنازحة من ضحايا الحرب العالمية كما أدركت أنهم يطالبونني بتقديم اقتراحات عملية بل أن أشير ببساطة إلى كيفية عرض مشكلة تفادي الحروب من وجهة نظر نفسية.

عبرت في رسالتك أيضاً عن النقاط المهمة والرئيسة حول هذا الموضوع فلم يبق لدي شيء لأضيفه ، إنني أشاطرك الرأي وأكتفي بتأكيد كل ما تقوله والتوسع به بكل ما أعرفه وأفترض معرفته ، بدأت الكلام عن العلاقات التي تتناول القانون والسلطة .إنها بلا شك نقطة الانطلاق التي تلائم استقصائنا ، فهل أسمح لنفسي تبديل كلمة "سلطة" بكلمة "عنف" التي هي أكثر فجاجة وقسوة ؟ إن القانون والعنف في نظرنا الآن متناقضان ومن السهل البرهان على أن الواحد قد تطور انطلاقاً من الآخر . وإذا رجعنا إلى البدايات الأولى وفكرنا كيف حصلت الأمور في البداية نتوصل بسهولة إلى حل المشكلة . اعذرني إذا عرضت في سياق الرسالة أفكاراً معروفة ومعترفاً بها عالمياً وكأنها جديدة ، فالظروف تفرض على ذلك . يعدّ صراع المصالح بين الناس أمراً أساسياً يحسمه اللجوء إلى العنف وهذا ما يحصل في عالم الحيوان ولا يستطيع الإنسان أن يستثني نفسه منه إلا أنه – عند الإنسان – تضاف صراعات الآراء التي تبلغ في تجريدها أقصى الحدود وقد تتطلب تقنية أخرى في التحكيم . لكن هذا التعقيد سيأتي لاحقاً . إن التفوق العضلي عند قبيلة صغيرة هو الذي كان يقرر في الأصل من يحق له استملاك شيء أو من ينتظر تحقيق رغبته . وقد تدّعمت القوة العضلية بسرعة ثم استعاضوا عنها فيما بعد بالأسلحة ، والرابح هو من يملكها أو يستعملها بمهارة ، وبإدخال الأسلحة بدأ التفوق العقلي يحل محل القوة العضلية الخام ، وبقيت العناية الأخيرة من القتال نفسها حيث يرغم الجيش الموجود على خط القتال الأمامي على التخلي عن مطالبه ومعارضته للخصم بسبب الأضرار التي تكبدها ، وبسبب تعطل قوته . وبتحقيق هذا الهدف تماماً عندما يبعد العنف خصمه بشكل دائم أي عندما يقتله نجد أن الفائدة مزدوجة : لأن الخصم غير قادر على استئناف العمل الحربي من جديد ، ومصيره يثني الغير عن أن يحذو حذوه ، بيد أن قتل العدو يشبع ميلاً نزوياً يتحتم الإشارة إليه فيما بعد . قد تعارض نية القتل الاعتبار التالي : وهو إمكانية الاستفادة من العدو لمصلحتنا إذا هددنا حياته . في هذه الحالة يكفي إخضاعه بالقوة عن قتله .إنها بداية الرأفة تجاه العدو ، ويتوجب على الرابح بعد الآن أن يعلق أهمية على رغبة المنهزم الدفينة للانتقام وأن يتخلى عن جزء من أمنه الذاتي . إذن من هنا مفهوم السيادة للفريق الأقوى ، ووجود العنف الخالص أو المدعوم بالذكاء ونعرف أن هذا النمط من السيرورة قد تغير خلال التطور، وثمة مسلك واحد وينبغي علينا إدراك أن تفوق قوة أحد الأطراف يمكن أن تتكافئ مع اتحاد عناصر الضعف (ففي الاتحاد قوة) . حيث يقضي الاتحاد على العنف ، لأن قوة أفراد الاتحاد تمثل منذ الآن القانون المتعارض مع عنف طرف واحد فقط ، ونلاحظ أن القانون هو قوة الجماعة . إن الألم يتعلق دائماً بعنف جاهز ضد أي فرد يجابهه انه يستعمل الوسائل ذاتها ويسعى وراء الأهداف نفسها ويكمن الاختلاف الوحيد في أنه لم يعد عنف الفرد هو الذي يسيطر ، وإنما عنف الجماعة ، ولكن حتى يتم هذا الانتقال من العنف إلى القانون ، يجب أن يتوافر فيه شرط نفسي ، لذلك ينبغي أن يكون اتحاد عدة أطراف ثابتاً ودائماً . ولن يكسبوا شيئاً إذا كانت الغاية من تأسيسه محاربة موقع الطرف الوحيد المسيطر ثم انحلال عقدة اتحادهم بعيد النصر . وينزع الطرف الذي يعتبر نفسه الأقوى إلى الاستيلاء على السلطة بالقوة وتتكرر هذه اللعبة إلى ما لا نهاية ، لذا يجب دعم الجماعة باستمرار في تنظيم أمورها . وفي وضع تعليمات تتفادى تهديدات التمدد وفي اختيار هيئة مهمتها التأكد من أن الجميع يتقيد بالتعليمات والقوانين وتتحمل مسؤولية تنفيذ أعمال العنف المسموح فيها قانونياً ، ونظراً لاعترافهم بوحدة المصالح تنشأ بين أفراد المجموعة الإنسانية روابط عاطفية تجمعهم ، ومشاعر مشتركة تكمن فيها قوتهم الحقيقية .

انطلاقاً من هذه المعطيات ، نجد أن المهم منها قد تم إرساءه عندما تغلبوا على العنف عبر انتقال السلطة إلى مجموعة أوسع من الناس حيث حافظت الروابط العاطفية على تماسك أفرادها . وكل ما تبقى ليس إلا عواقب و تكرارات . وتعّد الأمور غير خطيرة ما دامت الجماعة تتألف من بعض أفراد يتساوون في القوة . تحدد قوانين هذا الاتحاد كمّ الحرية

الشخصية التي يجب على الفرد أن يتخلى عنها في استعمال قوته – العنف – ليضمن أمن الحياة المشتركة . بيد أن مثل هذه الحالة من التوازن لا يمكن تصورها وإدراكها إلا نظرياً في الواقع إن الوضع يتعقد على اعتبار أن الجماعة تشتمل منذ البداية على عوامل القوة غير المتكافئة من رجال ونساء وأهل وأولاد . وفيما بعد سيتحول المنتصرون والمهزومون بسبب الحروب والإذلال والإكراه إلى أسياد وعبيد . ويصبح حق الجماعة عندئذ تعبيراً عن توازن القوة غير المتكافئة الذي يسود بينهم وسيضع الحكام القوانين ويسنونها من أجل الفئة الحاكمة . ولن يؤمنوا للشعب إلا النذر اليسير من الحقوق . وعليه فإننا نشهد فيما يتعلق بالقانون ظهور مصدرين من اختلال النظام ومن التطور كذلك نلاحظ أولاً: محاولات الأسياد الفردية تجاوز الحدود المشروعة للجميع أي محاولات الرجوع عن سيادة القانون إلى سيادة العنف . نلاحظ ثانياً جهود المظلومين المستمرة للحصول على نفوذ أكبر وترقب اعتراف أكبر القانون بهذه التغييرات . ونلاحظ حالة هذه القوانين تسير بشكل معكوس إذ تتدرج من حق غير متساوٍ إلى حق متساوٍ للجميع .وسيكون لهذا التيار الأخير أهمية كبيرة خصوصاً إذا حصل انتقال حقيقي في توازن القوى داخل الجماعة السكانية ، لأن ذلك قد ينجم عن عوامل تاريخية مختلفة ويمكن للقانون حينئذ أن يتكيف تدريجياً مع توازن القوى الجديد أو حدوث ما يحصل غالباً حينما لا تكترث الطبقة الحاكمة لهذه التغييرات مما يفضي إلى نشوب ثورة أو حرب أهلية أي يحدث إلغاء مؤقت للقانون وامتحان جديد للقوى ينشأ على أثرها نظام قانوني جديد . هناك مصدر قانوني آخر لا يعبر عنه إلا بشكل هادئ يتجلى في انتقاله ثقافة أفراد المجتمع إلا أنه يشكل جزءاً من ظروف لا يمكن استعراضه إلا فيما يعد . نلاحظ إذن أنه حتى في داخل الجماعة السكانية لم يستطيعوا تجنب إنهاء صراعات المصالح العنيفة . لكننا نجد أن المقتضيات وارتباط المصالح التي تتولد من المساكنة في وطن واحد تكون ملائمة كي تنهي بسرعة صراعات من هذا النوع ، وفي هذه الأحوال يزيد احتمال وجود حلول سلمية بيد أن إلقاء نظرة على تاريخ الإنسانية تكشف لنا وجود سلسلة متواصلة من الصراعات بين تلك الجماعة والأخرى أو بينها وبين عدة جماعات . وبين وحدات متفاوتة الكبر مثل القطاعات المدنية . وبلاد وقبائل وإمبراطوريات وغالباً ما تحسم مثل هذه الصراعات من خلال نشوء حرب لامتحان القوى ، تنتهي مثل تلك الحروب إما بالنهب أو بالمذلة و الإكراه و الانتصار الكامل لأحد الأطراف المتخاصمة ليست حروب الغزو منوطة بحكم ذي بصيرة واحدة . فعدد من الغزوات كتلك التي شنها المغول والأتراك لم تسفر إلا عن كوارث وبالعكس فإن بعضها ساهم في تحويل العنف إلى وضع قانون لإنشاء وحدات واسعة تُمكّنها من الحؤول دون احتمال اللجوء إلى العنف حيث أصبح نظام القانون الجديد يحكم في الصراعات . هكذا أدخلت غزوات الرومان إلى بلاد المحيط المتوسط : (السلام الروماني) الثمين وتعطش ملوك فرنسا إلى التوسع لجعل بلدهم مزدهراً بوحدة السلام . ومهما بدا الأمر متناقضاً يجب أن نعترف بأن الحرب هي طريقة ملائمة ومرغوبة بشدة لتوطيد سلام دائم لأنه بمقدورها أن تنشئ وحدات واسعة تجعل من السلطة المركزية القوية الموجودة قادرة على منع حدوث حروب مستقبلية . بيد أنها لا تصلح البتة لهذا المأرب لأنه كقاعدة عامة لا يستمر نجاح الغزوات ، وغالباً ما تتفكك من جديد وحدات حديثة الإنشاء لعدم تماسك أطرافها التي ضمتها الحرب بالقوة من جهة أخرى ، لم يتمكن الغزو حتى الآن إلا من تحقيق اتحادات جزئية مهما كانت واسعة النطاق / حرضت صراعاتها الغازية على اتخاذ تدابير عنيفة ضدها . وكانت خلاصة هذه الجهود الحربية كلها ، أن دخل العالم في عدة حروب صغيرة لا بل مستمرة قابلتها حروب ضخمة وإن كانت نادرة ، إلا إنها مدمرة ، لابد أن النتيجة التي نصل إليها باختصار، أن هذه الطرق تُطبق في أيامنا الحاضرة . إن اتخاذ التدابير الاحترازية فعّالة لتفادي الحروب ليست ممكنة إذا لم يتفق العالم على إقامة سلطة مركزية ينقل إليها حق الاجتهاد القضائي الذي يحكم في كل صراعات المصالح . ويجتمع هنا شرطان واضحان :

1- أن يتم تشكيل هيئة عليا وأن تمنح الصلاحيات الضرورية

2- إن تحقق شرط واحد فقط لن يكون فعالاً وقد شُكلت جمعية الأمم لتشكل هذه الهيئة بيد أنه لم يستوف الشرط الآخر . وليس لجمعية الأمم صلاحية ذاتية ولا يمكن أن تنالها إلا إذا منحها إياها أفراد الاتحاد الجديد ومختلف الدول غير أن التوقعات في هذا الاتجاه تبدو محدودة في الوقت الحاضر . ونبرهن على عدم إدراك كامل اتجاه هيئة جمعية الأمم حينما نجهل أنه نادراً ما طُرح هذا المسعى أو لم يطرح مطلقاً على هذا الصعيد في التاريخ العام . وطُرح هذا المسعى في سبيل الحصول على النفوذ بمعنى نفوذ ملزم يرتكز عادة على ملكية السلطة مستنجدين ببعض المواقف المثالية .

لقد علمنا بوجود أمرين كفيلين لضمان تماسك الجماعة السكانية . أولها: كبح العنف

وثانيها: الروابط العاطفية بين أفرادها وهذا ما نسميه المماثلة في اللغة الاصطلاحية

إذا فشلت إحدى هذه العوامل يمكن للعامل الأخر عند اللزوم أن يصون الجماعة . وليس لهذه الأفكار معنى إلا إذا أفصحت عن أهمية مصالح أفرادها المشتركة . عندئذ يُطرح السؤال عن قوة الجماعة . وقد علمنا التاريخ أنهم مارسوا نفوذهم بالفعل وكانت فكرة اليونانيين / على سبيل المثال المعبرة عن إدراكهم بكونهم من طبيعة تفوق طبيعة جيرانهم البرابرة / قوية بما فيه الكفاية لتلطيف قانون الحرب الأخلاقي بين اليونانيين والتي تجسدت بشكل قوي في المدن اليونانية القديمة وعند العرافين وفي الألعاب . لكنها بالطبع كانت عاجزة عن تدارك النزاعات الحربية القائمة بين فئات الشعب اليوناني ولم تكن قوية كفاية لتمنع مدينة أو دولة اتحادية من التحالف مع العدو الفارسي لإلحاق الضرر بخصم له . أما الجماعة المسيحية بقوتها لم تمنع في / عصر النهضة / الدولة المسيحية صغيرة كانت أم كبيرة من الاستنجاد بالسلطان في الحروب التي خاضوها ضد بعض ، ولا يوجد حتى في عصرنا هذا رأي نستطيع أن الرجوع إليه، ويكون سلطة موحدة ، ومن الواضح جداً أن المثاليات الوطنية هي التي تحكم الشعوب في أيامنا هذه وهي التي تدفع إلى عمل معادٍ . فهناك أناس يتكنهون بأن الدعاية المعممة من نمط الفكر البلشفي وحده كفيل لوضع حد للحروب . في كل الأحوال ما زلنا بعيدين عن هذا الهدف حتى يومنا هذا ، وقد لا يكون قابلاً للتحقيق إلاّ بعد المرور بحروب أهلية مروعة . يبدو أن كل محاولة لاستبدال سلطة فكرية محكوم عليها بالفشل حالياً ، وأنه خطأ حسابي أن نعتبر أن القانون لم يكن في الأصل إلاّ عنفاً خالصاً وأنه لن نستطيع اليوم الاستغناء عن دعم العنف له . يمكنني الآن تناول شرح إحدى أبحاثك . إنك مندهش من مدى سهولة إثارة الحماس القتالي عند البشر وتفترض أن شيئاً ما يحركهم من الداخل كنزوة الكراهية والإبادة التي تستجيب إلى هذا الجنون المسيطر . من جديد لا يمكنني إلاّ أن أوافقك الرأي بدون قيد أو شرط . نحن نعتقد بوجود مثل تلك النزوات ، وقد سعينا في السنين الأخيرة تحديداً إلى دراسة مظاهرها ، فهل يمكنني أن أعرض عليك بشأن هذا جزءاً من نظريتي عن النزوات التي توصلنا إليها في التحليل النفسي بعد العديد من التردد والتريث ؟ نقر بأن النزوة عند الإنسان تتألف من نمطين :

إما أن تكون من النمط الذي يهدف إلى الحفاظ والتوحيد نسميها نزوات شبقية تأخذ معنى الايروس كما جاء في مسرحية (لوبانكية) لبلاتون أو تكون نزوات جنسية تتناسب مع مدلول واع للمفهوم الشعبي عن الجنسية – وغيرها من النزوات التي تهدف إلى التدمير والقتل ونضم هذه الأخيرة تحت مصطلح نزوة عدوانية أو نزوة تدميرية .

تلاحظ أن ما عرضته ليس إلاّ تحويلاً نظرياً للتعارض العام المعروف بين الحب والكراهية الذي قد يحافظ على علاقة أولية مع الثنائي ، إزاء نفور اللذين يلعبان دوراً في مجال أبحاثك ،بناءً عليه أسمح لي : ألا نتورط بسرعة في إطلاق أحكام تقويمية حول ما هو الجيد وما هو السيئ . لا تقل إحدى هذه النزوات في ضرورتها عن الأخرى ومن تفاعلاتها وردات فعلها تنشأ ظواهر الحياة . إلاّ أنه يبدو أن النزوة الي تخص أحد هذين النمطين من النزوات لا يستطيع أبداً إذا جاز القول – أن يعمل بمفرده لأنه مرتبط دائماً لا أو كما قلنا امتزج بكمية معينة من الطاقة الأخرى التي غيرت هدفها ، أو تسمح وحدها بتحقيقه إذا اقتضى الأمر. وهكذا نجد أن نزوة الحفاظ على الذات مثلاً تعدّ من طبيعة شبقية ، بيد أنها بالطبع تحتاج إلى أن يكون تصريف النزوة العدوانية إذا أرادت عندما تبلغ هدفها ، كذلك تحتاج النزوة الغرامية الموجهة نحو مواضيع ما إلى مساعدة معينة من نزوة الاستهلاك ، هذا إذا أرادت الاستحواذ على موضوعها . وقد أعاقت الصعوبات التي واجهتنا في فصل هذين النمطين من النزوات في نوع تجلياتها كي نتعرف عليهما .إذا أردت أن تتابع معي الطريق ، اعرف أن الأعمال الإنسانية تسهل التعرف على عقدة إضافية من نمط آخر . إنه لمن النادر جداً أن يكون الفعل من فعل حركة نزوية واحدة والتي تتكون في حد ذاتها من الايروس ونزوة الدمار ، وكقاعدة عامة ، يجب أن تتوافق عدة دوافع منظمة بالطريق نفسها حتى تجعل الفعل ممكناً . كان أحد زملائك يدعى (ج.ش.ليشتبرغ)الذي علمّ الفيزياء في فترة غوبتينغن في فترة ما ، كلاسيكياً قد عرف ذلك . وقد تكمن أهميته في كونه عالم نفس أكثر من كونه فيزيائياً . وقد اخترع كوكبة دوافع قائلاً : (يمكن تصنيف الدوافع التي من أجلها نقوم بعمل ما مثل 32رابح ؟ وأسمائهم مكونة بطريقة مشابهة من مثل خبز – خبز– مجد أو مجد – مجد – خبز) . عندما يندفع الرجال إلى الحرب يمكن لسلسة من الدوافع الموجودة في داخلهم أن تستجيب بشكل ملائم ، سواء كانت دوافع نبيلة أم مبتذلة . فمنها ما نجاهر بها عالياً ومنها ما نسكت عليه ، وليس لدينا أي مبرر لأن نكشف عن دوافعنا كلها . ومن المؤكد أن اللذة المستمدة من العمل العدواني والتدميري تحسب من بين هذه الدوافع . فتعدد الأعمال الوحشية المرتبكة عبر التاريخ وأثناء الحياة اليومية تثبت وجودها وقوتها . ويسهل لدينا أي مبرر لأن نكشف عن دوافعنا كلها . ومن المؤكد أن اللذة المستمدة من العمل العدواني والتدميري تحسب من بين هذه الدوافع . ويسهل اندماج هذه الميول التدميرية مع غيرها من الميول الشبقية والمثالية وإشباعها . عندما نسمع أحياناً عن الفظائع التاريخية يخيل إلينا أن الدوافع المثالية كانت بمثابة حجج لمطامع تدميرية . وفي أحيان أخرى ، نعتقد أن الدوافع المثالية التي تسببت مثلاً بالأعمال الوحشية أيام المحكمة التفتيشية قد فرضت نفسها على الضمير الواعي ، وأن الدوافع التدميرية قدمت معونة لاواعية . لذا هناك احتمال لوجود الاثنين .

إنني أشعر بالحرج لأنني استغل اهتمامك الذي ينصب على كيفية تفادي الحروب على نظرياتنا . وأود الوقوف قليلا عند نزوتنا التدميرية التي لم تنل بعد قسطاً من أهميتها. ونتيجة للجهود التي بذلناها في بحثنا النظري ، توصلنا بالفعل إلى إدراك أن فعل هذه النزوة الناشطة داخل الإنسان تؤدي إلى انحلاله وإعادة الحياة إلى حالة الجمود والسكون . فهي إذا تستحق – بشكل قاطع – تسميتها بنزوة الموت ، في حين تمثل النزوات الشبقية رغبات الحياة . وتصبح نزوة الموت نزوة تدميرية ضد المواضيع باتجاهها نحو الخارج بواسطة أعضاء معينة . ويحافظ الإنسان على حياته الخاصة بتدمير حياة الآخر . إنما يبقى جزء من نزوة الموت ناشطاً داخل الإنسان ، وقد حاولنا توضيح سلسلة كاملة من الظواهر السوية والمرضية لاستبطان النزوة التدميرية . حتى أننا عهدنا إلى طريقة منحرفة لتفسير نشوء ضميرنا الأخلاقي برده إلى تحول العدوانية نحو الداخل . وتلاحظون أن الأمر بالتأكيد ليس بهذه التفاهة فإن تحقيق هذه العملية على نطاق واسع يعدُ أمراً خطيراً بصراحة . وأن تحول هذه القوى النزوي، ة إلى تدمير العالم الخارجي يريح الإنسان لما تملكه حتماً من تأثير مفيد ليكون هذا بمثابة تبرئة بيولوجية لكل الميول المقيتة والخطيرة التي نقاومها . كما يجب أن نعترف بأنها أقرب إلى الطبيعة من مقاومتنا لها حيث يتوجب علينا أيضاً أن نجد لها تفسيراً . وقد يكون لديكم انطباع بأن نظرياتنا شبيهة بالأسطورة إجمالا ، ولا تعد مبهجة حتى في هذه الحالات ، لكن ألم تؤدي أية معرفة بالطبيعة إلى ما يشبه الأسطورة ؟ وهل الأمر مختلف بالنسبة لكم في الفيزياء الحديثة ؟

لنتذكر مما جاء أن هدفنا هو إظهار عبثية محاولة إلغاء ميول البشر العدوانية . يُقال إنه يوجد في المعمورة بلاد ميمونة تعيش شعوبها بهناء تجهل الإكراه والعدوانية . وتقدم لهم الطبيعة بوفرة كل ما يحتاجونه ، يصعب عليّ تصديق ذلك ، وأتمنى جداً أن أعرف أكثر عن حياة هذه الشعوب السعيدة . يأمل البلشفيون كذلك أن يتمكنوا من إزالة العدوانية البشرية بضمان تعويضها بأملاك مادية وتوطيد المساواة بين أفراد المجتمع . أنني أعتبر هذا الأمر مجرد وهم ، وقد أخذ البلشفيون احتياطاتهم للتسلح وأوهموا شعبهم بوجود خطر خارجي من أجل الحفاظ على تماسك أتباعهم . على كل حال ليس المقصود كما تلاحظون محو ميل الإنسان العدواني كلياً ، بل محاولة تحاشيه حتى يفقد مسببات وجوده في الحرب

نستطيع أن نجد بسهولة صيغة لتحديد الطرق غير المباشرة للنضال ضد الحرب انطلاقاً من معتقدنا الأسطوري عن النزوات . وإذا نجم إلى الميل عن نزوة التدمير، عندها نحاول الاستنجاد بالنزوة المضادة – أي الايروس– إن كل الروابط العاطفية بين البشر تعارض الحرب ، وقد تكون هذه الروابط على نوعين : النوع الأول : وجود علاقات نزيهة كالتي نقيمها مع موضوع غرامي مجرد من غايات جنسية . وليس على التحليل النفسي ان يخجل عندما يتناول موضوع الغرام ، لأن الدين عندما يتكلم عن الأمر نفسه :(أحبب قريبك كما تحب نفسك) . يسهل طبعاً الدعوة لمثل هذا الطلب مع أنه صعب التحقيق . أما النوع الثاني : هو الرابط العاطفي الذي يتماهى مع النقاط المشتركة بين البشر ، وعليهما يرتكز القسط الأوفر من بنيان المجتمع الإنساني .

اتخذت من مقال نشرته في تجاوزات السلطة دعوةً لمقاومة الميل إلى الحرب بطريقة غير مباشرة. ان انقسام البشر إلى عناصر حاكمة وعناصر محكومة يشكل جزءاً من تبلينهم الخلقي والحتمي وتشكل هذه العناصر الأخيرة الغالبية الساحقة . لذا فهي بحاجة إلى سلطة تحسم الأمور عنها وتخضع لها على الأغلب دون قيد أو شرط . من الضروري الاهتمام أكثر من السابق بتشكيل طبقة من رجال يملكون فكراً مستقلاً وحراً . ومن الصعب إرهابهم ومنعهم من السعي إلى الحقيقة ، وعليهم يقع حكم العامة غير المستقلة ذاتياً ، وإن تدخل السلطات العامة وقمع الفكر الذي أعلنت الكنيسة عن تأييدها له تغني عن البرهان . يكون الوضع المثالي في وجود مجموعة من البشر أخضعت حياتها النزوية لحكم العقل المطلق . ولاشيء آخر يمكنه أن يحدث وحدة كاملة وقوية بهذا القدر ،

حتى ولو تطلب منهم الأمر التخلي عن روابطهم العاطفية المتبادلة ، إنما نحن على الأرجح أمام أمل وهمي . وعن السبل الأخرى الكفيلة بمنع نشوب الحرب بطريقة غير مباشرة أكثر قابلية للاستخدام ، غير أنها لا تعد بنجاح سريع مثل الطواحين التي تطحن ببطء شديد مما يجعلنا نموت جوعاً قبل الحصول على الطحين . لاحظتم أنه لا جدوى من استشارة مُنظّر اعتزل العالم من أجل مهمات عملية طارئة . ومن الأجدر أن نبذل قصارى جهدنا في كل حالة خاصة لمواجهة الخطر بالوسائل المتاحة في هذا الظرف بيد أنني أريد أيضاً أن أعالج مسألة لم تثرها في رسالتك والتي تتطلب مني الاهتمام بشكل خاص . لماذا نحنق كثيراً على الحرب أنا وأنت والآخرون ولماذا لا نقبلها كما نقبل أموراً من حتميات الحياة الأليمة المتعددة ؟ مع أنها مطابقة للطبيعة الثابتة بيولوجياً والتي لا يمكن تجنبها تقريباً . إننا سنتلقى جواباً مفاده أن لكل إنسان حقاً على حياته الخاصة . وأن الحرب تبيد أرواحاً بشرية واعدة ، وتضع الفرد في مواقف تحط من قدره ، وتجبره على قتل أرواحاً بشرية أخرى كرهاً ، وتدمير قيماً مادية ثمينة هي ثمرة عمل الإنسان وحتى أكثر من ذلك ، نجد كذلك أن الحرب في أسلوبها الحالي لم تعد تعطي الفرصة لتحقيق المثال البطولي القديم . وإن حرباً مستقبلية بناء على تحسين وإتقان الوسائل التدميرية ، تعني إبادة أحد الخصمين أو قد يكون الخصمين معاً . كل هذا صحيح ولا نزاع فيه وإننا نعجب كيف أن العالم لم يرفض المؤسسات الحربية ، طبعاً تعتبر بعض هذه النقاط مواضيع قابلة للنقاش والمساءلة إذا كانت الجماعة لا تملك أيضاً حقاً على الفرد ، ولا ينبغي أن ندين كل أنواع الحروب بالدرجة نفسها طالما يوجد امبراطوريات ودول مستعدة لإبادة دول وامبراطوريات أخرى . لذا يتوجب على الآخرين أن يتسلحوا للحرب بلا رحمة . وسنمر مرور الكرام في حديثنا على كل هذه المواضيع ، وإن لم تكن هذه هي المناقشة التي دعوتني من أجلها . فأنا أطمح إلى شيء آخر ، واعتقد أن السبب الأول الذي يبرر حنقنا على الحرب لأنه ليس باليد حيلة . إننا مسالمون لأنه يتوجب علينا أن نكون كذلك لأسباب عضوية ، لذا يسهل علينا بعدها تبرير موقفنا بواسطة الحجج . سأكتب كلاماً غير مفهوم دون شرح إضافي إنني أفكر بالأمر التالي : منذ عهد سحيق وعملية التطور الثقافي تنتشر بين البشرية (أعلم أن أناساً غيري يفضلون تسميتها بالحضارة). نحن مدينون لهذه العملية بالفضل الأكبر في تفوقنا ، ويعود أيضاً القسم الأكبر من الويلات التي نعاني منها . إلاّ أن دوافعها وأصولها غامضة . ونهايتها غير أكيدة ، ويمكن كشف بعض من خصائصها بسهولة ، ربما تؤدي هذه العملية إلى انقراض الجنس البشري لأنها تمس الوظيفة الجنسية في أكثر من ناحية . ومنذ الآن تتزايد الفئات غير المثقفة والطبقات المختلفة من الشعب بقوة أكبر من الفئات المثقفة . قد تتماثل هذه العملية مع عملية تدجين بعض الأجناس الحيوانية ، فتتسبب بلا أدنى شك بتغيرات جسدية . ولم نتآلف بعد مع التصور الذي يعتبر أن التطور الثقافي هو ذلك التطور العضوي وتبدو التغيرات النفسية التي توائم التطور الثقافي واضحة ومجردة من أي التباس . وتكمن هذه التعبيرات في نقل تدريجي للأهداف النزوية ، وفي الحد من الحركات النزوية ، إن الأحاسيس التي كانت عند أجدادنا السالفين مصدر لذة باتت لاتعن لنا شيئاً ولا تطاق ، فهناك أصل عضوي لتغيرات معاييرنا الأخلاقية والجمالية والفنية ، ويبدو أن هناك خاصتين مهمتين من بين الخصائص النفسية للثقافة :

1- التمكن العقلي الذي بدأ يسيطر على الحياة النزوية

2- استبطان الميل إلى العدوانية مع كل ما حققته من النتائج الناجحة والخطيرة .

إلاّ أن الحرب قابلت المواقف النفسية التي فرضها علينا التطور الثقافي بضجة صارخة للغاية . لذا يتوجب علينا أن نثور عليها ، فلم نعد نتحملها أبداً ، وهو ليس رفضاً ذهنياً وعاطفياً فحسب ، بل تكمن المسألة بالنسبة إلينا نحن المسالمين في عدم تحمل بنيوي ، وفرط حساسية مضخمة إلى أقصى درجة إن صح القول . وحسب تقديري إن غضبنا تجاه التدهورالتقني للحرب هو بقدر غضبنا تجاه هذه الويلات . كم من الوقت يجب علينا أن ننتظر قبل أن يصبح الآخرون أيضاً مسالمين، فهذا ما لا نستطيع الإجابة عنه ، لكن قد يكون الأمل موضوعاً وهمياً لنعتقد بأن تأثير هذين العاملين ، أي عامل المواقف الثقافية وعامل الخوف المبرر من حرب مستقبلية قد يضعان حداً للعمليات الحربية في المستقبل القريب . لكن لا يمكننا التكهن بأية وسيلة غير مباشرة أو بأي حيلة سيحصل ذلك . وبانتظار أن يتحقق هذا الأمل يمكن أن نقول لأنفسنا : إن كل الأمور التي تعمل على نشر التطور الثقافي تعمل في الوقت نفسه ضد الحرب .

أبعث لك سلامات حارة ، وأطلب منك الغفران إذا خيّب بياني أملك .

– س. فرويد

Arabpsynet Books

Arabic Edition
http://www.arabpsynet.com/HomePage/Psy-books.Ar.htm
English Edition
http://www.arabpsynet.com/HomePage/Psy-books.htm
French Edition
http://www.arabpsynet.com/HomePage/Psy-books.Fr.htm
APN eBooks
Index:
http://www.arabpsynet.com/apneBooks/index.eBooks.htm

Arabpsynet Books Search

http://www.arabpsynet.com/Book/default.asp
Send your Book summary via BOOK FORM
www.arabpsynet.com/book/booForm.htm

فـــي تحليـــــــل شخصيـــــــــة صـــــــــدام حسيـــــــــن

أ.د.قاســـــم حسيـــن صالـــح – رئيـــس الجمعيـــة النفسيـــة العراقيـــة
qassimsalihy@yahoo.com

من المؤسف ان معظم ما قيل بخصوص صدام حسين لدى مثوله امام قاضي التحقيق، كان اما تحليلات سياسية مشحونة بانفعال الموقف منه (معه أو ضده) او اسقاطات ذاتية غير موضوعية فبعضهم وصفه بأنه (بدا وكأنه أسد في قفص تمنى أن يعود الى موقعه، وانه كان رجلاً متماسكاً ومتحدياً)، فيما وصفه آخرون بأنه بدا (منكسراً، ومرتبكاً، ومرتعشاً، ومتعجرفاً)، وما الى ذلك من اوصاف انفعالية لامور سطحية شغلت الناس عن جوهر القضية، وانستهم ان صدام حسين ظاهرة عربية واجتماعية واخلاقية وسياسية ونفسية وسلوكية، ساهم في صنعها ليس فقط تأريخه الشخصي والاسرى والبايولوجي، انما العراقيون والعرب ايضاً، وان في محاكمته انما يُحاكم تأريخ ونظام، وأنظمة عربية مريضة نفسياً ومختلة عقلياً.

سيكولوجيـــــــة شخصيـــــــة صـــــــدام حسيـــــــن

ان التحليل النفسي لاي شخصية انسانية يتطلب اخضاع تلك الشخصية للفحص النفسي وتطبيق اختبارات نفسية عليها، وكنت قد طلبت من الدكتور عدنان الباججي في فترة رئاسته لمجلس الحكم أن يوفر لنا نحن النفسانيين العراقيين فرصة اللقاء بصدام حسين، فأجاب في حينه بأنه الان في عهدة القوات الامريكية، وها نحن نوجه الطلب الى السيد رئيس مجلس الوزراء الدكتور أياد علاوي بأن يوفر لنا هذه الفرصة، قبل ان يصدر علماء النفس الامريكيون كتاباً عن صدام حسين، أظنه الان قيد النشر.

ان تحليلنا لشخصية صدام حسين تعوزه المقابلة والحوار معه وتطبيق مقاييس واختبارات نفسية تتمتع بالموضوعية والعلمية، ومع ذلك نستطيع القول بأن شخصية صدام حسين شخصية غير عادية بمعنى أن الناس يغلب عليهم نمط واحد في الشخصية:(انبساطي،انطوائي،نرجسي،...)، فيما شخصية صدام حسين تتصف بأنها مركبة من أكثر من نمط ، البارز فيها أربعة،هي:

1.نمـــــط شخصيـــــــة المتحـــــدي

واهم صفاته: الشعور بالثقة العالية بالنفس، وقدرة التأثير في الاخرين، وسعة الحيلة والدهاء، الصراحة، والشهامة،والحسم، وحب السيطرة، والميل للاستبداد والارهاب، وحب المواجهة.

ان جميع هذه الصفات موجودة في شخصية صدام حسين، الايجابية منها والسلبية أيضاً، ففي صفة الشهامة مثلاً، انفعل صدام مبرراً غزوه للكويت بأنه كان موقف الغيور على شرف المرأة العراقية، وبغض النظر عن الذين يفسرون موقفه هذا بأنه اراد ان يعزف على وتر حساس ليثير تعاطف العراقيين معه، وكان الاجدر به ان يعاقب ولده الذي انتهك شرف العديد من العراقيات، لكن ابرز هذه الصفات هو (حب المواجهة)، فالمتأمل للتاريخ الشخصي له على مدى نصف قرن، يجد ان صدام كان لا يرتاح للهدوء والاستقرار، وانه كان يعمد الى خلق ازمة تفضي الى مواجهة ومجابهة، اذا شعر بأن الاستقرار سيطول زمنه، وهذه حاجة نفسية عصابية قسرية في شخصية المتحدي متحكمة فيه.

2.نمـــــط الشخصيـــــــة المتحمـــــس

من اهم صفاته: الجرأة، والنشاط والحيوية، ويكون انساناً عملياً، لكنه اندفاعي غير منضبط، يسيء استعمال مواهبه وقدراته، ويستغلها بصورة سلبية، وهذه موجودة في شخصية صدام حسين، فهو يمتلك من الجراة والنشاط ما لا يوجد عند من هم بمنصبه او بعمره، وهو اندفاعي ايضاً استعمل قدراته بصورة سلبية، فغزوه الكويت مثلاً، كان ناجماً عن حالة انفعالية، وما كانت عقلانية قطعاً.

3. نمـــــط الشخصيـــــــة النرجســـــي

واهم صفاته: الميل لاخضاع الاخرين لارائه ولمعتقداته الخاصة، واعتقاده بأنه يمتلك قدرات استثنائية او خارقة، وشعاره هو (انا مميز)، وعليه فأنه يجد نفسه أنه أفهم من الاخرين وأرقى منهم، وأن عليهم ان ينفذوا طلباته.

وواضح ان هذه الصفات موجودة في شخصية صدام حسين.

4. نمـــــط الشخصيـــــــة السايكوباثـــــي

وهذا يتصف بالسادية والعنف والقسوة مع الخصوم، ويعد ايقاع الاذى والالم بهم حق مشروع له، ولهذا فهو لا يشعر بتأنيب الضمير عندما يعذب خصومه او يصفيهم جسدياً، وتفيد الاحداث ان هذه الصفات موجودة فيه ايضاً.

والاستثناء في شخصية صدام حسين ان صفات هذه الانماط الاربعة (بايجابياتها وسلبياتها) اجتمعت في تركيبه وشكلت الركائز الاساسية في شخصيته، ولهذا فانه خلق اكثر من صورة ذهنية في اذهان الناس، فهو عند كثير من العرب وبعض العراقيين يمثل (شخصية المتحدي) التي تثير الاعجاب، وتبرر له اخطاءه، وحتى جرائمه، وهو عند معظم العراقيين (شخصية السايكوباثي) العنيف القاسي الذي لا توجد في قلبه رحمة تجاه خصومه، والنرجسي الاناني الذي احتكر الثروة لنفسه، وانفقها في ترف سفيه، يأكل السمك المسكوف ولحم الغزلان المطعم برائحة الهيل، فيما شعبه يأكل الخبز الأسمر (بل الأسود).

صـــــــدام..كيـــــف يـــــرى نفســـــــه؟

لدينا في علم النفس ما نسميه (مفهوم الذات) Self Concept، ونعني به الاراء والافكار والمشاعر والاتجاهات التي يكونها الفرد عن نفسه، وهو يتضمن جانبين:(الذات كموضوع) أي معرفة الفرد لذاته وتقييمه لها، و(الذات كعملية Process) أي كحركة، وكفعل، وكمجموعة من النشاطات والعمليات العقلية كالتفكير والادراك والتذكير.

ويتشكل هذا المفهوم منذ الطفولة عبر مراحل النمو المختلفة، وفي ضوء محددات معينة يكتسب الفرد خلالها فكرته عن نفسه، وهذه الافكار والمشاعر والاتجاهات التي يكونها الفرد عن نفسه ويصف بها ذاته هي نتاج أنماط التنشئة الاجتماعية والتفاعل الاجتماعي واساليب الثواب والعقاب والاتجاهات الوالدية، فالطفل الذي يرى والده على انه محبوب وذكي واجتماعي ولطيف، يرى نفسه كذلك، فيما الطفل الذي ينشأ في البيوت المتصدعة والظروف المحيطة بهذا التصدع، نتيجة وفاة الاب والانفصال الاسري، يميل الى تكوين مفهوم سلبي عن الذات.

والنقطة الجوهرية هنا هي أن (مفهوم الذات) يعمل بوصفه دافعاً أو محركاً لسلوك الفرد، فهو، بتشبيه مبسط، مثل داينمو السيارة يشكل قوة دافعة، توجه وتنظم السلوك وتحدده، وتؤثر في توافقه وطريقة ادراكه للناس والاحداث.

ان البدايات الاولى لتشكيل مفهوم الذات لدى صدام حسين ما كانت سليمة بالوصف المعروف عن اسرته، فوجد في حزب البعث ما يشبع فيه حاجة نفسية في ان ينقله من دائرة الاهمال الاسري الى دائرة الاهتمام الاجتماعي، وعزز الحزب لديه مفهوب (الاقتحامي) الذي لا يخاف، ثم تطور الى مفهوم (المناضل) ثم (البطل) ثم (الرمز) عبر خمسين سنة من خبرات متنوعة وعميقة ومتطرفة ومتناقضة، من فشل واحباط ونجاح وتفوق استثنائي، اوحت له بالقناعة بأنه (بطل استثنائي)، وصادق عليها من كانوا يعدون أنفسهم ويعدهم هو ايضاً (ابطالاً) ولكن دونه درجات، والحق أن صدام يمتلك قدرات عقلية غير عادية، وقابليات جسمية استثنائية، وان في تكوينه البيولوجي ما يشير الى ذلك، فالمعروف لدينا ان الناس يقعون في ثلاثة اصناف من حيث نوعية الجهاز العصبي المركزي، الاول يتمتع بجهاز عصبي قوي، والثاني بمستوى متوسط، والثالث بمستوى ضعيف، وان معظم الناس يكون لديهم هذا الجهاز بمستوى متوسط، فيما القلة منهم يكون جهازه العصبي المركزي قوياً، وصدام من هذا الصنف، والدليل على ذلك ان ما جرى من فقدانه لإمبراطورية وحياة خرافية ومقتل ولديه وتشتت افراد اسرته.. لو انها جرت لشخص اخر لانهار او انتحر، ومع كل ذلك فأنه ظهر امام قاضي التحقيق متماسكاً، واراد ان يظهر للناس بأنه مايزال قوياً، بالرغم مما اصابه من اهانة نفسية، واذلال للكرامة، وانه ينظر الى نفسه بأنه ما يزال الرئيس الشرعي للعراق، واراد ان يوصل رسالة بانه الزعيم الحقيقي للامة العربية.

بطـــــل تراجيـــــــدي..أم شريـــــــــر؟

وعلى وفق هذا المفهوم للذات، فأن صدام ينظر الى نفسه على أنه بطل في مسرحية تراجيدية يمثل الان اخر فصولها، ومعروف ان بطل المسرحية التراجيدية ينتهي بموته في مشهد يثير التعاطف والشفقة وربما (التوحد) به، وانه سيعمل على ان يكون مشهد المحاكمة كذلك، اذا بقي يعد أوهامه حقائق مطلقة، ولم يحصل معه حوار يقنعه بأن معتقداته هذه أوهام ليس الا، ويعترف بأخطائه وجرائمه التي سيجد لها ألف سبب لتبريرها، وسيكسب المشهد ان نجح في تحويله الى محاكمة سياسية.

وسيكون القضاء العراقي في امتحان حقيقي، فاذا استطاع ان يثبت بنزاهة ان هذا الرجل شرير في حقيقته وافعاله، واقتنع الراي العام بذلك، عندها ستنهار صورة (البطل المتحدي) في اذهان المعجبين بصدام، وستكون تلك المحاكمة أفضل جلسة علاج نفسي، ليس فقط للحكام العرب، انما أيضا للمصابين بمرض التوحد بـــ(البطل المخلّص).

شركـــــاء..في صنـــــع شخصيـــــة صـــــدام

ليس من الصحيح علمياً، أن نعزو سلبيات واخطاء وجرائم صدام الى صدام نفسه فقط، وانما هنالك شركاء في صنع شخصيته، أولهم أسرته.. اذ شاع انها عاملته في طفولته بشيء من الاهمال المادي والنفسي ،مما اضطره الى ان يعيش في بيت خاله، فضلاً عن ان علاقته بأمه سببت له عقدة نفسية لتعدد زيجاتها، وتلقيه معاملة قاسية من أحد أزواجها (وسنفصل في ذلك لاحقا).

والشريك الثاني هو الحزب الذي انتمى اليه (حزب البعث) واعتماده أساليب التخويف والتهديد والتصفية الجسدية مع الخصوم السياسيين.

والشريك الثالث هم (العراقيون) أنفسهم في مرحلة صعود صدام في السبعينيات تحديداً، وفي مقدمتهم أساتذة جامعة وعلماء ومثقفون وفنانون، أضفوا عيه صفات استثنائية من قبيل (هبة السماء الى الارض)، فضلا عن الحشود الضخمة التي كانت تملأ الساحات تمجد صدام وتعده (بطلا استثنائيا).

والواقع ان تأليه (العراقيين) لصدام حسين وتمجيدهم له (في السبعينيات تحديداً) نابع من حاجة سايكولوجية، وذلك ان السلطة في العراق، وعلى مدى أكثر من ألف وثلاثمائة سنة مارست الظلم والقسوة والطغيان على الناس، وأوصلتهم الى حالة الشعور بالعجز بعدم القدرة على التغيير، خلقت فيهم الحاجة الى (بطل مخلّص)، وقد نجح الاعلام والثقافة في العزف على هذا الوتر النفسي، ليخلق في اللاشعور الجمعي لدى(العراقيين) صورة (الرمز) لهذا البطل المخلص، فضلاً عن أن تأريخ الحكام القساة الذين حكموا البلاد أسهم في تكوينه الادراكي لرجل السلطة في العراق بـــأنه لا يمكن أن يعيش ويحافظ على كرسيه الا بأن يكون أكثر قسوة وأشد عنفاً منهم.

معتقـــــدات صـــــدام.. أوهـــــام ام حقائـــــق؟

يعرف المعتقد بأنه فكرة يكونها الشخص بخصوص شيء أو موضوع، ويمكن أن تكون هذه الفكرة عقلانية ويمكن أن تكون غير عقلانية.

ويمكن تعريف الوهم بأنه كل معتقد غير واقعي، وغير عقلاني، أو يستحيل تحقيقه.

والواقع ان الكثير من المعتقدات التي يؤمن بها صدام تبدو لنا أوهاماً، وأول هذه الاوهام هو معتقده بامكانية توحيد الدول أو الاقطار العربية في دولة واحدة، يسودها نظام اشتراكي وتتمتع شعوبها بالحرية، وثاني هذه الاوهام هو معتقده بأنه افضل العرب لرئاسة دولة الامة العربية.

فيما يشير الواقع العربي الى ان الوحدة العربية لم تنجح بين قطرين عربيين، وان صدام لم يمنح الحرية ولم يطبق الاشتراكية في البلد الذي حكمه لاكثر من ثلاثين سنة.

العبـــــــرة..للحكـــــــام..والشعـــــــوب

ان في محاكمة صدام أكثر من عبرة بليغة لحكام العالم الثالث، وللعراقيين ومن سيحكمهم، منها:

· ان من سيحكم العراق مستقبلا، عليه أن ينحي جانباً فكرة (البطل)، وينظر الى رئاسة الدولة على أنها وظيفة يشغلها لزمن محدود.

· وان على العراقيين ان يكفوا عن تمجيد الحاكم، وان يغسلوا لا شعورهم الجمعي من فكرة (الرمز)و(البطل المخلص).

· وان على العراقي الذي يهوى السياسة الا ينتمي لاي حزب يميل الى استعمال اساليب العنف في تعامله مع خصومه.

واخيرا، فان الحكام العرب سيعتريهم هاجس المصير نفسه في اثناء متابعتهم لمشاهد المحاكمة، وسيوازنون بين انفسهم وبينه في ظلمهم وفي عدلهم، واظن ان اكثرهم غير عادلين، ولا أقول ظالمين.

المجلـــــة الإلكترونيـــــــة لشبكـــــــة العلـــــــــــوم النفسيـــــــة

Index APN eJournal

www.arabpsynet.com/apn.journal/index-apn.htm

ملـف العدد 34 – ربيع 2012

"الإدمان في المجتمع العربي... من الوصمة إلى الرعاية"

المشرف : الدكتور حسن حسين مصطفى - القاهرة، مصر / السعودية

دكتوراه علم النفسي - مستشفى الأمل. جدة، السعودية

moustafa_hassan_h@hotmail.com

arabpsynet@gmail.com

آخر أجل لقبول الأبحاث 30 – 03 – 2012

Arabpsynet Congress

Arabic Edition
http://www.arabpsynet.com/HomePage/Psy-Cong.Ar.htm
English Edition
http://www.arabpsynet.com/HomePage/Psy-Cong.htm
French Edition
http://www.arabpsynet.com/HomePage/Psy-Cong.Fr.htm

Congress FORM
http://www.arabpsynet.com/congre/CongForm.htm

المجلـــــة الإلكترونيـــــــة لشبكـــــــة العلـــــــــــوم النفسيـــــــة

Index APN eJournal

www.arabpsynet.com/apn.journal/index-apn.htm

ملـف العدد 32 – خريف 2011

السيكولوجية العربية... مأزق التقليد وتحديات التأصيل

المشرف: أ.د. صالح إبراهيم الصنع

أستاذ علم النفس بجامعة الإمام – الرياض، السعودية

drssanie@hotmail.com
arabpsynet@gmail.com

آخر أجل لقبول الأبحاث 30 – 09 – 2011

قـــــــــراءات فـــيسيكولوجيـــــــــة النفـــــــس العربيـــــــة الثائـــــــرة

arabpsynet@gmail.com

ظاهـــــــرة تونـــــــس"

منذ انطلاقة أحداث "**سيدي بوزيد**" بتونس، التي بدأت عفوية وبعيدة عن أي توظيف سياسي (أظنها ما تزال كذلك رغم محاولات كثيرين استغلالها)، وما تلاها من تداعيات متلاحقة بشكل متسارع . وجدنا أنفسنا أمام جيل جديد من أبنائنا: مثقف، متعلم، يحمل الشهادات العليا، ثائر لحرمانه من أبسط حقوقه: حقه في العمل الشريف والحياة الكريمة ، لا أكثرمن ذلك .. . وأناتساءل:

– ماذا علينا كأخصائيي العلوم النفسية من أطباء أساتذة عرب، فعله أو تقديمه لهؤلاء وأي دعم هم في حاجة إليه.

– هل بالإمكان فتح نقاش واسع لدراسة ما اسميه "ظاهرة تونس"التي بدأت حتما من تونس، لكنها ليست خاصة بهذا البلدالعربي.

أتمنى أن تمدوني بآراءكم .

أ. د. وائل ابوهندي
Dr. Wa-il AbouHendy
maganinposta@yahoo.com
www.MaGaNiN.CoM

الخيـــــر و الرفعـــــة لتونـــــس

الخير كل الخير والرفعة كل الرفعة لتونس الشقيقة

مع تحياتي الصادقة

الغالي أحرشاو
فاس، المغرب
El Rhali AHARCHAOU
aharchaou_rhali@yahoo.fr

وفـــازت تونـــس بالذهبيـــة فـــي أولمبيـــاد الشعـــوب

عقبالنا يارب

والله وعملوها الرجالة، عقبالنا يارب. والله وعملوها الرجالة وهرب الكلب .. عقبالنا يارب .. عقبالنا يارب

الزعامة لتونس

عندما قامت ثورة 23 يوليو في مصر إنفرط عقد الاستعمار في دول العالم الثالث والدول العربية. قامت مصر بالثورة فتحركت شعوب المنطقة؛ تلك الشعوب التي كانت تظن أنه يستحيل عليها الإستقلال. تحركت الشعوب المقهورة وتم طرد الاستعمار فكانت لمصر الزعامة. وقبل اليوم كان الجميع يرقبون مصر ظنا منهم أن ما زال لها الزعامة، وأنه إذا ما تحرك الشعب في مصر ستتحرك شعوب المنطقة.

الطغاة ورعاتهم نائمون مطمئنون فطالما مصر لم تتحرك فلن يتحرك أحد.

التاريخ يعيد نفسه؛ فالشعوب المقهورة تظن أنه يستحيل عليهم التحرر من الطغاة. وجاء الشعب التونسي ليتحرك ويطرد الطاغية، وحتما ستتحرك شعوب المنطقة ليسقط الطغاة.**نعم اليوم الزعامة لتونس**وعلى مصر السلام.

ذهبية تونس

وفازت تونس بالذهبية في أولمبياد الشعوب؛ فلمن الفضية اليوم، ولمن البرونزية غداً. أين نحن من هذا العرس. هل لنا من شيئ أم أننا سنخرج بصفر الأولمبياد.

لمن الملك اليوم

الذين باركوا شاه تونس بالأمس هم أنفسهم الذين يباركون اليوم ثورة شعبها. اليوم هم الذين يرفضون شاه تونس كما رفضت أمريكا يوماً شاه إيران. هذه هي نهاية كل شاه، وسيحاكم الطغاة ولن يفلتوا من العقاب. أبداً لن تهنأ شهبانو تونس بالغناء؛ كما غنّت شهبانو إيران من قبل "مصر مصر سعادة."

دكتور/ محمود ابورحاب
.M. ABOUREHAB, Ph.D
http://acoc.eg14.com
dr_abourehab@hotmail.com

إذا الشعـــب يومـــا أراد الحيـــــاة

إذا الشعب يوما أراد الحياة فلابد أن يستجيب القدر....

لقد جسد توانسا مطلع هذا القصيد حقيقية بالفعل وبالقوة. وكان مثالا ومصدر إعجاب للجميع...

كيف لشعب أعزل أن يغير مسار التاريخ؟

معجزة نقف نحن معشر المتخصصين منبهرين بها وعاجزين عن تحليلها وفهمها.

Docteur Khabbache Hicham
hichamcogn_99@yahoo.fr

نحـــــن واللحظـــــة التونسيـــــة

حقيقة، لقد قلقنا حول ما يجري من أحداث وتوترات في بلدكم، معبرين لكم عن فرحتنا ببشائر النصر المبين و أملنا في أن تعرف حياتكم اليومية طريق الهدوء والاستقرار من جديد، حتى تستعيدون، أطباء وأساتذة، نشاطاتكم في أمن وأمان وسلم وسلام

فأنتم ونحن أهل الاختصاص في الأحوال النفسية، نقدر جيدا ما يمكن أن يكون لذلك من وقع وأثر حاضرا ومستقبلا. إنكم تعيدون كتابة التاريخ ، إن ما نشاهده اليوم نعدّه محطة انفراج وفاتحة خير لكم/لنا ولذويكم/ذوينا ، كما نرجو أن تكون معنوياتكم الشخصية والمهنية "باهية".

قلوبنا معكم.

د. عبد الكريم بلحاج
abdelkrimbelhaj@yahoo.fr

منحتمونـــا ما نفخر بـــه ونجـــدد الأمـــل

إنه لشرف كبير أن أحظى بشكر ونقاش وعتاب من أستاذ بحجمك يا سيدي و انت عميدنا ، فلك مني موصول الشكر والدعاء بأن يهبك الله بركة في وقتك وصحتك وأفعالك فتغدق علينا كلنا من علمك ومن إبداعك الجامع الضام.

أتفق معك أستاذي في أن "ظاهرة تونس "تعبر فعلا عن قلوب ملآنة، وليست (لم أود اعتبارها) مجرد ثورة شباب مثقف يطالب بتحقيق ما يسمى "مستوى الضرورة " .... ولكنني بدءا أوضح أني كتبت بريدي قبل يوم 14 جانفي 2011 (قبل سقوط الديكتاتور)، واكتفيت بالتساؤل عن "ما يمكن لنا فعله أو تقديمه، مع الدعوة لفتح نقاش معمّق لقراءة هذه الظاهرة "، ونظرا لما كنت أعرفه عن نظام الحكم في تونس وحرجية الموقف بالنسبة لـــ"شبكة العلوم النفسية العربية" و الوضع لا يزال غامضا، ولما سمعت به من الماضي الوطني المشرف لرئيس الشبكة د. جمال التركي، لم أشأ أن أقدم قراءة معمّقة لا للوضع التونسي ولا للوضع العربي زمن كتابة بريدي، حتى لا أحرج الشبكة أو أسبب لها مشكلات تهددها (والرئيس السابق مازال لم يسقط بعد) خاصة وأنني كنت أتابع الشبكة يوميا وأستغرب لماذا لا يتفاعل أعضاء الشبكة مع ما يجري في تونس وكيف لم يشعروا منذ اللحظة الأولى باختلافه وباحتياجه لتفهم أعمق ... وفي الحقيقة كنت أتوقع أن الزملاء يكتبون ورئيس الشبكة لا ينشر ! لدواعي أمنية مفهومة!(خاصة و قد كان هاجس الخوف من إجهاض ثورة الشارع التونسي قائما حين هروب الطاغية وعائلته)!

إذن كنت أرى زمن كتابة بريدي أن علينا أن نسعى لتفهم أعمق لما يحدث في تونس أو لما اسميته "ظاهرة تونس"، وما ذلك إلا مقدمة لأن نتعهدها ونحاول صيانتها من الاستغلال لاحقا و مستقبلا... وأعتقد أني لو كتبت هذا قبل ما حدث الجمعة 14 يناير 2011 لم يكن لينشر .... واعذرني أستاذي إن كنت مخطئا....

أنا بكل تأكيد لا تغيب عني صورة تفجير الإسكندرية بل إنني أتابع عمل فريق للمساندة النفسية لأسر الضحايا حاضرهم ابنك د. أحمد عبد الله ويعاونهم الآن أطباء نفسانيون من الإسكندرية، وهذا بعض من واجبي كمسئول عن" شعبة طبنفس الطوارئ والكوارث" في اتحاد الأطباء النفسانيين العرب، كذلك أفكر مع صديقي د.أحمد عبد الله في تأسيس جمعية أهلية تكون نواة لنشر نقاط غائبة عن الخطاب الديني الشائع وغير الموصوم بأنه حكومي.... فلدى هؤلاء كثير مما يقرب ويوحد بين المسلمين والمسيحيين لكنهم للأسف لا يحاولون لن أقول تفعيله بل مجرد عرضه على الناس.... وهو لذلك غائب عن الثقافة الشعبية ...

وأنا كذلك أتابع ما يحدث في السودان بعين وقلب حزينين كأنني واحد من أهل شمال السودان(أعتقد أن عديد المصريين و العرب كذلك) ....ولكن بصدق فإن الصورة التي أرفقتها يا سيدي وفيها سوداني جنوبي يرقص فرحا بالانفصال في شارع في تل أبيب أو "تل الربيع" كما أحب أن أسميها باسمها الفلسطيني هذه الصورة كانت صادمة بحق.

ما يحاك ضد لبنان يوجعني و لا أكف عن متابعته، فلي في لبنان بعض من الذكريات التي تبدأ من قلوب الأصدقاء والأحبة من كل طائفة ولا تنتهي عند مخيم عين الحلوة والضاحية والأماكن التي زرناها بعد الانتصار سنة 2006 فلي في لبنان ساعات تقارب قدرا ما عايشت في غزة سنة 2009...كل هذا يحرمني من فرحة صافية لأنني أرى الجراح من حولي نازفة في الشمال في لبنان وفي الجنوب في السودان وفي الشمال الشرقي في غزة.

لكن كل هذا يا سيدي لا يمنع أن ما كان يحدث في جهة الغرب في تونس لحظة كتابتي لأخي د.جمال كان مختلفا كان الشيء الوحيد المشرق والمفرح في كل أحداث الأمة؟ لهذا رأيت فيه البشرى وأردت أن ألفت النظر إلى أهمية دعمها وأن نتعدها حتى لا تجهض جنينية في مهدها، لإدراكي أهميتها وأنها تهم الجميع، العاملين وغير العاملين في مجال الصحة النفسية.... بل هي تهم كل الأحياء في هذه الأمة العربية.

ما حدث ويحدث اليوم في تونس أعدّه بحق" ظاهرة" جديرة بالتوقف عندها.... تعلمنا كيف تزول الطواغيت السادرة أمام إرادة الجماهير الهادرة ..... وتعلمنا كيف تنتهي القلوب الملآنة بأصحابها مهما طال الزمن إلى صناعة المستقبل المشرق.

أشكرك أن منحتني شرف تعليق أستاذ بقدرك على ما كتبته أنا على الشبكة، وأشكر كل فرد من الثائرين في تونس أن منحنا ما نفخر به ونجدد الأمل.

والسلام عليكم ورحمة الله

أ. د. وائل ابوهندي
Dr. Wa-il AbouHendy
maganinposta@yahoo.com
www.MaGaNiN.CoM

إنـها تلـك الثـوره الشعبيـة بحـق وليسـت الظاهـرة

طالعت مداخلتك باهتمام شديد، أحداث ((سيدي بو زيد)) بدأت بصفعه من شرطي على وجه بائع خضار جامعي عاطل حرق نفسه في شجاعه يأساً واعتراضًا وانتحاراً وكأنها قمة جبل الجليد العائم، إنها تلك الثوره الشعبية بحق وليست الظاهرة.

يقول الشاعر.. (حدّ الخطر هو خطّ الأمان)، بمعنى إذا خاف الناس فلن يتجمعوا بهذا الشكل وهذا القدر حول المبني الرمز لوزاره الداخلية، قد يكون الطرح (رومانسيا) في حلم الثورة الذي ارتسم علي وجه جيفارا الجميل الذي بدى على أحد الأعلام المرفوعة للمتظاهرين.

رومانسيه الشعوب في تقرير مصيرها تكمن في القدرة على الحلم والحركة، وهو حلم حق مشروع له ما له وعليه ما عليه، من احتمالات الفوضى ومن احتمالات سرق الدور و سيطرة الأوغاد، لكن في عصر السماوات المفتوحة، والتكنولوجيا العالية جدا أصبح تواصل الناس سهلا و توحدهم في هذا الشكل الرائع نموذجاً جميلاً يمثل روعة تغني بها البوابون والمتدربون النفسيون والمرضي والناس في الشارع وداخل بيوتهم.

ها هو ذا وجه المستبد الطاغية يبدو قبيحاً هارباً رغم كل نعومة أجهزة حكمه الإعلامية.

لا يمكن يا عزيزي وائل لعفوية الشعوب وتلقائيتها أن تخضع للتوظيف السياسي البحت، ولا يمكن إغفال عمقها السياسي بمعناه الأرحب

(السياسة هي هموم الناس، أكل عيشهم، وحياتهم اليومية..السياسة صنعة وليست قبضة، أرى سرعة الهدير الذي أفزع الديكتاتورية الجاثمة علي صدور الشعوب العربية ما هي إلا ترجمة لعصر الانترنت والفضائيات والتواصل بالموبايل وسحر الـ sms.

كأحد المشاركين في الحركة الطلابية المصرية (1973/1972) ومن ساهموا في حركة الشارع وعياً وتظاهرًا وتنظيماً للطلاب، أستطيع القول أن (أخفاء الطابع النفسيpsychologizing للحالة التونسية أو غيرها أراه اقحاماً ولياً لذراع الطب النفسي، فالمختص النفسي بكافة أشكاله لا بد أن يكون مواطناً متفاعلاً سياسياً متورطاً في البعد الاجتماعي النفسي، فلا بد وأن يسبر غور البيئة المحيطة في تفاعلها مع كيمياء المخ العصبية، غليانها، ومدي تأثير كل منهما في الآخر، ما فعله الهارب بن علي ما هو إلا إهدار للطاقات والحياة، هدر للفكر والوعي وحق الإنسان في الوجود في الغذاء الصحي السكنى اللائقة، في الهواء النقي والعلاج والرعاية والعدالة، ثم يأتي بعد ذلك حق ابداء الرأي والمشاركة في السلطة.

تونس ليست ظاهرة، لكنها تتويج لحركة الشعوب في الألفية الثالثة، ودرس لمن تعلموا اليأس وأتقنوه ككلب سليجمان.

ماحدث فى تونس الخضراء الحرة يبدو وكأنه جلسة سيكودراما شعبية، ساحتها تونس، البلاد كلها، تعتمد علي التلقائية وترتكز علي العفوية والانسيابية وفلسفة اللحظة، هكذا دون رؤيتها من منظور العلاج النفسي، بل العكس وكأنها هي ثورة تونس تساهم في العلاج في بؤر علاجية شتى منها السيكودراما في عيادتنا التي تحولت إلى ما يشبه التفاعل الحيّ حول تونس الانسان والشعب وليس الظاهرة.

تفاعل تونس وقود وذخيرة، رفع وارتفع بالحالة النفسية للأفراد في برّ مصر، تفاعل له شهداؤه، وآلامه و بعض انفلاته الذي لن يمنعنا عن الاعتراف بالحق والصريح في إطلاق آلية التفكير والحوار العميق والتفكير النقدي سعياً إلى تلك الرؤية vision، والرؤي التي هي بألوان الطيف.

خليل فاضل
Khalil Fadel
www.drfadel.net
kmfadel@gmail.com

"عـــن الطواغيـــــت الســـــادرة والجماهيـــــر الهـــادرة"

أرسل إليّ الإبن الكريم أ.د. وائل أبو هندى عبر الشبكة العربية للعلوم النفسية، ردا رقيقا على تعقيبى على خطابه الذى نشر أمس، ونظرا لأن بالخطاب قدرا مبالغا فيه من تكريم لشخصى – مع جزيل شكرى له واعترافى بصدق مشاعره – فإننى اكتفيت بنشر ردى عليه هنا فى موقعنا احتراما لأصدقاء الموقع الذين لا تتاح لهم فرصة الحوار عبر الشبكة العربية.

كان أهم ما ورد فى رد أ.د. وائل أن خطابه الأول كان قد أرسله فى ظروف دقيقة قبل أن يغادر السيد زين العابدين البلاد، ولهذا جاء متسائلا متحفظا لإحراج القائمين على الشبكة، كما أشار سيادته إلى ما أعرف شاكراً عن جهوده، وجهود زملائه فى مجالات الإغاثة والطوارئ من الناحية النفسية فى كل موقع ومجال يحتاج إلى جهوده هو وزملائه، فوجب التنويه، والاعتراف بالفضل، واحترام الجهد.

وكان من بين ما جاء فى خطابه جملة حماسية صادقة تقول: "تزول الطواغيت السادرة أمام إرادة الجماهير الهادرة"، فرحت بالجملة، ودعوت الله له وللجماهير بالخير، وترحمت على الشهداء، ثم انتبهت إلى ما حفزنى للرد هكذا:

الـــــــــــــــــــــــــــرد

عزيزى وائل:

أشكرك مرة ثانية

وقد تفهمتُ تماما دقة التوقيت الذى أرسلتَ فيه رسالتك الأولى، وأشاركك الأمل، وأدعو لك ولزملائنا العاملين معك دون كلل بدوام التوفيق، خاصة فى المجال الذى تتولى مسئوليته ورئاسته، "الطوارئ والكوارث".

فقط لى ملاحظة (وآسف للتكرار)

لاحظت أنك لم تُعْطِ الانتباه الكافى إلى كيف أن هذا التونسى العربى "جمال التركى"، دون أية مجاملة، يمثل لى الوجه الآخرالإيجابى لما أسميته: "ظاهرة تونس"

أنا لا أنفخ فى أحد كما تعلم، لكن المثال الذى ضربه جمال بمثابرته منذ مغامرة إنشاء الشبكة العربية النفسية، خليق أن يبلغنى وإياك كيف أن مثل هذه الثورات الضرورية فى الشارع تحتاج إلى من يعدّ لها ويحفزها، بقدر ما تحتاج إلى من يتعهدها ويستوعبها.

وهذا ما قصدت به "الوجه الآخر "لـــ"ظاهرة تونس"

حين نستطيع أن نستوعب مسئوليتنا المعاصرة بـــــ: فعل حضارى يمهد لعمل ثورى،

ثم نستطيع أن نستوعب نتاج الثورة بعمل حضارى نساهم به فى الحيلولة دون تمادى الكارثة الإنسانية المتزايدة عبر العالم:

نكون أهلا للمشاركة الإنسانية ونحن نحمل أمانة أننا بشر

"الشبكة العربية النفسية" بنجاحها واستمرارها، من حيث الشكل قبل المضمون، قامت وتستمر بجهد فردى حتى الآن، لكنه جهد عنيد مثابر، وهذا، ومثله، هو بعض الفعل الحضارى الذى يمهد لأية ثورة إيجابية، وهو هو الذى يمكن أن يستوعبها حتى تؤتى أكُلها كل حين: فلا يكون مآلها أن تتلوث أو تتنكس حين يستولى عليها أوغاد لم يشاركوا فيها.

أنا فخور بثورة الشارع التونسى (وغير التونسى)، لكننى خائف على أية ثورة، بما فيها هذه الثورة، (خصوصا بعد أخبار حوادث السلب والنهب اللاحقة كنذير دال) أنا خائف ليس فقط من أن تنتهى إلى غير أهلها من الانتهازيين القوميين والوطنيين بل إنى خائف أكثر أن تستولى عليها القوى المالية العالمية الكانيبالية.

بكلمات أخرى أقول: إننى بقدر ما أنا فخور بالجانب الإيجابى الذى جرى فى الشارع فأنا فخور بالوجه الآخر لظاهرة تونس وهو الشبكة العربية النفسية، كرمز ودليل على ما يمكن أن ينجزه أى فرد يحمل أمانته فى مجاله،

هذا ما قصدت أن أبرزه فى ردى الأول عليك، وهو ما تصورت – يا وائل – أنه لم يصلك بالقدر الكافى، أو لعلى مخطئ

وهو أيضا ما افتقدته فى رد جمال، وهذا مفهوم، حرجا وتواضعا، فاضررت على أن أعيد الإشارة إليه ليس من أجل جمال وإعطائه بعض حقه، فالتاريخ، وعمله، بعد ربنا هم الذين سوف يعطونه – وأمثاله– ما يستحق وزيادة، ولكن من أجل التأكيد على أهمية العمل الفردى الذى آمل أن يتجمع تلقائيا مثل أى كائن حى كتب له البقاء بتواصل ملايين أفراده عبر العالم، ليحافظ على نوعنا ضد قوى الانقراض الغبية الطاغية المتزايدة.

نحن يا وائل لسنا أقل من أجدادنا من الأحياء بفضل الله وعملنا، نحن نأمل بهذا التواصل حتى التراكم الإيجابى أن يتخلق منه"الوعى الإنسانى الكونى الجديد"، بديلا عن النظام المالى الكانيبالى الإبادى التليد هذا هو أمل الشعوب فى كل مكان بدلا من "سكريبت": الاحتقان – الغضب – الثورة – الإجهاض – التلوث، ثم: كما كنت .

أنا أفرح بزوال الطواغيت السادرة أمام إرادة الجماهير الهادرة، لكننى أفرح أكثر حين تستمر الجماهير الهادرة، ولو فردا فردا فجماعة جماعة يقظة متحفزة فاعلة مبدعة، حتى تنتصر قوى الخير والتطور والإبداع فى كل مكان.

شكرا على كرم مبادرتك بالرد

وفقنا الله وإياكم إلى عمل الخير وخير العمل

مهما كانت قوى الشر متربصة

وعليكم السلام

يحيى الرخاوى
yehiatrakhawy@hotmail.com

"ظاهرة تونس" بدأت حتما من تونس، لكنها ليست خاصة بهذا البلدالعربي؟

أشكرك يا وائل أن أتحت لى هذه الفرصة من خلال تساؤلك الذى يقول: "هل بالإمكان فتح نقاش واسع لدراسة ما اسميه "ظاهرة تونس"التي بدأت حتما من تونس، لكنها ليست خاصة بهذا البلدالعربي؟

كنت قد توفقت عن الكتابة فيما يجرى فينا وحولنا مضطرا/مختارا معا، بعد موت صحيفة "الدستور"(إكلينيكيا) ، واعتذاري للوفد، وهو ما كان ينشر يومىْ السبت والأحد فى موقعى بعنوان "تعتعة"، لكن دعوتك اضطرتنى أن أسهم بما يلى:

1. أظن أنه من المستحسن أن نعطى ما أسميته "ظاهرة تونس"، أكبر من حجمها، وألا ننسى احتمالات ما وراءها، ومَنْ وراءها، ربما وصلتك فى حدود ما صوّرها الإعلام على أنها ثورة شباب مثقف يطالب بتحقيق ما يسمى "مستوى الضرورة" ،: "..... لحرمانه من أبسط حقوقه : في العمل الشريف والحياة الكريمة"، ليكن!! ولتكن خطوة أولى نحو "مستوى الحرية "ولكننى أنبهك ألا نكتفى بذلك، ونحن يحضرنا المثل المصرى جاهزا :"دى مش دبانة ، دى قلوب مليانة !!" وبالتالى : فأنا لا أوافقك على اعتبارها بعيدة عن السياسة المعلنة والخفية، وأشاركك فى احتمال استغلالها

2. كذلك أحذر من تصورك أن المسألة قد تخص الأخصائيين النفسيين (أطباء وغير أطباء) بشكل أكثر مما تخص أى مواطن من أى تخصص آخر، فأنا أصبحت شديد الحساسية ضد ما يسمى "علم النفس السياسي" و" الطب النفسى السياسى" برغم احترامى الشديد للاجتهادات فيه، ذلك لأن ما يجرى تحت الأرض مما يسرّ العالم هو أقرب إلى مناورات المافيا، منه إلى ظاهر سلك الناس، فعذرا، وليشترك مل من موقعه بما يمكنه، ولنحترم العامة أكثر فأكثر باستمرار

3. تمثل لى تونس "الخضراء" – يا وائل – وضعا خاصا، به جرعة شخصية أخجل أن أتمادى فى الحديث عنها، لكن من حق صاحب الفضل أن يُـذكر فضله فهو السبب فيها، ذلك أن أول من عرّفنى أن بعض فكرى يصل إلى بعض أهلى العرب كان شابا تونسيا اسمه "جمال التركى"، حين دعانى لزيارة تونس لبضعة أيام، (6-10 فبراير سنة 2002)، فكان ما كان من استقبال طيب، أحيا فينا معا آمالا ليست قليلة، أظن أنها كانت مسؤولة بشكل أو بآخر عن إنشاء الموقع الخاص بى، ثم عن كتابة نشرتى اليومية فيه "الإنسان والتطور"، بتشجيعه أيضا، وكان ذلك – وما زال – مرتبطا بذكريات طيبة غامضة، وحنين آسر– لأسرة جميلة، وبيت أنيق، به زاوية للصلاة والذكر، فى بلدة آمنة برغم القهر والقمع: اسمها "صفاقس"، وظل ما فعله ويفعله "جمال" للغة العربية، والوطن العربى، والتخصص النفسى، فالناس، يمثل لى أمرا مهما جدا، لم يعد شخصيا، وأصبحت صورة هذا الشاب (مع أنه غالبا سوف يصبح جدا قريبا)، تحضرنى فى بؤرة وعيى، كلما سمعت لفظ "تونس"، حتى لو لم تلحقة صفة "الخضراء"، فقد كانت فى وجدانى دائما خضراء، سواء جاء هذا الذكر بمناسبة مباراة كرة قدم، أو نقد لممارسات قمعية، أم تذكرة بسحر سياحى خاص.

4. تابعت الأحداث الأخيرة فى تونس ولم أستقبلها كما فعلتَ أنت يا وائل، فبرغم من نهايتها المفرحة الراقصة، فقد تزامنتْ مع رقص آخر لجنوبيى السودان فى شوارع تل أبيب (الصورة)

5. تواكبتْ هذه الأحداث أيضا مع حادث كنيسة الإسكندرية البشع، وما تلاه من أحداث أبشع، مع أن ضحاياها كانت أقل، لكن دلالاتها وصلتنى أخطر.

6. ثم خذ عندك فشل الوساطة السعودية السورية فى لبنان والرعب من اندلاع الحرب...إلخ إلخ

وبعد

فى المرور الإكلينيكى الذى أدرتُه يوم الثلاثاء الماضى، وكان أول مرور بعد حادث كنيسة الإسكندرية، بدأته يا وائل بأن أعلنت مسئوليتى الشخصية عن هذا الحادث بشكل مباشر، وكأننى أنا الذى ارتكبته شخصيا، ثم حمّلت بناتى وأولادى (زملائى) فردا فردا مسئولية ما حدث وما سوف يحدث، حتى لا يكتفون بالأحضان وتصور التسامح ..أوالإنكار النعامى، لخ، ثم إنى كررت ذلك فى الندوة العلمية التى عقدت أمس (الجمعة عن: فن الصمت فى المقابلة الإكلينكية) فى دار المقطم للصحة النفسية، هذه التوصية لا تـُنقص من الفرحة بل تحفز على تحمل مسئوليتها، إننى أقرأ الآية الكريمة "..ولا تفرحوا بما آتاكم" بهذا الشكل، فلا تنسى يا وائل أن ما تم فى تونس ليس إلا بارقة أمل علينا أن نتعهدها قبل أن نعتبرها "ظاهرة تونس"

أنا لا أعتقد يا وائل أنك فى حاجة إلى تذكّر قول جيفارا " الثورة يصنعها الشرفاء، ويرثها ويستغلها الأوغاد"، وعندنا والحمد لله ما يكفى من أوغاد ليرثوا كل جهد الثوار، وليلوثوا كفاحهم فى كل بقاع العالم العربى، بل عبر العالم كافة، "ظاهرة تونس" عندى تكتمل بمثل جهد هذا الشاب الذى اسمه "جمال التركى" فى إنشاء واستمرار هذه الشبكة النفسية العربية برغم كل شيء.

أرجوك أن تدعو معى أن يتحمل كل واحد وواحدة منا على حدة، ثم معا، كلٌ فى مجاله، لقد شبعنا فتح باب النقاش وقفله، ولتتذكر كيف لم تتحمل أنت شخصيا النقد، وأهدرت الجهد الذى بذل فيه بسهولة فائقة، لمجرد حرصك على نشر عملك الرائع عن الوسواس القهرى، وقد أجلت عتابك كل هذه السنين، ثم هأنذا أجد المناسبة لأذكرك أن مثل هذا التعليم من هذا ألحداث الصغيرة، هو مرتبط بظاهرة تونس، وظاهرة جنوب السودان معا، ولتواصل يا وائل، نواصل معا، مع كل الناس دوام السعى والكدح، فالإبداع الحقيقى، مع كل الحذر من الاختزال أو التعميم أو الكسل أو التأجيل، فلي هناك سبيل آخر. هكذا تصبح ظاهرة تونس بوجهيها نافذة أمل حقيقية .

أعذرني يا وائل، لم أعد أستطيع أن أقرأ حدثا منفردا عن ما يحدث عبر العالم، ولا أن أفصل الماضي عن الحاضر، ولا اللمم عن الحسيم، ولا الشخصي عن العام.

الطريق طويل، والرحلة شاقة، والعدو قذر ونذل وغادر، والضحايا أكبر بكثير من ضحايا كنيسة الإسكندرية أو مظاهرات تونس، والمجرمون الحقيقيون يسيّرون العالم سرا وعلينا، ويعلنون الحروب استباقيا، ويقتلون الأبرياء بغير محاكمة، ويستعملون الفيتو ليحموا به القتلة الرسميين، وغير الرسميين، ويقودون الإنسان عبر العالم إلى الانقراض من أجل حفنة أصوات انتخابية، تملؤ خزائنهم بما لا يحتاجونه

لتكن "ظاهرة تونس" ذات وجهين،

ولنتحمل مسئولية الوجهين معا، ليتكاملا،

ولنحذر أن يسرق الثورة الأوغاد كما فعلوا عبر التاريخ.

وسوف ننتصر

شكرا،

وعليك السلام

يحيى الرخاوى
yehiatrakhawy@hotmail.com

"الشبكـــــة" و "ظاهـــــــرة تونـــــس"

لعل من المفيد أن أبين كيف كانت معرفتي بموقع "شبكة العلوم النفسية العربية".... ففي سنة 2003 تحديدا وأثناء بحثي على الإنترنت طلعت لي صفحات من موقع الشبكة وأدهشني ثراء الموقعواستوقفتني ضخامته وشدة اهتمامه بالتفاصيل الدقيقة، ووجدت الموقع يجمع عددا كبيرا من كتابات الأسماء العربية اللامعة في الطب النفسي وعلم النفس، .... كنت متأكدا أن جيشا من العاملين سخر نفسه لهذا العمل الرائع الجامع وقلت في نفسي شكرا للإنترنت التي أطلعتني على هذا الكنز باللغة العربية وجعلتني أقتنع بأن ممارسة الطب النفسي في تونس متقدمة جدا ومن الواضح أنها تلقى رعاية رسمية كبيرة.... لم يدر بخلدي آنذاك أن هكذا موقع يمكن أن يكون عملا فرديا ... وعللت عدم معرفتنا في مصر بذلك إلى اختلاف التاريخ الاستعماري وتساءلت بيني وبين نفسي هل يا ترى نفس الوضع في الجزائر أو المغرب؟

وعندما صدر كتابي "الوسواس القهري "ضمن سلسلة عالم المعرفة في أواخر 2003.... وصلني بريد إليكتروني من د. جمال التركي ، يهديني فيه اشتراكا دائما في خدمات الشبكة وفي الموقع ويدعوني للكتابة في موقع الشبكة وللنشر في المجلة الإليكترونية وبالفعل شاركت قدر ما وفقني الله.... كنت التقيت مؤسس الشبكة و رئيسها لأول مرة على هامش "مؤتمر الجمعية العالمية للطب النفسي" في القاهرة 2005 ورأيته وقد خصصت له زاوية في صالة العرض التي تحتلها شركات الأدوية ، وقلت في نفسي أيضًا واضح جدا أن تونس تدعم الطب النفسي، لم نتحادث طويلا وبقيت رغم هذا التواصل بيني وبينه، لم أنتبه إلى أن العمل عمل فردي.

وفي سنة 2007 وعلى هامش "مؤتمر الرعاية النفسية للمسنين" في أبو ظبي، التقيت الرجل أثناء العشاء وتحاورنا هذه المرة طويلا وكانت لدي تساؤلات عديدة بخصوص موقع الشبكة، فقد أردت خبرته في كيفية الحصول على الدعم الرسمي ففاجأني بأنه لا دعم رسمي ولا يحزنون ...

ليس هذا فقط بل فاجأني أيضًا بأنه مثلي يقوم بالعمل وحده ولا يساعده أحد إلا زوجته أحيانا! وحقيقة كانت هذه الأخيرة مفاجأة مدهشة، وأما الأكثر إدهاشا منها فهو أنني عندما سألته عن أجر من يقوم بتصميم الموقع لأنه يستخدم نفس اللغة الحاسوبية التي أستخدمها في مجانين كان رده بأنه هو من يتقن تلك اللغة ويكتب بها ، مع الإستعانة أحيانا بأخصائيي البرمجة بالنسبة للصفحات الدينامية المرتبطة بالبحث في قواعد البيانات... وهنا قلت له إذن أنت تنفق من الجهد والوقت في هذا الموقع أكثر مما أنفق أنا في مجانين وقد تخيلت طويلا ألا عاقل يفعل ما أفعل!.... وقلت بيني وبين نفسي هذا هو الطبيب النفساني التونسي المجاهد يحمل على عاتقه ما تخيلت أن جيشا من العاملين المدربين يقوم به!

معاناة د. جمال التركي ومعاناتي أنا مع العمل الإليكتروني ، مسألة أحسب أن أحدا لا يستطيع تخيلها إلا المكتوون بنارها.... فبدءا من جمع المواد باللغة العربية ثم تدقيقها لغويا ثم تحريرها لتصبح صالحة للنشر على الإنترنت ثم متابعة ما نشر قبلا لوضع الارتباطات بين المواضيع ذات العلاقة ببعضها ومتابعة السادة المستشارين.... كل هذا ويضاف إليه في حالة موقع الشبكة العربية للعلوم النفسية كتابة لغة التصميم "أيه. إس .بي" وهي من أصعب لغات الإنترنت وكذلك جمع عناوين كل العاملين في مجال الطب النفسي وعلم النفس من الناطقين بالعربية في كل مكان في العالم ومتابعة أخبارهم والإشراف على دورة المراسلات بينهم فهذا كله (اضافة الى عمله العيادي المكثف) يقوم به رئيس الشبكة وحيدا لا يعينه إلا الله سبحانه... وأظن يا سيدي أنك لولا ما عرفته من حجم الجهد المبذول خلف كواليس المواقع الإليكترونية بعد إطلاق موقعكم العامر لحسبت المسألة أسهل بكثير مما هي وهذا هو حال الزملاء جميعا في تخميني، ولهذا السبب الأخير سكتُّ فأنا أعرف أن الله وحده أعلم بنا وهو كفيل بأن يجزينا قدر جهدنا.

موصول الشكر لك يا أستاذنا الكبير أن منحتني الفرصة لأوضح بعضا من جوانب الجهد الجبار الذي يطيقه د. جمال التركي، لتبقى الشبكة العربية للعلوم النفسية بحرا مليئا بالمعلومات وجسرا واصلا بيننا جميعا وقد أثبت قدرتها على جمع شمل العاملين في مجال الصحة النفسية وتنظيم جهودهم كل مرة احتجناها فيها... بارك الله في جهد ووقت رئيسها وخادمها وراعيها .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أ. د. وائل ابوهندي
Dr. Wa-il AbouHendy
maganinposta@yahoo.com
www.MaGaNiN.CoM

قـــدرة الشعـــــوب علـــى خلـــــع أي حاكـــم متسلـــط

لكتب اليكم للاطمئنان عليكم جميعا... عليك شخصيا وعلى الاخوة وزملاء المهنة وعلى كافة أبناء شعبكم والوضع العام في بلدكم الحبيب.. .

تابعنا جميعا بكل الاهتمام مايحدث في تونس.. وكل التمنيات الطيبة لكم و لشعبكم بالسلامة من كل مكروه.

تعقيبا على رأى الاخ الاستاذ الدكتور وائل ابو هندي، فاني اقدم كل التحية للتفاعل المبكر من جانبه للاحداث وما وصفه بـــ "الظاهرة التونسية"..التي تضمنت كيف ان الشعب التونسي البطل خلع ديكتاتورا ، وأكد قدرة الشعوب على خلع أي حاكم متسلط وبأقل كلفة وأسرع مما يتصور المستسلمون (60 شهيدا في 3 اسابيع) ... وانتصار ثورة الشعب العربي التونسي ستشكل نواة و نموذجا يحتذى لحركات مماثلة لتغيير

الواقع الحالي وللتخلص من أنظمة القمع الأخرى .

ومن الواضح من طرح الدكتور وائل ان التغيير قادم لا محالة ..والإنسان العربي في اماكن اخرى على بداية مرحلة لاعادة صياغة الواقع الحالي وتغييره (كسر حاجز الخوف– مواجهةالقمع– الجمع بين الحرية ولقمة العيش الكريمة–أن يستطيع التعبير عن نفسه)..واتفق معه على اهمية ان يفكر الاطباء النفسيون العرب في دور ايجابي في مساعدة المجتمع على مواجهة ما قد تأتي به الاحداث القادمة.

آخر الكلام: ابيات ابي القاسم الشابي

إذا الشعبُ يوماً أراد الحياة ... فلا بُدّ أن يستجيبَ القدر

ولا بُدّ لليل أن ينجلي ... ولا بُدّ للقيد أن ينكسر

ومَن لمْ يُعَانِقْهُ شَوقُ الحياة ... تَبَخّرَ في جَوّهَا واندَثَر

مع تمنياتي الطيبة لكم..

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

ذ.لطفي عبد العزيز الشربيني
lotfyaa@yahoo.com - www.alnafsany.com

" الظاهـــــرة التونسيـــــــــه "

What is " Tunisian Phenomena"

أو ما هي" الظاهرة التونسيه " كما سماها صديقي ا.د. وائل ابو هندي. فى رأيي هي:

– ظاهرة نفسية جديدة ثبتت ان الشعب اقوى من الحاكم ، ظاهرة يسترد بها الشعب حريته وكرامته

– ظاهرة تعيد الثقة والحياة السوية للشعب

– ظاهرة شروق شمس جديدة وهواء نقي يعبر عن ارادة الشعب

– ظاهرة استجابة القدر وانجلاء الليل المظلم المملوء بالقهر وانكسار القيود والزنزانات والمعتقلات [وهذا ما قاله أحد الشعراء العظام أبو القاسم الشابي وهو من قلب تونس]

– ظاهرة تحقيق هدف ورغبة جاده وما أجمل أن يحقق شعب هدفه ويحصل على ما يريده

– ظاهرة تجمع بين تحقيق وتوكيد ذات الشعب

– ظاهرة يجب أن تنتشر الى كل الشعوب المماثله .

إنها برأيي "ظاهرة جديده " يجب ان تنضم الى قواميس الطب النفسي وعلم النفس مضمونها (أيهما اقوى الشعب ام الحاكم ؟)

أدعو الجميع لإجراء بحوث ودراسات نفسية في مجال "سيكلوجية الشعوب" مستمدين طرق البحث من " الظاهرة التونسية ".

هنيئا لك ياجمال ..

هنيئا للشعب التونسي الذي احبه من كل قلبي ..

هنيئا لكل الامة العربية ..

هنيئا لنا جميعا بالظاهرة التونسيه .

لكم تحياتي

Dr. Alaa Farghaly
alaa_f@hotmail.com
www.dralaafarghaly.uni.cc

شبكـة العلوم النفسيـة هي الرابطة التـي جمعتنـا جميعـا

أولا نشاطر الشعب التونسي أفراحه وهواجسه في آن واحد فهو شعب عظيم ومعطاء

ولقد كان لي شرف أن أوزر هذا البلد الجميل عدة مرات من خلال المشاركة في ورش للبرنامج الانمائي للأمم المتحدة وفي مؤتمر جربة للقاصرين ذهنيا، مما هيأ لي الفرصة للتعامل مباشرة مع فئات وشرائح مختلفة من الشعب التونسي

وأول انطباع للفرد منا في التعامل معه

أنه عاشق للعروبة، ولفلسطين

يعشق كل ما يرتبط برموز هذه الأمة العظيمة وعظماءها

لا تشعر بالغربة في هذا الوطن الجميل

لقد سمعت فيروز في كل مكان،

وجورج وسوف ولطيفة

وكنت بائ ذي بدء أعتقد أنه يهتم بالفرنسية وبالثقافة الفرنسية ولكن الحقيقة شيء آخر

لقد شعرت بصدق أنه يتعطش لكل ما هو عروبي

شعب كريم وأصيل

ولعل هذا ما يفسر عطاء الدكتور جمال التركي

في تواصله مع هذا القطاع الواسع من المتخصصين العرب في مجال الصحة النفسية والطب النفسي

فهو يحقق هدفا ساميا نفتقد له

و شبكة العلوم النفسية هي الرابطة التي جمعتنا جميعا من محيط الخليج العربي إلى مغرب الوطن العربي

لقد ألتقيت بتونس بأخ شريف فاضل مثل مؤسس الشبكة، هو الدكتور المنجي بن حمودة في مدينة جربة

وهو يسعى كما يسعى علماء وخبراء ومثقفي هذه الأمة للتعريف بالإعاقة وخدمة ذوي الإعاقة

وكنا سنلتقي بتاريخ فبراير 10، ولكن شاءت الظروف أن يتأجل هذا الملتقى الذي يُعقد سنويا في جربة

وفيه تجتمع جميع الأطياف من كل الدول العربية على حساب الملتقى بهدف تبادل الخبرات العربية

في مجال الإعاقة، يلتقي فيه المئات من أهل تونس من كل مكان مع الخبراء العرب

هنئيا لأهل تونس برجالاتها ونسائها الشرقاء

كما أنني أود أن أشير أنني شعرت بفخر واعتزاز يا دكتور وائل عندما قرأت إيميلك

وهو مؤشر عظيم على قدرة الانسان العربي إينما كان

على ابتكاره وتفانيه وعطاؤه في سبيل رفعة أمته وشعبه

فأنتما نموذجان مشرفان يا دكتور وائل والدكتور جمال كمثل النماذج الأخرى الشريفة في هذا الوطن المعطاء

أتمنى من كل قلبي
أن يرفع الغمة عن الشعب التونسي برجاله ونساؤه الشرفاء
وتعود البهجة والفرحة لهذا الشعب العظيم
وسوف نحتفل مع أمتنا من محيطها إلى خليجها بإنجازات الشعب العربي التونسي العظيم
إن ما يصنع الشعوب هو مُحنتها وألمها، والتغلب على هذه المحن بالصبر والعطاء والدفاع عن الوطن
عاشت تونس عربية مسلمة
وعاش الشعب العربي الآبي
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

بتول خليفة
أستاذ مشارك- قسم العلوم النفسية
كلية التربية - جامعة قطر
baty_khaliefa@yahoo.com

قصيـــــــــــدة

و الذي رفع العرش و أعطى الحياة ما دام خبز بالذل خمائره

خَرجتَ جـــــــلاَّدًا للشعب سَاقِيًا

خَرجتَ جـــــــلاَّدًا للشعب سَاقِيًا، كأس ظُلم للنَّـــــــاس هَبَت تُقَاومُهْ
ما رأى يومها بنفسجيا علا صوتُه بالهتافِ يُجاملُهْ
ثلاثٌ وعشرُونَ في العُمرِ صبرًا . . إلَى متى تَعُدُّ الزَّمان تُطاولُهْ
أَمَا علمتَ أَنَّ للجَبَّارِ يَومًا .. إذَا جَاءَ مَا عَادَ الزَّمانُ يُطَاوعُهْ ؟

الى المستبد بخلق الله عبرة ، ملوك الأرض مضت للشعب تجادله

راحتْ عُروشها هباءًا حين قامت لصَبْرِ النَّاسِ تُنَازِلُهْ
وَمَا أنتَ من فِرعَونَ سوى فَأرٌ بفرقَةِ الجُنْدِ تُسانِدُهْ
صَبَغتَ شَعرَكَ بالظُّلمِ مُخظبًا، جَبانٌ على النِّساءِ سَرتْ مَراجِلُهْ

عصيا وغازا في وجوه الثائريين ، رصاص ظلمك في الصدور تناثره

شَعبي سَرقْتَ وَعَينُ اللهِ سَاهِرَه..طرابلسيٌّ يَدٌ تَحميهِ وَ أُخْرى تُنَاوِلُهْ
مِنْ مَالِ الجَائِعِينَ بَنَوْ قُصُورًا .. وَلاَ دَامَ بيتٌ بالظُّلْمِ مُقَاوِلُهْ
عَسْكَريٌّ مَسْرَاكَ فوقَ الرَّقَابِ .. وَحَلاَّقَةٌ عَن قُوتِ الفَقِيرِ تُرَاوِدُهْ

ابو لهب في اللّضى مقامُه، وانت فيها بحق الله غالبه

وان زوجُه بحطبها تكتوي، فليلى من قبلها حمالته

حَالُنَا من تَقَارِيرِ اللِّئَامِ مَوْصُوفْ.. خِبْتَ رئيسًا قَرَأْتَ وخابَ ذَا حَامِلُهْ
هَمَّازُونَ على الفُتَاتِ مَعاشُهُم .. وكلُّ لمَّازٍ إلَى النَّارِ مَصَائِرُهْ
أَمَا خَبَّرُوكَ عَنِ العَجُوزِ يَنْعَى دَوَاءًا مَفقُودًا بالذُّلِ يُحَاصِلُهْ
أَ خَبَّرُوكَ عن اليَتِيمِ مُشَرَّدًا.. أَمَا كَفَاكَ بالجَلدِ فِي سَجْنِكَ عَائِلُهْ ؟؟
شَبَابٌ على قَوَارِبِ المَوتِ تَحْيَى، حِينَ عَزَّت للشُّغْلِ مَقَاعِدُهْ
لَيْسَ عَجْزًا.. بَلْ العَدلُ مَفْقُـــودْ.. فَسَادٌ مَالَتْ بالثُّقلِ جَدَاوِلُهْ
بيوت الله من جَبَرُوتِكَ مَلَّتْ حِينَ سُدَّتْ بالظُّلْمِ مَسَاجِدُهْ
أَمَا عَدَدتَ جُثَثَ الهَالِكِينَ وَرَاءَ قُضْبَانِكَ تَهوِي مَجَالِدُهْ
كمْ عَذَّبْتَ شَبَابًا جُرْمُهَا رَكعة صُبْحٍ أَمْسَيْتَ بها تُسَائِلُهْ
ا الله سَائِلٌ عنها كتابكَ، فبما تُراكَ عَن كُلِّ نَفْسٍ تُجَادِلُهْ
دَعْ عَنْكَ تَقْرِيرَ الكَاذِبِين واسْمَع.. فَاسمع عَنِ الفَسَادِ غَصَّت مَصَائِبُهْ
صَخرٌ فَاقَ قَارُونَ كَنْزُهُ.. لِصٌّ فِي حِمَى الجَّلاَدِ يُصَاهِرُهْ
أَبُو النِّفَاقِ والزَّيْتُونَةُ حُجَّتِي.. كَلاَمُ اللهِ لِصخرٍ سَتَائِرُهْ
رُءُوسُ الفَسَادِ نَاسِبُوكَ وَ أُخْتُهُم.. بِئْسَ الزَّوجُ أَنْتَ وَ بِئْسَ نَسَائِبُهْ
وَرَاءَ المَكَاتِبِ مُرْتَشُونَ مَا شَبِعُوا.. وَعَلَى الجِّدَارِ رَسْمُ وَجْهِكَ عَلَتْ مَحَامِلُهْ
أَطلقتُ فِيكَ لِسانِي مُشرعًا وَقلبي لكُرهِكَ جَدَّت عَمَائِرُهْ
شُرْطِيٌّ بِخَيطٍ عَلَى أَكْتَافِهِ منّي أنا ابن البِلادِ حلَّتْ مَسَاخِرُهْ
ادفع خمسًا أو عشرًا تمرّ، فَإن أَبيتَ سَرَتْ عَلَيكَ مَكَائِدُهْ
سِنِينًا طِوَالاً عَلَى المَقَاعِدِ نَنْحَنِي، بِأَقْلاَمِ الجِدِّ تَحْلُو شَهَائِدُهْ
وفي الأَخِيرِ.. وَزِيرٌ وشعبةٌ عِيَّنُو القَرِيبَ وَ مَن كَثُرَتْ مَأكِلُهْ
في بِلادِي نِفاقٌ رَمْزُهُ سَبعةٌ مِنْ ثَلاَثٍ وَعِشْرِينَ حَولاً عَلَى الأَبْرِياءِ مَصَائِبُهْ

للفاسدين جنانُ قرطاجة وما حولها، لهم بكل الحرام تحلو جنائنه

والناس لها الله كما يقولون، ومال الناس لهم شُدّت مراضعه

فَلاَ عِشْتُ إنْ عِشتَ يا ظالما ، وَالموْتِ فِي حُكْمِكَ تُرْجى شَدَائِدُهْ
وَالذِّي رَفَعَ العَرْشَ وَأَعْطَى الحَيَاةَ.. لا دَامَ خُبزٌ بِالذُّلِ خَمَائِرُهْ
إمَّا حَيَاةٌ بِالعِزِّ لِشَعْبِنَا.. وَإمَّا الظُّلم بِعَزْلِكَ تَفْنَى مَسَائِلُهْ
يَا ظَالِمًا لِخلق الله لَكَ عِبرةٌ.. إذا ما الزَّمَانُ حَلَّتْ دَوَائِرُهْ
لَوْ دَامَتْ لَكَ العُرُوش يومًا.. لدَامَت لِكُلِّ السَّابِقِينَ وَسَائِدُهْ
لَكِنَّ المَوتَ فِي النَّاسِ وَاجِبٌ.. فَلْ نَرَى مَا تُرَاكَ بَعْدَ المَوتِ حَامِلُهْ

www.youtube.com/watch?v=e3ctxzNSbUE&feature=player_detailpage

GREETINGS

Dear Colleagues

Greetings

I can add that Tunisean jasmine revolution was the best treatment for people's dysthymia prevalent in most, nearly all Arab countries.

Dr. Tarik S. Khammas
khammo@live.co.uk

أصـــــداء الانتفاضـــــة التونسيـــــة [1]

لم يكن غريبا أن تتصدر أنباء الانتفاضة التونسية الواجهة الإعلامية في عالمنا العربي، و لا أن تبادر السلطات العربية علي تنوع مشاربها إلي تأكيد أننا "نحن مختلفون عن تونس" و هي مقولة صحيحة بالتأكيد و لكن دون عزلها عن سياقها العلمي. لقد أعادني ذلك الجدل إلي تذكر مقرر يعرفه دارسو علم النفس تحت عنوان "الفروق بين الأفراد و الجماعات". و كان جوهره هو استحالة وجود فرد يتطابق مع الآخر تماما من حيث الخصائص البدنية أو القدرات العقلية أو السمات النفسية أو الاجتماعية، و استحالة وجود فرد يختلف عن بقية البشر تمام الاختلاف. فالقول بأن ثمة ما يجمع البشر جميعا قول صحيح علميا، و كذلك القول بأن لا مجال لتطابق بين فرد و آخر. و لا تختلف تلك الحقيقة العلمية في جوهرها بالنسبة للفروق بين الجماعات حيث لا توجد جماعتين متطابقتين تماما في كافة الخصائص الاجتماعية أو النفسية أو التاريخية أو الاقتصادية، كما أنه لا توجد جماعة تختلف عن بقية البشر تماما. و من ثم فكما أن هناك قوانين علمية تحكم سلوك الأفراد و تمكننا من التنبؤ بذلك السلوك بقدر يزيد أو يقل من الدقة تبعا لمساحة الفروق الفردية، فالأمر لا يختلف كثيرا بالنسبة للجماعات من حيث وجود قوانين علمية تخضع لها حركة الجماعات و تفاعلاتها. و من هنا فإن القول بأن الحالة المصرية تختلف تماما عن الحالة التونسية، لا يقل خطأ عن القول بأن حالتنا تتطابق تماما مع الحالة التونسية أو مع أية حالة أخري.

حالتنا تختلف بالفعل عن الحالة التونسية من حيث عدد السكان و تنوعهم و اتساع الرقعة السكانية و كذلك في ارتفاع سقف النقد للسلطة سواء في إعلام القطاع الخاص أو "الإعلام القومي" فضلا عن ساحات الإنترنت و التويتر و الفيسبوك، و تختلف حالتنا أيضا في أن الاعتصامات و المظاهرات الاقتصادية و السياسية بل و الدعوة إلي العصيان المدني ليست بالغريبة علينا خاصة في الحقبة الأخيرة.

نحن نختلف إذن عن تونس في كل ذلك، و لكن بالمقابل يجمعنا بتونس كما يجمع العديد من دول العالم وجود ظواهر الشكوى من البطالة و الغلاء و الفساد إلى آخر تلك المشكلات، و لا يمكن أن نتصور متعطلا سعيدا ببطالته و آخر شقي بها، و لا فرق بين مشاعر من يكويهم الغلاء أو الفساد في أي مكان في العالم. يجمعنا بتونس أيضا و ببقية الدول العربية خاصة ذات النظام الجمهوري أن شفافية و نزاهة الانتخابات و ما يترتب عليها من إجراءات لتداول السلطة تحيط بها الشكوك رغم وضوح النصوص الدستورية القانونية و رغم تصريحات المسئولين.

الانتفاضة التونسية إذن لا تطرح علينا أجندة جديدة تجعلنا نكتشف ما كان مغيبا عنا من مشاكل، و لا هي تطرح أسلوبا جديدا في الاحتجاج لم نجربه من قبل. و لكن الجديد فيما جري في تونس يتلخص في عدة أمور لعل أهمها أن ما جرى لم يكن استجابة لدعوة من حزب أو مجموعة من الأحزاب السياسية بل بدأ باحتجاج محدود علي البطالة و الشعور بالقهر، واجهته السلطة بإطلاق الرصاص الحي علي المتظاهرين، مما أدي إلي انتشار الاحتجاجات و صمود المتظاهرين في الشوارع و توالت أحداث الانتفاضة.

ترى هل يمكن و الأمر كذلك أن يزعم أحد أننا لم نتأثر بما جري في تونس؟ أليس منطقيا و مفهوما أن تخشي السلطة تكرار ما حدث؛ إذا لم يكن حرصا علي الذات فحرص علي الوطن؟ أليس منطقيا و مفهوما أيضا أن تبدو الانتفاضة التونسية مغرية للعديد من تنظيماتنا السياسية المعارضة لدعوة الفقراء و العاطلين للنسج علي منوالها فلعل و عسي؟

إن الخوف من الخطر إذا ما بلغ بقيادة جماعة ما مبلغه فإنها تجد نفسها حيال عدد من الاختيارات: تجد نفسها في البداية حيال المفاضلة بين غواية إنكار الخطر و تجاهله و التعالي عليه ماضية في سبيلها مستمتعة بطمأنينة قد تكون وقتية زائفة؛ و بين الاعتراف داخليا علي الأقل بوجود ذلك الخطر موضوعيا، و في هذه الحالة الأخيرة تتخذ ما تراه مناسبا من وجهة نظرها لدرئه: كأن تبادر مثلا بتأكيد قبضتها الحديدية علي الشارع، أو أن تبادر باتخاذ خطوات استباقية لتلبية بعض المطالب الجماهيرية الملحة و المؤجلة، أو أن تتراجع عن اتخاذ مثل تلك الخطوات خوفا من تفسيرها علي أنها دليل ضعف يغري بمزيد من الاحتجاجات، أو أن تبادر بإغلاق تلك النوافذ الإعلامية أو علي الأقل إجبارها علي تخفيض سقفها النقدي.

لعلنا نلاحظ أن السلطة في بلادنا قد اتخذت مؤخرا عدة قرارات بتعيين عاملين جدد خاصة في وزارتي التعليم و البترول، و أن السقف النقدي الإعلامي ما زال كما عهدناه قبل ما جري في تونس. و لكن تبقي قضيتان:

أولا: ترى هل يمكن التشكيك في أن ذلك السقف النقدي المرتفع للإعلام المصري تعبير حقيقي عن مكسب ديمقراطي للشعب المصري؟ و القول كما يردد البعض بأنه مجرد وسيلة سلطوية لتلهية الجماهير و إتاحة الفرصة أمامها للتنفيس؟ و للحقيقة فقد عرف التاريخ نماذج عديدة لنظم حاولت أن تلهي شعوبها عن مشكلات الخبز و الحرية بافتعال معارك وهمية قد تتخذ طابعا ديماجوجيا وطنيا أو قوميا أو حتى رياضي؛ و لكن التاريخ لم يعرف قط فيما نعلم أن سلطة تلهي شعبها بدفعه للحديث عن محظورات فتكون آنذاك أشبه بمن يلعب بالنار؛ فالحديث العلني عن الفساد و الفقر و البطالة لا يؤدي بحال إلي شيوع حالة من الهدوء و الرضي عن السلطة بل العكس هو الصحيح.

ثانيا: إن قرارات تعيين العاملين التي صدرت مؤخرا لا تقضي علي مشكلات الفقر و البطالة. و لكن ترى هل تكون بداية لإعادة النظر في معالجة مشكلات الجماهير؟ هل تكون مبررا لتعطيل خطط التنمية التي تعاني أصلا من التباطؤ؟ هل يمكن تفسير المضي في طريق المزيد من الاستجابة للمطالب الشعبية باعتباره مؤشرا علي ضعف السلطة و خوفها؟ أم أن يسود التفسير العلمي و الصحيح للأمر باعتبار أن استجابة السلطة لمطالب الجماهير بل و انحناءها علنا أمام تلك المطالب شرف لا يدانيه شرف؟

أ.د. قـدري حفني
kadrymh@yahoo.com

العمـــــلاق الأعمـــــى، والكسيـــــح المبصـــــر

يحكى أن نظاماً عملاقاً له أسلحته من داخلية فاسدة وامن دولة لا يخدم الدولة وإعلام كاذب ومظهر ضخم فخم في العالم، موتوسيكلات وعربات لاسلكي، صفير ونفير وحزب ليس بحزب أعضاؤه أصحاب مصلحة، أو خائفون من عدم الانضمام له. سلطة وجاه وفلوس وعقارات هيصة وشنّة ورنّة. عملاق بمعنى الكلمة، تخضك هيئته الفجّة ودمامته الواضحة. مُخوّخ وبهتان وعفن الرائحة.. تَبدّى لي آخر ما تبدّى عندما أقام عيد شرطته الهاربة قبل الثورة بيومين، لما قام العادلى المخاطي النظرة، الساهي الداهى الهيئة، كالثعبان القذر، كالسحلية الغبية، يقّح يقرأ كلمته، كانت لغة جسده، صوته، تردّده، لونه بلا لون، نظرته الخبيثة كالقوارض المنتظرة في جحورها.

كان العملاق يتخبط رغم سطوته وفلوسه وناسه وإعلامه وإمكانياته وإفساده.

كان نتنا كفأر سيئ السمعة، يحاول أن يكذب فصدقه بعض الناس، فأر عملاق منفوخ هواء مسمم، قاعد جوّه بكابورت مفتوح غطاه سِنَّه، نشُم الناس رائحته، ليس كلها، يخرج برأسه قليلا وهو ملوث بالرائحة والخراء، تعمى عيناه فضلات النظام الذي يحميه، يرصد الثورة والثوار ويحضر لهم الرصاص والأمن المركزي والقنابل بكل أنواعها، ثم ينزل مرة أخرى إلى البحر الوسخ يهز ذيله ويشرب من ماء المجارى ناشراً كل الأوبئة. هذا العملاق (الفأر) يسير في الشوارع والحارات والأروقة والأزقة والدروب متخبطاً في الجدران، لا يرى تخبطه ويظن الناس أنه قوي، ويظنون أنه يعرف سكته لكنه كان يدرك بأنه سيتوه، عند لحظة التوهان تلك أدرك المارد الجسد الفأر النفس، أنه لازم ولابد أن ينزل إلى الميدان لأنه أعمى القلب والعقل عقيم النفس والواجدن، قرر الاستعانة بمُبصر كان كسيحاً، سأل العملاق الجسد الفأر النفس الكسيح المُبصر عن الطريق من وإلى ميدان التحرير.. داخله وخارجه، من وإلى الوطن، مفتاح السجن، خزنة الرصاص، خزنة الفلوس، ضحك المبصر الكسيح في خبث ودهاء وقال (بُص يا عم لا تسألني ولا أسالك، انت أعمى وضخم وفخم، وأنا كسيح وقزم لكن باشوف، شيلنى فوق كتافك وأنا أبقى بوصلة اتجاهك أرشدك وأقولك)..؟؟.

زمجر المارد الأعمى القزم النفس، وقال هو انت حتى مش عارف شوارع البلد ولا شكلها؟ المهم ماعنديش حل إلا ده. ظل القزم الكسيح المبصر على كتفي العملاق الجسد القزم النفس، ده يقول له من هنا، وده يقول له من هناك، يخبطوا في بلكونة، يدهسوا عيل صغير، يموتوا شاب عاري الصدر، حتى أنهكتهم المحاولات وأعيتهم الحيل.

في المقابل كان الناس في الميدان عفويين، يعتمدون إلى حد كبير على الحدس والفهم لا على الفهلوة والكذب، كانوا غير متأكدين إلى أين سيجرى النهر، لكن يعرفون بفطرتهم أنه سيروى الأرض وسيزهر الشهداء، كانت القدرة على الاستنهاض داخل القِدر المكتوم البخار يغلى فيطرد غطاء الإناء إلى الهواء، ليرتفع إلى عنان السماء ويسقط على الأرض دماء شهداء، رصاصاً مطاطياً،شظايا، قنابل غاز مختلفة الصنع والفاعلية، خوذات جنود، عربات غشيمة لا ترى ولا تدرى، تترنح فتقتل وتميت وتدوس على الناس.

وعندما شُجت رأس المارد الأعمى ألقى بالمبصر الكسيح على الأرض خارج الحلبة، ظل يترنح ويلطش بيديه شمالا ويميناً.

ثمة توجس وثمة إحساس بالفخر وإحساس بالنصر وشعور غامر بالثورة وبلذة الحرية.

بدأ المارد الأعمى في توتره وفى غليانه، وفى عنفوان الذليل، صار كالثور في الحلبة بعدما أدماه الفارس لكنه لم يجهز عليه من بعد، مُثخن بجراحه يصرخ ويتنازل، يسقط جزءاً من ثيابه النتنة المضمخة برائحة البكابورت فيقدم تنازلاً تلو الآخر .. مرة تعيين نائب الرئيس ومرة تغير وجوه عفنة بأخرى كالحة، وأخرى بوعود تبدأ بحرف الهاء (هاعمل كذا وكذا) ولا من مجيب، يجيب اللصوص في الليلة الدهماء وتصرخ النسوة ويعلو صوت الأطفال.

جاء العملاق الأعمى الجريح يترنح تساعده إبل قريش وبغال الوطني، بدأ يضرب ويشيع قولا كاذبا مفضوحاً، وكلما تُعرى راقصته الاستربتيز جزءاً من جسدها، يظهر قبحها أكثر لدرجة لم يعد الثوار في حاجة لرؤية عورتها ..عهد مبارك انتهى، مارده الأعمى الضخم الكريه الرائحة يُحاكم، قزمه الكسيح مفضوح.. وبعد أيام من الثورة ما زال يرقد المارد والحاكم خلف الدبابات، يهطل المطر وتذروا الرياح حبوب اللقاح في الهواء، يعلو الغناء والتغريد وتفيض البهجة.

أيها الحاكم، أيها المارد، أيها الخونة، لا نريد أن نشم رائحتكم ولا نريد أن نرى وجوهكم العكرة، ولا نريد أن نسمع أصواتكم النشاز ولا نود أن نشاهد عورتكم فلقد رآها العالم مصورة على كل الشاشات.. بقى أن تطلق المدفعية قذائف النصر ..بقى أن تنسحب الدبابات والمدرعات وتعود قوات جيشنا المهذبة الباسلة إلى ثكناتها ... بقى أن ترسل قادتها لتتصدر الجنازة.

مصر كالذهب الخام أخضر اللون بلون قلوب أمهات الشهداء، بلون المزارع، تَجليه المعاناة؛ فيفيض نوراً متوهجاً أصفر بلون الشمس لنغنى جميعا مع فيروز:

د. خـــليـــل فـــاضـــل
www.drfadel.net
kmfadel@gmail.com
APN-Info <arabpsynet@gmail.com

مصـــــر وتونـــــس كيـــــف كيـــــف

الرئيس مبارك وعصابته ينفذون بشكل متطابق – أو كما يقول إخواننا في تونس "كيف كيف" – مع ما فعله بن علي في تونس وكأن من وضع خطة التعامل مع الشعب التونسي هو هو ذاته من وضعها لمبارك ونظامه. التحرك الأول كان ضرب المتظاهرين بيد من حديد وإيقاع أكبر عدد من القتلى حتى يجبن هؤلاء ويعودون لمنازلهم فتنتهي الأزمة، وبعدها بالتأكيد لن يعرف أحد أي شيئ عما حدث، وهذا ما فعله بن علي بالضبط غير أن الفارق أن عدد القتلى في مصر وصل في يوم واحد الى أعداد تفوق أضعاف ما وقع في تونس خلال شهر بأكمله. مما يشير الى فجور النظام المصري وتهوره وخروجه عن سياق العقل والمنطق وأيضاً مما يشير الى منتهى رعب النظام. التحرك الثاني كان في سحب الشرطة من الشوارع وإعطاء الأوامر للبلطجية بالإنطلاق والعبث بكل شيئ حتى يصرخ الناس ويطالبوا بعودة النظام وتقبيل يده حتى يستمر، تماماً كما فعل بن علي في تونس ولكن بن علي فعل ذلك عندما هرب، بينما فعلها النظام في مصر وهو موجود حتى يسهل استدعائه واستجدائه. التحرك الثالث كان عندما لم يرتجع الشعب ويعود الى حظيرة مبارك، فقام الرئيس بالاستجابة لمطالب الشعب وفقاً لنظام القطعة قطعة وذلك بإقالة الوزارة وتشكيل وزارة جديدة؛ تماماً كما فعل بن علي حين قام بتعديلات وزارية وإقالة وزير الداخلية وأحد مستشاريه. ولما إزدادت وتيرة الأحداث وشعر الرئيس مبارك بسخفه قرر الإستمرار في التغيير بتعيين نائباً له بعد ثلاثين عاماً. ولكن كان لسان حال الشعب المصري هو "it's too late ya waldi"، التحرك الرابع تمثل في إستخدام سياسة الأرض المحروقة وذلك بإطلاق النار على المساجين ثم إطلاق سراح الخطرين منهم في سجون طره وأبي زعبل ومعهم الأسلحة وذلك ليعيثوا الفساد في الأرض. تماماً كما فعل بن علي حين قتل المساجين وأطلق صراح الخطرين ليعيثوا في الأرض الفساد. التحرك الخامس كان هروب اسرة الرئيس وسرقة وتهريب ما خف وزنه وثقل ثمنه؛ فجمال وعلاء مبارك وزوجاتهم هم الآن في لندن في أمان كبير، تماما كما فعل بن علي بهروب زوجته وبناته خارج البلاد ومعهم الكثير والكثير مما نهبوه؛ فزوجة بن علي هربت ومعها طن ونصف الطن من الذهب. لم يتبق لنا الآن سوى التحرك الأخير وهو أن يخرج علينا مبارك ليقول "فهمتكوا" أو ليقصر علينا الرئيس الطريق ويهرب وسيجد حتماً من يستضيفه لظروف إنسانية. وأظن أن شركة الأمن التي هربت بن علي قد تكون هي ذاتها من إتفق معها مبارك على الهروب الكبير. نلاحظ أيضاً أن الشعب المصري والتونسي كيف كيف، فالشعب المصري خرج وقرر ألا يعود حتى يسقط النظام؛ كما فعل أهلنا في تونس. والشعب

المصري خرج دون قيادة تحركه فكانت ثورة شعبية مائة بالمائة كما كان الحال مع إخواننا في تونس. ثم أن الشعب المصري شكل لجان لحماية الثورة الشعبية كما سبقونا في تونس. وإن شاء الله سنكون والتوانسة أيضاً كيف كيف حتى تقام الدولة الحرة وننعم جميعاً بالحرية.

دكتور/ محمود ابورحاب
http://acoc.eg14.com
dr_abourehab@hotmail.com

شكـــرا لكـــم يأهـــل تونـــس أن أشعلتـــم الثـــورة

شكراً

شكرا لكم يأهل تونس أن أشعلتم الثورة ضد الظلم والطغيان. شكراً لكم أن كنتم لنا الشرارة فأطلقتم المارد الذي بداخلنا. شكراً لكم شبابنا أن خرجتم لإسقاط الفرعون والنظام. شكراً لكم أهل السويس يا مدينة الأبطال أن كنتم في طليعة الشهداء. شكراً لكم شهدائنا فأنتم تيجان على الرؤس. شكراً لكم شباب مصر أن أثبتم للعالم أننا مازالنا الرجال. شكراً لكم أن ذكّرتمونا بيوم العبور فأزهلتم العالم من جديد. شكراً يا شباب مصر يا قادة اليوم والغد. شكراً لكم يا من تحركتم دون قيادة تدعي لنفسها فضل النداء، نداؤكم من ضمائركم فحسب؛ ليس من قيادة حزبية أو من برطمانهم الموازي. شكراً لكم أن جعلتمونا نفخر أننا مصريون.

د.محمود ابورحاب
http://acoc.eg14.com
dr_abourehab@hotmail.com

طمنوننـــا فنحـــن قلقـــون عليكـــم

طمنوننا فنحن قلقون عليكم

كما اننا نتطلع الى ان يكون لحضراتكم دور مميز ليس فقط في تشخيص اسباب ما يجري في مصر

بل وما ينبغي ان يكون لتحقيق مستقبل مصر

ودور الاخصائيين النفسيين في توعية الناس والنخب السياسية والمثقفة لضمان ان تبقى مصر أم الدنيا

قلوبنا معكم مع خالص محبتنا

قـاسم حسين صالح
qassimsalihy@yahoo.com

الشهيد شهيد سواء كان تونسيا.. عراقيا.. فلسطينيا.. مصريا...؟

جميل هذا التعاطف الأخوي والانساني من حضراتكم مع اهلنا واحبتنا في تونس..وسؤالنا الاطمئناني عن التونسي الرائع، جمال التركي، الذي جمع (عشيرة)الأطباء والأخصائيين النفسيين العرب في بيت واحد ،برغم أن بينهم من تتحكّم به سيكولوجيا شيخ القبيلة!.

وجميلة أمنياتكم وتطلعاتكم الى أن تهب رياح التغيير الديمقراطي واحترام حقوق الانسان على العالم العربي ،مع أن العالم سبقنا بستين عاما على اصداره الاعلان الدولي لحقوق الانسان في 1948الذي جاء في مادته الأولى:(يولد جميع الناس احرار متساوون في الكرامة والحقوق وقد وهبوا عقلا وضميرا وعليهم ان يعاملوا بعضهم بعضا بروح الاخاء)..واكدت مادته السابعة على أن (كل الناس سواسية أمام القانون ،ولهم الحق في التمتع بحماية متكافئة بدون تفرقة ،ولهم جميعا الحق في حماية متساوية ضد أي تمييز او تحريض على التمييز).

والمفارقة أن الفكرة الشائعة عن الديمقراطية وحقوق الانسان أنهما ابتداع غربي ،مع أننا نحن العرب سبقناهم الى ذلك بفارق أربعة عشر قرنا!.فقد اعتمد القرآن الكريم مبدأ المساواة ونص على (أن أكرمكم عند الله اتقاكم)،وأفهم الحديث النبوي الشريف الناس والحكّام بأنه(لا فضل لعربي على أعجمي ولا أبيض على أسود الا بالتقوى) و (الناس سواسية كأسنان المشط). وخاطب عمر بن الخطاب ولاته بقولته المشهورة (متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا)،ووجّه الامام علي عامله في مصر مؤكدا مبدأ المساواة في الحقوق بقوله:(ولا تكونن عليهم ،اي على الناس، سبعا ضاريا تغتنم أكلهم ،فانهم صنفان:اما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق).

يالروعة ما قالوا وما فعلوا ..فقد كانت الخلافة الراشدية أول دولة دينية تعتمد الديمقراطية وتغلق الباب أمام الدكتاتورية وسلطة الفرد الواحد باعتمادها (مبدأ الشورى)..ويالبؤس أخلافهم حكّام زماننا هذا الذين خذلوا بل خانوا دينهم ونبيهم وخلفائهم الراشدين وتحولوا الى جلادين وكانزين لثروات شعوبهم..وجمعوا حولهم وعّاظ السلاطين يشرعنون لهم أفعال الحكّام الطغاة..ويالغباء الباقين منهم أنهم ما اتعظوا من سقوط طاغية العصر صدام حسين ،ولا التقطوا العبرة من نهاية (شين) العابدين بن علي .

وتساؤلنا المشروع هو : ان الطبيب والاخصائي النفسي العربي يقدّم خدماته الانسانية لأي مجتمع عربي محتاج لها سواء كان في آسيا أم أفريقيا . ويقدّمها لأي أنسان محتاج لها سواء كان مسلما ..مسيحي.. صابئيا.. سنيّا.. شيعيا..عربيا.. كرديا.. أمازيغيا... فعلى هذا أقسم الطبيب النفسي ،وعلى هذا نصت مباديء العلم وأخلاقيات الاخصائي النفسي..فلماذا ،ايها الأطباء والأخصائيون النفسيون العرب ،لم تبادروا الى تقديم خدماتكم لاخوانكم العراقيين كما فعلتم مع أخواننا التونسيين؟!. ولماذا لم يصدر من حضراتكم مثل هذا التعاطف الجميل نحو اشقائكم العراقيين..ولو عن بعد؟!.

لقد فزع أحد كاتبي رسائل التعاطف وذهل أن ستين تونسيا استشهدوا في ثلاثة أسابيع..باويل العراقيين ، ففي ساعة واحدة من يوم واحد هو 2011/1/17،وبمدينة عراقية واحدة هي تكريت استشهد ستون عراقيا بحزام ناسف!.

لماذا لم يصبكم مثل هذا الفزع ويصدر منكم مثل هذا التعاطف الانساني المواسي يوم كان معدل الشهداء العراقيين بين عامي 2006 و 2008، مائة في اليوم الواحد !.. و الشهيد شهيد سواء كان تونسيا..عراقيا ..فلسطينيا..مصريا...؟.

وحين بدأت نذر الشر قبل تسعة أشهر من تشكيل الحكومة العراقية الحالية تلوح بوقوع كارثة جديدة ،اضطرتنا نحن الأطباء والأخصائيين النفسيين العراقيين الى أن نتقدم بوساطة نفسية لتهدئة الصراع وحلّ الأزمة ..فلماذا لم تساندونا حين توجهنا لكم نطلب منكم مساعدة شعب مبتلى بالكوارث والحكّام؟

ربما سيقول بعضكم ان التغيير في تونس حدث من الداخل فيما التغيير في العراق حدث من الخارج،وأن العراق بلد محتل فيما تونس بلد مستقل، وأن العراق طائفي فيما تونس بمنأى عنها..لكنها كلها تبريرات غير مقبولة لأن الطبيب والأخصائي النفسي العربي ملتزم بتقديم خدماته الانسانية لمن هو بحاجة لها ..كائنا من كان..فكيف اذا كان هذا المحتاج عراقيا!.

والواقع ان (شين) العابدين بن علي ليس سوى طاغية صغير يضعه صدام حسين في جيبه.ولو أن هذا (الشين) يمتلك عشر قسوة صدام لحصد المتظاهرين في شوارع تونس كما حصدهم صدام في جنوب ووسط

وشمال العراق،ولدفن الأحياء منهم في قبور جماعية بلغ عدد المدفونين فيها عشرات الالاف بينهم نساء وأطفال!!

اننا اذ نشيد بهذه الروح الغيورة والواجب الأخوي في وقفتكم النبيلة مع اهلنا في تونس ،فاننا في العراق المبتلى بكل أسباب الأمراض النفسية والعقلية التي تعمل في شعبه من ثلاثين عاما ،وما تزال ..بحاجة الى خدماتكم وتعاطفكم مع أهله .وكما أننا مثلكم نتمنى لتونس الحبيبة التقدم والازدهار ولأهلها الطيبين ان يتنعموا بديمقراطية حقيقية ..فاننا نتطلع الى أن تحملوا نفس المشاعر لأشقائكم العراقيين.

تحية وتهنئة من القلب لشعبنا في تونس ..وتمنياتنا أن تهب رياح التغيير،الآتية حتما، على الباقيين..مع خالص محبتنا للجميع.

أ.د.قاسم حسين صالح
qassimsalihy@yahoo.com

الأبعاد النفسية للأحداث الجارية في مصر

يقوم ""موقع مجانين" الآن بإعداد ملف كامل عن "الأبعاد النفسية للأحداث الجارية في مصر" مع التركيز على الحرب النفسية والمساندة النفسية للمواطنين .....

برجاء موافاتنا بإسهاماتكم في أسرع وقت ممكن ويسعدنا تلقي مقترحاتكم حول الموضوع

ونرجو من الجميع المساهمة برؤاهم بعيون المتخصصين

هاتوا تداعيات ما يحدث مع التركيز على ثلاثة محاور نراها الأهم ونقبل اقتراحاتكم بغيرها :

- الحرب النفسية ودورها في الأحداث الجارية
- المساندة النفسية المطلوبة في مثل هذه الأحداث
- العلاج النفسي بالتظاهر هل يفيد المكتئبين؟ المتعافين من الإدمان؟

وتقبل المشاركات في صور مقالات علمية أو مدونات

تقبلوا زميلي الفاضل أصدق مشاعر مودتي وتقديري واحترامي

دمتم في حفظ الله ودام عزكم وعطاءكم

د. وائل ابوهندي
Dr. Wa-il AbouHendy
www.MaGaNiN.CoM
maganinposta@yahoo.com

قـــراءة نفسيـــــة تحليليـــــة للحـــــدث السياســـــي

" فـــي مصـــر ومـــن قبلهـــا تونـــس "

من الصعب في بعض الأحيان الاحتفاظ بالحياد الفكر والتحليلي ، عندما يكون الحدث الذي نكتب أو نتكلم عنه يمسنا في الصميم كمواطنيين عرب نتحسس لآلام شعب شقيق تربطنا معه صلات وطيدة عدة من تراث حضاري وتاريخ طويل من الأمال والآلام تشكل البنية النفسية لكل منا ، ولكن لابد من لجم العاطفة كي يتحرر المنطق العقلاني وينطلق الفكر يفتش عن مخارج نفسية تنقذه من أذى الخبر الاعلامي الذي بات طلبنا له اليوم مثل خبزنا ومأكلنا لانستطيع الابتعاد عن شاشات التلفزيون حتى ننفرد بأنفسنا ونفكر بما حصل على الأرض لأي حدث نعيشه في هذه المنطقة سمعناه أو شاهدناه على الشاشة الصغيرة ..

أما بعد أيها الزملاء والزميلات الأعزاء :

استكمالاً للقراءة النفسية للحدث السياسي الذي عاشته المنطقة العربية قبل ومع بداية السنة الميلادية الجديدة والذي بدأها الأستاذ الدكتور وائل أبو هندي وشارك فيها عدد من الأساتذة والزملاء النفسانيين من المغرب وفلسطين .. ، و في قراءتي اليوم سوف أنطلق من المثل المصري الذي أورده الأستاذ الدكتور يحيى الرخاوي في تعليقه على "ظاهرة تونس " الذي أطلقها الدكتور وائل أبو هندي و المثل يقول : "دي مش دبانة ، دي قلوب مليانة " لأضيف مقولة نفسية تحليلية توكد مخاطر الكبت والقهر وكبح الرغبات والحاجات التي نلمسها في عملنا العيادي عند المرضى الذين طفح الكيل بهم من ظروف قاسية متتالية أو تعرضوا لحدث صادم فجّر ما لم يكونوا يتوقعوه ، قبل ذلك أبدأ بالقاعدة النفسية التحليلية التي تؤكد على الخطورة من "عودة المكبوت"حيث لاشيء يضيع من الذاكرة ، عودة المكبوت حالة يخشاها الفرد المأزوم ، ويستغرب عمقها وأبعادها فتجده قلقاً فرحاً حزينا ساكنا ، ردات فعله اختلفت لديه قبل وبعد الحدث الذي فجّر لديه قمقم مختوم فقد السيطرة على استخدام الكفوف عليه التي جربها من قبل وتجاوبت معه ، هذه الحالة الاضطرابية الحدية حيث أصبح الزمن مقطوعاً إلى شقين قبل وبعد ، زمن انتهى وزمن ابتدى ، منذ الحدث المفصلي الذي حرك طاقاته ، والزمن كما تعلمون متصل لايمكن أن ينقطع ، له اتجاه واحد دائماً للأمام ، لا يمكن أن يقف أو يرجع للوراء ، فالأحداث الفاصلة دائماً يعلق عليها آمال وتصيبنا مرات أخرى بالويلات ، وأذكر أننا كنا نسمع من جداتنا وأجدادنا وآبائنا..أنه عند الحديث عن ذكرياتهم كان يتم ربطها بأحداث فاجعة أو أحداث طبيعية مثل سنة الثلجة الكثيفة ،أو سنة الطاعون ، سنة المُحل (بالعاميةالسورية) المحل يعني الموسم السيء أوسنة هجموا الفرنساوية ،أو يوم ضرب الطيران الاسرائيلي القنيطرة أو يوم خطاب عبد الناصر وغيرها ..... بمعنى آخر الأحداث المؤثرة هي ميقاتية لنا لتنظيم حياتنا وكياننا النفسي ..

أثناء الحرب العالمية الثانية كتب فرويد مقال لأنشتاين كجواب لسؤال كان قد سأله له العالم الكبير " أنشتاين "لفرويد ، لماذا الحرب وسوف أرسل لكم هذا المقال في مرة تالية عندما أتكمن من طباعته ، عسى قراءته من جديد تفيدنا في توليد بعض الأفكار، سؤال أنشتاين لفرويد لماذا الناس تتقاتل فيما بينها وهل لرجال الفكر والعلم قدرة على منع تلك الحروب المؤذية للانسان وللبشرية بصورة عامة ؟؟؟.

يجيب "فرويد" سنة 1933على هذه الرسالة بشيء من السخرية والتشاؤم كمايلي:

– أولا: كل مفكر واع ومدرك لابد أن يكون مع السلم ضد الحرب رغم أن البشرية بحاجة بيولوجية الى قدر معين من الآلام كما نسميها في اللغة التحليلية : ألم الوجود منذ الولادة حتى الموت .

– ثانيا: العنف لا يتوقف ما دامت الشعوب متفاوتة في مستواها المعيشي وما دام تقدير القيم يختلف ما بين الجماعات والأفراد وما دامت الكراهية تشحن النفوس بالعداء وتحثها على القتال ، سيما تتغذى من مصادر نفسية عميقة .

– ثالثا : مقاومتنا للعنف والحرب وعودتنا الى السلم تبدو أضعف من الدوافع الى اشعال الحرب والعنف والرغبة في كسبها ولو كان ذلك على حساب دمار وقتل الناس بمن فيهم الأبرياء .....

كما أن "لفرويد" مقولة هامة في هذا السياق هي : "الجغرافيا قدر الشعوب والجسد قدر الفرد" فلما كان الجسد هو الأرض المهيئة لتنبت فيها ، وتتطور كل الاستعدادات بدءاً من الحركية الى الحّسية الى الذّهنية ليكمل النمو دورته ضمن خارطة الجسد ، فعندما يفشل الجسد في أداء وظيفة لعضو ما من أعضائه ينعكس ذلك على باقي أعضاء الجسد وبمقارنة

تعبيرات الجسد مع ما يجري على الأرض التي تستقر عليها جماعة بشرية في منطقة جغرافية معينة ، فإن كانت جبلية أضفت عليهم سمات نفسية خاصة وإن كانت صحراوية بالطبع تتأثر الطباع بهذا المناخ الجغرافي العام والتاريخ الجغرافي يقدم لنا أمثولتين بارزتين لحضارتي :

1- أثينا(الساحلية) المنفتحة على الفكر والأب والفلسفة،

2- حضارة اسبرطة (الجبلية الوعرة) حضارة السيوف والمعارك ، عرضت هذه الفكرة لأستعيرها في ايصال فكرتي حول العملية الانفعالية التي تتم من خلال التفاعل مابين الداخل والخارج ، مابين الفرد والبيئة بكل مؤثراتها المكانية والزمانية ومابينهما من تاريخ مؤثر بصفحاته العدة من فخر وكدر، وركون وتردي ..... فلما كانت مصر منطقة جغرافية وسطى في قلب الوطن العربي ، لذا لا يخف على أحد أهمية تعبيرات نبضات القلب كمؤشر على السلامة أوالاضطراب ، هذا العضو الوسط يكوّن نقطة الارتكاز والضخ لكامل جغرافية الجسد العربي وتعبيرات الوسط تتوزع على الأطراف ، كما أن حساب النسبة المتوسطية يشكل معيارية لتقديراتنا ذات الدلالة عن أي ظاهرة أو سلوك ندرسه أو نقيمه ، لتكون الدلالة فوق أو تحت المتوسط ، لذا الوسط العربي والشرق المتوسط هو حالة جغرافية مركزية لأحداث كبرى تتشر أطيافها على كامل المحيط الجغرافي حولها ..ومصر بسبب قربها من المتوسط وقربها من الخليج العربي وقربها من دول المشرق والمغرب العربين ، أوسطيتها هذه جعلتها نقطة مركزية منذ الفترات البعيدة من تاريخ البشرية لشعوب استقرت بها وأسست مدنا على الأرض و تشييد أعاجيب حضارية بديعة مازالت العين البشرية عاجزة عن أن تغض النظر إليها إلاّ بإعتبارها وكما هي هرم راسخ من الرأس إلى القاعدة ثبات وتوازن على الأرض ، حضارة الفراعنة حضارة تحدي مع الطبيعة حضارة ضد الموت وفكرة الخلود منطلقها تحدي مع المارقين على تلك الأرض ، من هذه المؤثرات لاشك نجد هذه الأيام صلابة التعبيرات التي تجمع الشباب الغاضب لتعبر أصدائها أرجاء المنطقة ، وما هو أبعد من هذه التعبيرات المسموعة والسلوكات المرافقة لحركية الشباب المصري المعتصم من (العصمة) أي رباطة الجأش أو الشباب المعترض على مدّ سلوكي ، سمته وفق قراءتي النفسية تعود لتلك الكوابح المتعددة التي عاشها من قبل ، الكوابح على وجوده الشخصي في المكان غير المناسب لقدراته واحتياجاته المختلفة من غير متحققة وأركز منها على الحاجات المعنوية وفق سلم ماسلو للحاجات المعروفة لحضراتكم ، هذه الكوابح كان مؤداها الكبت والقهر وحسب القاعدة النفسية التي ذكرتها بدءالمقالي "لما لاشيء يضيع من الذاكرة " ، فإن الكوابح أو الكفوف المتلقاة على السلوك وصلت عند هؤلاء الى ذروة لم يعد معها فعل الكبت ممكناً ، بل طغى المكبوت على ساحة الشعور بعدما بدأ يأخذ طريقه في التعبير ، عودة المكبوت إذن هي التي يُخشى منها دائماً إذ تتلاشى حدود الزمان والمكان ، وتتصب الرؤية على الدافع الذي فعّل هذا التعبير الصارخ ، ونتيجة ذلك تضطرب العضوية ولكن البريق الذي يظهر في الذهنية يبرز اشعاعه ليضئ الطريق للفرد بعد هدر الطاقة ليبصر منارةً تعكس له أفقاً أوسع من دائرة الجسد المحبط المتعب نتيجة كف الحاجات والرغبات ، وتجعله يتحد بأفق أرحب يخفف عنه مخاض الولادة التي ينتجها الحدث من مخرجات الجسد (الأرض) والتي لاقت صداها مع صور مرحبة متقبلة في أماكن أخرى والتقت آمالهم مع آمال انسانية مشروعة في كل مكان .. أما بعد أيها الزملاء والزميلات في أرضنا العربية وانطلاقاً من الشعار الذي أسس له في مؤتمر الخرطوم لتطوير خدمات الصحة النفسية في عالمنا العربي وذلك من خلال " ربط علم النفس والعمل النفسي بالحياة " أردت اليوم كمحاولة لذلك مشاركتكم هذه العبارات والأفكار وأرجو أن تلقى صدى مقبولاً أو تتفق مع رؤى زملاء وزميلات آخرين أو يطور لها لأن العلم بلا شك هو عملية تراكمية لأفكار من قبلنا ومن نعاصرهم ولمن سيأتؤن بعدنا ولعل الظروف المستقبلية تخدمهم للعمل النفسي أكثر مما نعيشه اليوم ..

وبتقديراتي المتواضعة أجد أن معنى الأزمات عند الانسان غالباً ما يفوق واقع الأحداث المرافقة للمواقف الذي يوجد فيها ، حيث أنه من الخطأ الافتراض أن آثار الحدث الصدمي سوف تزول أو تذوب مع الزمن ، لمجرد أن الانسان يتقدم به الزمن بعيداً عن هذه الأحداث المأزمية ، فعودة المكبوت أيها الأعزاء لا تعرف منطقية في الزمن ولا تعرف عدمية للحدث بل دائماً الرهان يكون على الحتمية السببية النفسية لفهم السلوكات الظاهرة عند الانسان وفق المنهجية العلمية ، للعمل النفسي التحليلي ، حيث لا شيء يخلق من عدم ولاشيء يفنى من وجود وفقاً لمبدأ مصونية المادة القانون الفيزيائي الشهير .....

اسمحوا لي أن أضع ختاماً لمقالي هذا بعض الأفكار التي أخذتها من كتاب سيكولوجية الجماهير للكاتب الفرنسي الشهير غوستاف لوبون والذي كتبه في عام 1895م وهذه الأفكار هي كمايلي:

1- لقد لعبت الجماهير في التاريخ دائماً دوراً مهماً ولكنها لم تلعب هذا الدور بنفس حجم الأهمية الذي تلعبه اليوم ، فالعمل اللاواعي للجماهير يمثل بعد أن يحل محل الفعالية الواعية للأفراد أحد خصائص العصر الحديث ..(كتاب سيكولوجية الجماهير ، ص41) .

2- الجمهور النفسي هو عبارة عن كائن مؤقت مؤلف من عدة عناصر متنافرة متراصة الصفوف للحظة من الزمن ، انهم يشبهون بالضبط خلايا الجسد الحي التي تشكل عن طريق تجمعها وتوحدها كائناً جديداً يتحلى بخصائص جديدة مختلفة جداً عن الخصائص التي تمتلكهاكل خلية (المرجع السابق ،ص56)

3- دور القادة يكمن في بث الايمان سواءً كان هذا الايمان دينياً أم سياسياً أم اجتماعياً، والانجيل يعزو للايمان قوة قادرة على زحزحة الجبال إذا ماتزود الانسان بالايمان تضاعفت قوته عشرات المرات ...(مقدمة لكتاب سيكولوجية الجماهير بقلم المترجم هاشم صالح ، والكتاب عن دار الساقي ، 1997م) .

4- الصفات العامة للطبع التي يتحكم بها اللاوعي والتي يمتلكها معظم الأفراد الطبيعيين لعرف ماعي بالضبط بنفس الدرجة تقريباً .. من خاصية الجمهور أنه يتبع كل شخص شبيهه والحشد الكبير يجرف الفرد معه مثلما يجرف السل الحجارة المفردة التي تعترض طريقه (المرجع السابق) .

5- منذ قرن فقط كانت السياسة التقليدية للدول والمنافسات الجارية بين الحكام هي التي تشكل العوامل الأساسية لتحريك الأحداث ، ولم يكن لرأي الجماهير في الغالب الأعم أي قيمة ، وأما اليوم فنلاحظ أن التقاليد السياسية والتوجهات الفردية للملوك والحكام والمنافسات الكائنة بينهم لا تؤثر على مسار الأحداث إلا قليلا ، فقد أصبح صوت الجماهير اليوم راجحاً وغالباً ، فهو الذي يملي على الملوك والحكام تصرفاتهم ولم تعد مقادير الأمم تحسم في مجالس الحكام وإنما في روح الجماهير ..... المرجع السابق

أخيراً أيها الزملاء والزميلات أقول :

" طوبى للفرحين الذين يصنعون فرحهم بعد الكدر والألم .. "

د. مرسلينا شعبان حسن
مجلة نفسية - سوريا

الشبكة العربية للصحة النفسية الاجتماعية

ندعوكم للمشاركة في استفتاء " الشبكة العربية للصحة النفسية الاجتماعية " :

ستتوقف الأحداث الجارية في مصر بسبب:

- تنحي الرئيس المخلوع
- رحيل الرئيس المخلوع
- الاستجابة لطلبات المتظاهرين مع بقاء الرئيس المخلوع
- نجاح الحل الأمني ولو كان متطرفا
- زيادة الضغط الاقتصادي ووقف حال الناس
- خطاب ثالث للرئيس فيه اعتذار واستعطاف

والسلام عليكم ورحمة الله

أ. د. وائل ابوهندي

إنكم تؤسسون لنموذج حضاري في الثورة

نعيش معكم لحظات تاريخية كلها اهتمام وتأثر مع اقتناعنا بأن النصر مصيركم اليوم قبل الغد، إنكم تؤسسون لنموذج حضاري في الثورة وفي الممارسة المجتمعية.

وإنها لحظات يستلهم منها سجل الثقافة النفسية كما الفكر الإنساني معاني قوية في الدرس والنظر.

مع كل التقدير والتحية

عبد الكريم بلحاج
استاذ علم النفس - المغرب

قل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق

بداية نحن قلوبنا مع الشعب المصري الابي واستطيع ان اجزم ان الشعب العراقي برمته يتابع بقلل مايجري في مصري وان اقول بدون مبالغة ان اغلب الشعب العراقي يغلق التلفزيون باخر اخبار مصر ويصبح على اخبار مصر وناتبع ونراقب مايجري عندكم

ولكن لايخلو ذلك من تحليلات مغلوطة: ان امريكا عايزة كدة او اسرائيل ، ونسوا الشعب حين يقول كلمته يكون هو المقرر وهو المنفذ.

هناك تخوف لدى العراقيين من اعمال النهب واكتشفت اخيرا لدى المواطن العراقي انها بفعل تدبره السلطة المصرية من حرق ونهب لكي تقول للشعب انظروا كيف تعيشوا بامان وتحقق ذلك من الهجوم الذي شن بالجمال والخيول على المتظاهرين في ميدان التحرير الذي اضحى اليوم ميدان الشهادة ولقد كانو نفس البلطجية الذي حرقوا مصر، هم بالامس بلطجية البعث في العراق حرقوا بغداد اننا.

نشد على ايدي كل مصري الاستمرار الان يتغير النظام في عالم اصبح الحاكم ليس سيدا على المواطن بل هو خادما له وان الرئاسة ليست تشريفا بل تكليفا له والنصر للاسلام والنصر للعروبة والنصر لشعب مصر الشقيق

قل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق

صدق الله العظيم

ا.د. عبد الحسين رزوقي الجبوري
جامعة بغداد العراق

مصـــــر يناييـــــــر 2041

ترى كيف ستكون صورة مصر في عيون المصريين في 25 يناير 2041 أي بعد ثلاثون عاما حين يقترب شباب 25 يناير 2011 من سن الكهولة أو التقاعد. لقد اختفي جيل ثورة 1919 و أصبحت وقائع تلك الثورة سطورا في كتب التاريخ تختلف فيها وجهات النظر بعد أن رحل بحكم الزمن شهود العيان، و توشك بقايا جيل يوليو 1952علي الرحيل بعد أن شاهدوا القاهرة تحترق ثم استمعوا للبيان الأول و شاهدو صور الملك فاروق يرحل، و تحولت وقائع يوم 23 يوليو بدورها إلي وثائق تاريخية يرويها من صنعوا ذلك اليوم من الضباط الأحرار و يرويها أيضا من عارضوا ما جري. كذلك فإن من شهدوا كارثة 1967 ثم حرب 1973 يتناقصون بحكم الزمن و تذوي معهم ذكريات الهزيمة و الانتصار.

إننا نشهد هذه الأيام ثورة من نوع جديد لم تشهده أجيال 1952، و لا 1967، و لا 1973. هذه المرة لم يكتف الشباب المصري بالتصفيق و التأييد و المساندة و التطوع و لم يقفوا عند حدود الاعتراض و التذمر و النقد و الإدانة، بل مارسوا الثورة بأنفسهم. و لا بد لنا من الاعتراف بأن أحدا من الأجيال السابقة و منهم الجيل الذي أنتمي إليه قد توقع شيئا مما حدث بهذا الحجم. صحيح أن منا من قال و لكن أحدا منا لم يفعلها و لذلك فليس لأحد منا أن يتبرع بالنصيحة باعتباره الأكثر خبرة، فخبراتنا تنتمي لزمن قديم اكتسحه هؤلاء الثوار الجدد و أسقطوا العديد من أوهام ذلك الزمن القديم.

و لذلك حين كان يسألني البعض عن رأيي فيما يجري و توقعي لمساراته كنت أردد بمنتهي الصدق "إنني لم أستطع أن أتنبأ بسلوك شباب أسرتي شخصيا فكيف لي أن أجرؤ علي تقديم النصيحة لجيل الشباب الذي يصنع ثورته. إن نصائحي بحكم السن تستند إلي خبرتي القديمة التي عفي عليها الزمن. إن أحدا من أبناء جيلي القديم لا يستطيع أن يقترح عليكم موقفا و غاية ما يمكن تقديمه هو بعض الآليات العامة التي قد تصلح للتعامل مع الموقف الذي يختاره الشباب مع الحذر من الانزلاق إلي إدانتهم مهما بدت لنا مواقفهم خاطئة أو مغامرة أو حتى مشوشة"

لقد أسقطت ثورة هؤلاء الشباب عددا من الأوهام التي سيطرت علي عقولنا، و إسقاطهم لتلك الأوهام و بصرف النظر عما سوف تسفر عنه ثورتهم هو ما سيظل راسخا في الوعي المصري محددا ملامح صورة مصر في عيون المصريين طيلة الأجيال الثلاثة القادمة.

الوهم الأول:

لقد تسرب إلي عقول العديد منا أننا متشددون بل متعصبون دينيا، و أن الشرطة هي التي تقي كنائسنا من ترصد و عنف الأغلبية المسلمة المتشددة، و مع ثورة 25 يناير اختفت الشرطة بشكل مريب و تام من شوارع كافة مدن المحروسة، و من ثم سقطت الحماية عن الكنائس، فماذا حدث؟ لم يقذف حجر واحد علي كنيسة، بل شاهدنا المعتصمين في ميدان التحرير و ميادين مصر لا فرق بين مسيحي و مسلم بل أصبح من المستحيل الحديث عن موقف مسيحي مقابل موقف إسلامي.

الوهم الثاني:

تباكينا طويلا علي ضعف انتماء الشباب المصري، و انصرافه عن الاهتمام بالشأن العام إلي الاهتمام بتوافه الأمور، و تطوعنا بتقديم العديد من التفسيرات للظاهرة كما لو أنها حقيقة لا شك فيها، أرجعها بعضنا إلي أنه لا انتماء مع الفقر، و أرجعها البعض إلي القهر السلطوي، و أرجعها البعض إلي ضعف مؤسسات التنشئة السياسية أو إلي غير ذلك، و تطوع الخبراء لاستعراض الأرقام و النظريات التي تدعم وجهة نظرهم كما بادر

البعض إلي تصميم برامج تدرب الشباب علي الانتماء. و جاءت ثورة 25 يناير لتكتسح ذلك الوهم و لنستطيع بنظرة عابرة إلي شباب تلك الثورة أن نكتشف أن الانتماء للوطن و للشأن العام أمر عابر للطبقات الاجتماعي يستوي فيه الشرفاء من الأغنياء و الفقراء

الوهم الثالث:

طالما حذرونا و حذرنا أنفسنا من عدوانية شرسة و حقد مدمر يكنه الفقراء و سكان العشوائيات للمستورين فضلا عن الأغنياء، و أن الشرطة هي التي تحول بين هؤلاء و بين التهامنا و إحراق الوطن. و مع تدافع أحداث ثورة يناير و غياب الشرطة حدثت عدة وقائع ترويع و بلطجة لم يتم تبين أبعادها بعد، و حدثت أيضا بعض وقائع نهب و سرقة، و لكن العديد من أبناء تلك العشوائيات قاموا بجمع الكثير من المسروقات و إعادتها، و سقطت في خضم ثورة 25 يناير محاولات دق الأسافين بين أبناء الوطن و محاولة صياغة النظريات العلمية التي تؤكد ذلك.

الوهم الرابع

لقد اهتزت علي أيدي ثوار 25 يناير محاولات شيطنة صورة "الإخوان المسلمون"، و تصوير الأمر كما لو كانت جماعة الإخوان المسلمين منتشرة بين رجال الجيش و الشرطة و أنه ما أن تعم الفوضى إلا و نشهد دبابة تتجه إلي مبني الإذاعة و التليفزيون و نسمع البيان الأول من مرشد الجماعة. و قد شهدت البلاد فوضى لم نشهدها من قبل بل و تم تحطيم بوابات السجون و انطلق منها فيمن انطلقوا العديد من سجناء و معتقلي الإخوان، و لم يحدث شيء من ذلك المتوقع رغم حقيقة أن أية جماعة تجد في نفسها القدرة علي الاستيلاء علي السلطة لن تتردد لحظة واحدة. و لعل شباب ثورة 25 يناير قد اكتشفوا خلال تفاعلهم المباشر مع شباب الإخوان المسلمين أنهم يتعاملون مع بشر مثلهم ليسوا ملائكة و لا شياطين لقد أتاح لنا ثوار 25 يناير الفرصة لإعادة اكتشاف حقيقة أنه لا توجد قوة منفردة تستطيع أن تستأثر بحكم مصر. و أنه ليس اكتشافا أن يلتقي أطراف لكل منهم أجندته، و أن الأجندة المختلفة ليست تهمة أو وصمة.

الوهم الخامس

لقد تكرر حديث مثقفينا عن عجز المصريين عن العمل الجماعي، و عجزهم عن الاعتماد على أنفسهم في إدارة شئونهم؛ و جاءت ثورة 25 يناير لتكشف لنا ليس فحسب قدرة شباب الثورة علي العمل الجماعي؛ بل قدرة المصريين جميعا علي ذلك. لقد قام المصرين في غياب الشرطة بالتعاون من أجل حماية أنفسهم بتشكيل وحدات مدنية لحماية بيوتهم و أسرهم و ممتلكاتهم فضلا عن تنظيم المرور. صحيح أن خبراتهم "الفنية" في هذه الأمور محدودة؛ و لكنهم مارسوا عملهم التطوعي بطهارة قابلها الجميع باحترام و دون تذمر و دون أن يحتاج أحد لرفع شعار "ألا تعرف من أنا؟" و دون أن يخطر في بال أحد أن يقدم رشوة لاستثنائه. لقد قدم هؤلاء الشباب نواة لبديل نظيف للإدارة المحلية.

الوهم السادس:

لقد ترتب علي انتشار و تغلغل تلك الأوهام أن سادنا تصور أن أبرز خصائصنا تتمثل في العجز و قلة الحيلة و الخوف و اليأس من التغيير، و أننا حتى حين نطالب بالتغيير نجبن عن دفع ثمنه، و أخيرا جاءت ثورة شباب 25 يناير لتكون بداية لسقوط ذلك الوهم. لقد أسقطت تلك الثورة حاجز الخوف و رأت عيون المصريون شبابهم يمارسون في الشوارع استعدادهم لدفع ثمن التغيير مهما كان باهظا.

إن الفارق بين الوهم الجماعي و الحقيقة الاجتماعية أن الوهم الجماعي وهم مصنوع لا يمثل الجوهر و لا يعبر عنه بل تتم صناعته قصدا بالحديد و النار أحيانا و عبر أجهزة تزييف الوعي بشكل مستمر. و لكن كما أنه لا توجد جريمة مكتملة تماما فقد تمكنت طليعة الجيل الجديد من الإفلات من تلك الحلقة الجهنمية المحكمة و لعلهم يروون في يوم ما كيف نجحوا في الإفلات و في تشكيل وعي جديد

خلاصة القول: لقد كانت تلك الأوهام تشكل جوهر تصور المصريين لأنفسهم، و بسقوطها سوف تتشكل ملامح وعي مصري جديد مهما كانت طبيعة ما تسفر عنه الأحداث الجارية.

5 فبراير 2011

د. قـدري حفني
kadrymh@yahoo.com

يوميـــــات أيـــــام الثـــــورة..

هى ابداع و منحة..ليست محنة.. و لاهى ازمة ..

بل كثير من الايجابيات الرائعة

من مصر ..من وسط الحشود.. ومن موقعي كطبيب نفسي اكتب:

قبل أي كلام: لابد أن نحني رؤوسنا تقديراً واحتراماً لأولئك الشباب الرائعين الذين تقدموا الصفوف ورفعوا رايات الاحتجاج النبيل، فانتشلونا من اليأس الى الامل .

والان تتابع الاحداث بسرعة .. تحرك الساكن وانتفضت الجموع ..مارد هائل فاجأنا جميعا.. لكن أملا بزغ وروحا سرت ايقظتنا من سبات طويل.

ولما كان الاسبوع الثاني في هذه الايام الرائعة .. ونحن في قلب الاحداث.. فلا تزال الصورة من وجهة نظري – انا الطبيب النفسي – ليست سلبية على الاطلاق..

نعم ورغم كل ما شهدته الاحداث في مصر من الامور المؤسفة...دماء شهداء وجرحى..قمع.. ترويع ..وحرب نفسية لفمع الثورة استخم فيها كل الوسائل من الانهاك والتخويف وصعوبات معيشة.. وحتى الدواب من خيل و ابل !!!!وفلول بلطجية هم ومن دفع بهم " كالانعام بل هم أضل"..

كنت اتابعها واتساءل: كيف تكون المواجهة بين الجمل و "الفيسبوك"؟؟!!!

لكني لا أزال أرى أن الجوانب الايجابية اكثر وتفوق كثيرا كل السلبيات .. ارادة تتفجر.. وطاقات شباب تعلن عن نفسها بعد غياب طويل.. روح جديدة تبشر بمستقبل مشرق..

وحين أتأمل الواقع من حولي هذه الايام..اجد انها بالفعل حالة ابداع.. ولحظات نادرة حافلة بالمشاعر الايجابية والستعادة الثقة بالنفس والوطن.. والمعنويات العالية..وعلينا _ من موقعنا نحن الاطباء النفسيين_ ان نكون مع الناس وأهلنا من حولنا لمساعدتهم .. وبث الامل والثقة والطمأنينة .. والدعوة الى التماسك ورباطة الجأش..ونبشر بقدوم غد أفضل.. ويتدفق فيه نهر الحياة بعد زمان الجمود.

آخر الكلام: أبيات لشاعر المهجر "ميخائيل نعيمة" تصف النهر المتجمد الذي تدفقت فيه المياه:

يا نهر هل نضبت مياهك فانقطعت عن الخرير

أم قد هرمت وخار عزمك فانثنيت عن المسير

وأتصور ذلك وصف حالنا قبل 25 يناير.....اما بعده فهذا هوالوصف من نقس القصيدة:

وتعود للصفصاف بعد الشيب أيام الشباب

فيغرد الحسون فوق غصونه بدل الغراب

مع خالص تحياتي

د. لطفي عبد العزيز الشربيني
17 ميدان سعد زغلول - محطة الرمل - الإسكندرية
lotfyaa@yahoo.com
www.alnafsany.com

رؤيـــة نفسيـــــة للثـــــورة المصريـــــة

دعوة للمشاركة فى كتاب مرجعي توثيقي وتحليلي

الأساتذة المتخصصون فى علم النفس السياسي والمهتمون بالدراسات النفسية بوجه عام والراغبين فى المساهمة بإبداء رؤيتهم وتحليلهم للثورة المصرية الشبابية

مقترح ودعوة للمشاركة بكتابة فصل أو مقال مرتبط بموضوع الكتاب الذى يهتم بشكل عام بعرض "رؤية علمية نفسية لثورة الشباب" ويهتم بشكل تفصيلي بعرض وتناول:

- ديناميات الشخصية قبل الثورة وأثناءها وبعدها كما
- الجوانب المعرفية والانفعالية للمشتركين فى أعمال هذا التغيير والمتفرجين عليه والمخططين
- تحليل لشخصيات الأفراد العاملين بالجهاز السياسى والأمنى- بشكل موجز -
- التنفيس الانفعالي وثورة المكبوتات
- الشائعات صناعتها وتأثيرها وفاعلية الردود عليها -عرض تفصيلي -
- لأنماط ومهارات عمليات التواصل والتفاعل داخل ميدان التحرير وقواعد الاتفاق والاختلاف
- ديناميات شخصيات أفراد الجيش المندمجين بالأحداث ولمدة تزيد عن عشرة أيام
- تحليل نفسي للخطاب الاعلامي الحكومى والخاص.
- وموضوعات أخري ومقترحات يمكن قبولها شريطة أن تكون مرتبطة وذات صلة

لمن يرغب فى المشاركة يتفضل بإرسال رسالة يحدد فيها الموضوع الذى سيكتب فيه على أن تصل المشاركات النهائية خلال شهرين من تاريخ اليوم ليتسنى مراجعتها من قبل أساتذة مرموقين ومتخصصين واعدادها للنشر.

نوافيكم بتقرير شهرى واف حول ما تم انجازه، والأمر مطروح كذلك لدور النشر العربية والعالمية التى ترغب فى نشر هذا المرجع النفسي المتخصص.

سليمان رجب سيد أحمد محمد
drsolaiman@fedu.bu.edu.eg

الأبعـــاد النفسيـــة للأحـــداث الجاريـــة فـــي مصـــر

يقوم موقع مجانين: " الشبكة العربية للصحة النفسية الاجتماعية " الآن بإعداد ملف كامل عن "الأبعاد النفسية للأحداث الجارية في مصر" مع التركيز على الحرب النفسية والمساندة النفسية للمواطنين .....

برجاء موافاتنا بإسهاماتكم في أسرع وقت ممكن ويسعدنا تلقي مقترحاتكم حول الموضوع

ونرجو من الجميع المساهمة برؤاهم بعيون المتخصصين

هاتوا تداعيات ما يحدث مع التركيز على ثلاثة محاور نراها الأهم ونقبل اقتراحاتكم بغيرها :

- الحرب النفسية ودورها في الأحداث الجارية
- المساندة النفسية المطلوبة في مثل هذه الأحداث
- العلاج النفسي بالتظاهر هل يفيد المكتئبين؟ المتعافين من الإدمان؟

وتقبل المشاركات في صور مقالات علمية أو مدونات

أ. د. وائل ابوهندي
Dr. Wa-il AbouHendy
maganinposta@yahoo.com

قـــــراءة في رؤيـــــة التحليـــل النفســـي والجنســـي

قراءة ...

قراءة في رؤية التحليل النفسي والجنسي لأسطورة التوريث المنهارة في مصر

جمال وعزّ وسوزان.. العملاق الكفيف والقزم الكسيح والأمة الطماعة

www.arabpsynet.com/documents/DocKhalilPsy&SexInheritCollEg.pdf

محمد الباز / صحيفة الفجر– الأربعاء، 16 مارس 2011

مقتطـــــف

هذا الواقع وضعته أمام ما قاله الدكتور خليل فاضل أحد الكبار في التحليل النفسي في مصر الآن، كنت أسأل الدكتور خليل عن تصوره عن حالة جمال الذي ضاعت أحلامه كلها مرة واحدة من خلال 18 كلمة فقط أعلن من خلالها السيد عمر سليمان أن "الرئيس مبارك تنحى عن منصبه في الرئاسة وكلف المجلس الأعلى للقوات المسلحة بتيسير أمور البلاد".

لكن خليل فاضل أخذني إلى مساحة مختلفة تمامًا، وضعني في قلب التحليل النفسي لمخطط التوريث الذي رعته سوزان مبارك وكان يقوم على تنفيذه أحمد عز صديق جمال الذي كان ينتظر فقط أن يقطف الثمار دون أن يفعل أي شيء لا سلبي ولا إيجابي.

يقول فاضـــــل: يمكن أن أشخص حالة جمال مبارك النفسية على أنه مصاب بـــ"اضطراب الشخصية النرجسية السرطاني"، وذلك تحديدًا لعلاقته الملتبسة بأمه.

إن جمال في أدبيات التحليل النفسي يمكن توصيفه على أنه ابن أمه، وهو هنا الابن الذي تعشقه أمه، إلى الدرجة التي تتزوجه نفسيًّا، وتكون بينهما رابطة وجدانية فيها جاه ومصلحة.

ثم إن السيدة في مجتمعاتنا الشرقية الذكورية – الكلام لا يزال لخليل فاضل – تشعر أنها أقل من الرجل، فهو يمتلك ما لا تمتلكه نفسيًّا وجسديًّا، ولذلك فليس بعيدًا أن السيدة سوزان كانت تغار من زوجها خاصة بعد أن صعدا معًا إلى منطقة السلطة، ولذلك فقد اهتمت بولديها جدًّا، فالرجل الحاكم الذكر بالنسبة لها لم يعد أفضل منها، فلديها بدلالذكر الواحد ذكران.

وحتى تكمل سوزان سيطرتها فقد أرادت أن يكون أحد ولديها رئيسًا، يرى فاضل أن الأكبر خاب بالنسبة لها حيث اهتم بالبيزنس، أما الأصغر وهو جمال فقد وجدت فيه ضالتها، عثرت فيه على الامتداد الذي يمكن أن تحقق من خلاله سلطانها الذي لا تستطيع أن تحققه كاملا في وجود زوجها على رأس الدولة، إنها في الواقع زوجة رئيس جمهورية لها نفوذ وقوة، لكنها في النهاية مجرد زوجة لا تحكم بنفسها، ولذلك فقد قادها تكوينها النفسي إلى أن ترغب في الحكم بنفسها من خلال الابن الذي ولدته من رحمها.

يضع خليل فاضل يده أكثر على النقطة الأعمق في نرجسية جمال مبارك، يقول: كان هناك حبل سري نرجسي بين الأم والابن، لقد نقلت سوزان حبها للسلطة للابن فتوحش وتضخم، لتتضخم معه الأنا العليا وتتوحش، ليصبح الابن مزيجًا من شره الأم للسلطة ورغبة الأب في البقاء على الكرسي للأبد، ومن هذا المزيج وجدنا أمامنا رجلا يمكن أن يضحي بأي شيء وكل شيء من أجل السلطة، التي صورتها لها أمه خلال أحاديث الصالونات الممتدة وجلسات القصر التي كانت تحت حماية دائمة.

يرى خليل فاضل أن ثورة 25 يناير نجحت نجاحًا مدهشًا، وربما أن من شاركوا فيها بالفعل لم يتوقعوا أن يصلوا إلى ما وصلوا إليه.

وهنا ينتقل فاضل إلى الضلع الثالث في عملية التوريث وهو المهندس أحمد عز، يقول عنه:

كامـــل النـــــص
www.arabpsynet.com/documents/DocKhalilPsy&SexInheritCollEg.pdf
حوار مع الدكتور خليل فاضل
mfadel@gmail.com
www.drfadel.net

اضطراب في شخصية "ليندي إنجلند" أم في المناخ الاجتماعي

تفسيرنفسي– اجتماعي لأحداث تعذيب السجناء العرب في "أبوغريب"

ما الذي حدث في سجن أبو غريب؟

من المرجح أن القارئ العربي اطلع أو شاهد ما تداولته دوائر الإعلام العالمية حول الانتهاكات التي أعلنت لأول مرة في أبريل 2004 عما وقع في سجن أبو غريب، الذي يقع على بعد عشرين كيلومترا غرب العاصمة العراقية، والذي كانت تديره القوات الأمريكية. ولا ألوم القارئ العربي لما يكون قد أصابه من حنق وإحساس بالامتهان والذعر مما شاهد وسمع، فقد تسببت صور الانتهاكات التي تمت بحق السجناء العراقيين في إثارة موجة من الاستياء والذعر لا فى العالم العربى فحسب بل في مناطق مختلفة من العالم. فقد ثبت من التقرير الذي أعده أنطونيو تاغوبا– الذي ترأس لجنة التحقيق التي أجراها الجيش حول الانتهاكات بحق سجناء أبو غريب– وجود أشرطة فيديو وصورا لبعض السجناء والسجينات وهم عراة، وتم إجبار مجموعة منهم على القيام بممارسات فاضحة والتقاط صور لهم. وفي حالة أخرى، كشف التحقيق عن أدلة تثبت أن أحد حراس الشرطة العسكرية الأمريكية مارس "الجنس مع إحدى المعتقلات ". وتطرق التقرير العسكري إلى صورة أخرى من صور التجاوزات الفاضحة: كتابة عبارة "أنا مغتصب" على صدر أحد المعتقلين العاري بعد أن أجبر على عملية اغتصاب استجناسية لمعتقل آخر في الخامسة عشر من العمر. وذكرت CNN نقلا عن صحيفة "الليبراسيون" الفرنسية قول أحد السجناء في أبو غريب وهو يصف ما تعرض له "لقد أهانوني وكبلوني في هيئة يسمونها "العقرب" وظلوا يصبون الماء البارد علي من صباح ذلك اليوم إلى صباح اليوم التالي, بعدها سقطت على أسلاك شائكة فبدأوا يسحبونني برجلي ويركلونني على بطني".

وفى مقال نشرته مجلة "لانسيت" المعروفة بالتدقيق والرصانة العلمية، ذكر كاتب المقال البروفيسور ستيفين مايلز من جامعة مينوسوتا أن الإساءة للمساجين العراقيين تضمنت "الضرب والحرق والصعق بالكهرباء والتعليق من القدمين والتهديد بالخنق للمسجونين وذويهم والانتهاكات الجنسية والعزل والحرمان من النوم لمدة طويلة والتعريض للحرارة الشديدة والبرودة القارصة والضوضاء المزعجة".

والآن حدث ما حدث، وأغلق سجن أبو غريب وانتهت التحقيقات باعتذارات من هنا وهناك، واستنكار من هنا وهناك، يجيء في تقديري وقت التحليل الهادئ وإلقاء بعض الضوء على ما حدث: لماذا حدث ما حدث؟ ومن المسئول؟ وهل بالإمكان تجنب مثل هذه الممارسات وأمثالها؟ وهى أسئلة ضرورية يجب أن تثار وأن يجاب عنها علميا. فالتعدي على حقوق الآخرين وانتهاك حرية الأبرياء فعل لا يختلف عن أي فعل أو سلوك آخر، أي أن له قوانينه وأسبابه مما يعطينا الحق في البحث عن أسبابه ومن ثم سبل تجنبه مستقبلا أو تجنب الممارسات المشابهة له.

اضطراب فردى أم أن المناخ شجع على ظهور الاضطراب؟ كما هو متوقع، انقسمت الآراء في تفسير الانتهاكات التي تمت في حق المساجين العرب في العراق.....

كامل النـــــص
www.arabpsynet.com/Documents/DocSattarPsySocExpTortArPr.pdf
أ.د. عبدالستار إبراهيم
علم النفـــــس – مصـــــر
drsattaribrahim@yahoo.com

الحكّـــــام أم الشعـــــوب..مرضـــــى نفســـــا؟!

أثارت تصرفات معمّر القذافي وخطاباته واستخدامه العنف مع المتظاهرين في الأسبوع الأول لانتفاضة (17فبراير) تحليلا لأطباء نفسيين خلص معظمها الى أن الرجل مصاب بالبرانويا والوساوس والهوس. ولأن هذا الحكم صادر من اختصاصيين فان الناس تصدّق بهذا التشخيص تصديقهم لطبيب مختص بأمراض الجسم يشخّص مريضه بأنه مصاب بالسرطان مثلا. واذا كان التشخيص صحيحا،أعني أن القذافي(وحكّاما عرب آخرين)مصاب بأمراض بعضها عقلية تدخل ضمن الذهان،فان المنطق يطرح هذا السؤال:*هل يمكن لرئيس دولة بهذا الخلل العقلي والمرض النفسي أن يحكم شعبا أربعين سنة حظي فيها باحترام رؤساء دول في عالم عاقل؟

وبما أنه من غير المعقول أن يحكم مجنون ملايّنا أربعين سنة، فأن المنطق لا يستقيم الا بأن يكون الحاكم والناس كلاهما مصاب بأمراض نفسية بصيغة خلقت معادلة توافقية ضمنت ديمومة العلاقة بينهما بطريقة مشابهة للعلاقة بين (سي السيد)وزوجته المصابين كليهما بعصابي التسلط والخضوع.

لكن ما حصل أن المعنيين بـــ"الطب النفسي" و"علم النفس التحليلي (الفرويدي)" من العرب والأجانب، غالوا في تحليل شخصيات المستبدين والطغاة العرب منذ سقوط أولهم، صدام حسين،الى زين العابدين وحسني

مبارك..ثم القذافي، وشخّصوهم بأنهم مصابون بأمراض نفسية وعقلية بضمنها الذهان.. وهذا غير منطقي لأن الذهان (الجنون بالتعبير الدارج)اضطراب عقلي حاد يفقد فيه الفرد صلته بالواقع ويكون غير مسؤولا عن افعاله بما فيها السلوك الأجرامي.

ان التحليل الصحيح هو أن "الشعـــــــوب" في عالمنا العربي مصابة بـــ"اضطرابات عصابية" تعني تحديدا اللاواقعية في تقييم الأحداث وتجنب مواجهة الضغوط والمشكلات،والاستمرار في هذا السلوك بالرغم من طبيعته غير التكيفية والمفضية الى الشعور باليأس والاستسلام لواقع ضاغط، فيما الحكّام مصابون بـــ"اضطرابات الشخصية" التي تعني نمطا ثابتا من السلوك غير المرن والمستمر طويلا وسمات شخصية مفرطة ومتصلبة،تتمحور في أعراض من ثلاثة أنواع منها:النرجسية والسيكوباثية والبرانوية.

ان المعادلة النفسية التي كانت سائدة على مدى ألف واربعمائة سنة في عالمنا العربي هي "سادية الراعي" مقابل "مازوشية الرعية".وعلّة الحاكم العربي المعاصر انه محكوم بـــ (سيكولوجيا الخليفة)..يرى نفسه امتدادا له بسلطة موروث كامن في اللاوعي الجمعي للناس بأن الخليفة هو وكيل الله في الأرض،وسلطة حدّثها هو ووعّاضه بما يساير المفاهيم الحديثة (ديمقراطية،حرية..)شكلا لا مضمونا ،وتفننا عصريا في اقامة نظام يستند على ثلاثة ركائز:السلطـــة والثـــروة والأمـــن.

ان انتفاضات الشعوب العربية هي صحـــــوة من ادمان على تكيّف حياتي سلبي يتمثل في خضوع واستكانة ويأس وقدرية وقبول بمقولة حيثما تكونون يولّى عليكم..وكلها أعراض عصابية..وأن هذه الصحوة ما كانت لتستيقظ لولا تكنولوجيا الاتصالات عبر القارات وانتشار ثقافة جديدة لجيل يكبر وينمو ،وتعاظم قوة عالمية من شعوب تغريه بحياة معتبرة تعيشها وأنظمة أنسانية تشجعه وتسنده أمام ثقافة جيل شاخ وصار خارج عصره..تراجع مهزوما في أول جولة.

ومع كل ذلك فان (سيكولوجيا الخليفة) ما تزال تتحكم في كل الحكّام العرب الذين أدمنوا على السلطة.ومع ان بينهم تلقى صفعة اسقطته وآخر أيقظته، فان بينهم من لا يزال ينطبق عليه قول نزار قباني:(..فأنا حادثة ما حدثت آلاف القرون!)، ويعتقد في علاقته بالناس بأنه:(مهما فكرت أن أتركهم فاضت دموعي كغمامه..فتوكلت على الله وقررت أن أركب الشعب من الآن الى يوم القيامة!).

www.arabpsynet.com/mailinglist/ConsMailingList.asp
www.arabpsynet.com/propsitions/PropForm.htm
أ.د.قـاسم حسين صالح
رئيس الجمعية النفسية العراقية
salihqassim@yahoo.com
qassimsalihy@yahoo.com

ثـــــورة 25 يناير و عـــــــرس الاستفتـــــاء

يشرفني اطلاعكم على مقال سأبعث به للنشر في الأهرام حبذا لو وجدتم وقتا لتقييمه

كان يوم 25 يناير هو يوم الثورة و كان يوم 11 فبراير هو يوم انتصارها و جاء يوم 19 مارس ليكون يوم عرسها. حيث تدفق ملايين المصريين للإدلاء بأصواتهم في دلالة لا تقل بحال عن دلالة تدفق الملايين يومي الثورة و الانتصار. و لا يستطيع أحد أن ينكر أن ثوار يناير و شهداءهم هم الذين أهدوا لشعبهم هذا العرس. لقد كنت أحس بأرواح هؤلاء الشهداء بل و أكاد أري صور وجوههم ترفرف علي الملايين المصطفة أمام صناديق التصويت و ترسم الابتسامة علي وجوههم.

وعلينا لكي نحسن قراءة المشهد و ما شابه من غبار، أن نتأمل مقدمات الإعداد ليوم الاستفتاء منذ بداية التفكير في إعادة صياغة الدستور واضعين في الاعتبار أن "ثقافة مجتمع ميدان التحرير" قد أثارت فزع الكثيرين.

طرحت غالبية الأحزاب و التيارات السياسية منذ البداية اجتهادا مؤداه أن القوي السياسية المصرية تحتاج وقتا للاستعداد لخوض الانتخابات و من ثم فلا مبرر للتسرع، و مع بداية تشكيل لجنة لتعديل عدد محدود من مواد دستور 1971 المعطل بقرار من المجلس العسكري، تعالت نغمة التحذير من التسرع و بدأ التلويح بأن الإخوان المسلمين و "بقايا الحزب الوطني" هما وحدهما القوتان الجاهزتان لكسب أية انتخابات وشيكة، دون التوقف أمام حقيقة أن القول بامتلاك بقايا الحزب الوطني جماهيرية تمكنه من المنافسة في انتخابات نزيهة، يقتضي بالضرورة مراجعة شجاعة لما رددناه جميعا من اعتماد الحزب الوطني و هو في عنفوان قوته اعتمادا مطلقا علي تزوير نتائج الانتخابات، و تم دفع الإخوان المسلمين إلي خارج معسكر "الثورة"، و كانت صيحة الحرب الأولي هي إثارة رعب المسيحيين المصريين، و النفخ في رماد فزاعة الإخوان التي خبت نارها في غمار الثورة، و ازداد خفوتها مع بروز التيارات السلفية و الجهادية بل و الصوفية و جميعهم ينطلق من خلفيات تتناقض تماما مع منطلقات الإخوان المسلمين؛ و لم تلبث أن أقحمت المادة الثانية من مواد الدستور و الخاصة بالشريعة الإسلامية لنزيد النار اشتعالا. و تعالت الصيحات دفاعا عن بقاء تلك المادة و التحذير من المساس بها كما لو كانت آية قرآنية و ليست مجرد مادة تمت صياغتها بصورتها الراهنة ضمن التعديل الدستوري الذي أصدره السادات و أدخل فيه مادة تأبيد رئاسة الرئيس و تم إقراره في واحد من الاستفتاءات الشهيرة التي نعرفها، و تصاعدت بالمقابل الدعوة لضرورة إلغاء هذه المادة أو تعديلها كما لو كان وجودها هو المصدر الرئيسي لما كان يطلق عليه "الفتن الطائفية. و انتهي الأمر إلي محاولة ترسيخ تصنيف خبيث يقوم علي تبادل الاتهامات بالخيانة و هي اتهامات تم التعبير عنها عبر القنوات الإعلامية و الصحف و الملصقات و و الإعلانات و الخطب الدينية: من يقولون "نعـــــم" يخونون دم الشهداء و يكرسون لقيام دولة دينية، و من يقولون "لا" يخونون الإسلام و يكرسون لقيام دولة لا دينية.

و توجست شرا، فقد توقعت بعد ذلك الشحن الطائفي المكثف الذي صاحبه التحذير من "مغامـــــــــرة" إجراء التصويت قبل أن تستكمل الشرطة تواجدها، أن يصبح المناخ مهيئا لحدوث احتكاكات و مشاجرات عنيفة بين تلك الجماهير المنقسمة و المستعدة لتخوين بعضها البعض، و عزوف قطاعات كبيرة من المواطنين عن المشاركة في انتخابات يتهددها العنف.و لكن روح ثورة 25 يناير و أطياف شهدائها أحبطت كل ذلك، فقد اندفعت ملايين المصريين لتدلي بأصواتها، و وقفت لساعات طوال تنتظر دورها، و تتناقش و تختلف حول خيارات التصويت، و لكن دون شجار أو تجاوز. لقد فرضت عليهم روح ثورة 25 يناير أن يختلفوا و يتحاوروا و أن ينتهي حوارهم بانتظار نتيجة التصويت التي كان يجهلها الجميع للمرة الأولي في تاريخهم منذ ما يزيد عن نصف القرنكانت النتيجة مفاجئة لي شخصيا، لقد اخترت من البداية أن أقول "نعم" و لكن غالبية من ناقشتهم من الأصدقاء كان اختيارهم "لا" و إن لم يخل الأمر من أعداد قليلة من الأصدقاء اليساريين و العلمانيين فضلوا اختيار "نعم"، و أخيرا ظهرت النتيجة بالأمس 20 مارس و وافق 72% من الشعب علي الطريقة و الخطة الزمنية التي تطرحها التعديلات لبلوغ نفس الهدف الذي سعي إليه من رفضوا الموافقة و هو إعداد دستور جديد يضمن إقامة حكم مدني. و أصبح السؤال الذي ينبغي أن نطرحه علي أنفسنا:و ما ذا بعد؟

تري هل ثمة أمل في القبول بما اختاره الشعب و السعي لاستعادة

خبرة أيام الثورة و الانتصار للمضي في طريق واحد نحو التفعيل الأمثل للتعديلات التي تمت الموافقة عليها؟ علما بأن الطريق محفوف بالمخاطر و أن الخطوات القادمة تتطلب درجة عالية من التوافق الوطني؟

تري هل ثمة أمل في الكف عن تلك النغمة النخبوية المخربة التي تنفر من ممارسة النقد الذاتي مندفعة إلي إتهام 72% من المصريين بالجهل السياسي و التعصب الديني و القابلية للتضليل إلي حد خيانة الثورة دون التوقف لحظة للتساؤل عن هوية تلك الثورة التي يخونها شعبها؟ أليس من سبيل للاعتراف بشجاعة أن ثمة نخب سياسية مصرية ثورية أخطأت في قراءة الخريطة السياسية المصرية، كما أخطأت في تقدير قواها النسبية و بناء تحالفاتها؟

أظن أن كل تلك الآمال ممكنة و ليكن رهاننا الأوحد علي أرواح شهداء ثورة يناير التي رعت عملية التصويت، لعلها تذكر الجميع بقيمة التعايش الوطني الثوري و ضرورة إقامة التحالفات الصحيحة.

مع تحيـــــــــــــــاتي

www.arabpsynet.com/mailinglist/ConsMailingList.asp
www.arabpsynet.com/propsitions/PropForm.htm
قـــــــــــــدري
kadrymh@yahoo.com

السجّـــــــــان وصنـــــــــدوق الأوطـــــــــــان

مع التقدير للآراء ووجهات النظر ...يبدو أن حشر الطب النفسي والعلوم النفسية في هذه المواضيع ربما لا يكون موفقا. فـ"السلوك البشري" لا يصح النظر إليه من زاوية واحدة, أو قراءته وتفسيره وفقا لنظرية أو رؤية ما. فكل نظرية يمكنها أن تفسر ما يحلو لها, وما يساهم في تقديمها هى أنها قادرة على البقاء, لكن ذلك لا يعني الصواب.

وفي خصوص الشعوب والطغاة...أكثر الأخوة يميلون إلى تأكيد أن الشعوب تصنع جلاديها, وأن الضحايا تساهم في صناعة الجلاد, بدوافع قوى تأنيب الضمير والحاجة للعقاب. فيحشرون الحالة البشرية في طرفي معادلة (السادية/المازوشية), ووفقا لهذا الإقتراب ذو اللونين الأسود والأبيض, الذي أكل عليه الدهر وشرب, يتم إستنباط تفسيرات والإتيان بطروحات تهدف إلى التعجيز أو الخمول الإجتماعي, كما فعل المهتمون بعلم الإجتماع في البلاد العربية عموما وفي العراق خصوصا, حيث أسهموا بتقديم تفسيرات تعزيزية, بمعنى أنها تكرس الحالة التي تتصدى لها وتعمل على تأهيل الناس لقبولها والخضوع لها, ولم تأتي بأجوبة ذات قيمة علمية وقدرة على الحل وتجاوز المشكلة. وذلك أنها ولا زالت تتعامل بذات الآليات التكريسية الإندحارية الممعنة بالماضوية والأبوية والخمود.

وعندما يتم قراءة "الواقع السياسي العربي" بعيون نفسية, فأن أكثرنا يتجاهل المصالح, وأهمية المنطقة ستراتيجيا كمصدر رخيص للطاقة. ومَن يتتبع ما جرى في الواقع العربي في القرن العشرين وحتى اليوم, يراه مرتبطا بالنفط وأهميته. وقد جاء الطغاة من أجل تأمين المصالح, ولا يوجد طاغية لا يتلقى الإسناد الكافي من القوى ذات المصالح في المنطقة, ولا يمكن للفرد أن يكون طاغية ومستبدا من غير مباركة ودعم خارجي قوي ومؤكد. (هذا ليس إسقاطا وإنما توضيحا لحقائق قائمة).

فيبدو أن القراءة الأكثر واقعية, أن هناك "طغاة مُصنّعين" من قبل أصحاب المصالح, وشعب موضوع في صناديق الأوطان, وهو مقهور ومحروم ومسحوق, بواسطة هؤلاء الطغاة المسلطين عليه, والذي من أهم دواعي بقائهم ودعمهم أن يتم تعطيل قدرات الشعب وتنويمه ومنعه من التعبير عن طاقاته, وإبعاده عن المشاركة بالدور الحضاري اللائق به,

ولهذا تم الهجوع الحضاري المروع. وباختصار, لكل طاغية شعب مأسور في زنزانة وطن.

وهذا الواقع المخنوق ربما أدى إلى تحقيق حالة "العجز المتعلم" و"الكآبة المتعلمة", وما نعاني منه من السلوكيات الضارة بالحاضر والمستقبل والمعوّقة للحياة. فمنع الشعب من التقدم والحرية والديمقراطية والبناء والتفكير بآليات العصر, وفُرض آليات ماضوية بالية عليه, أوجد الإحباط واليأس , وأسهم في فقدان الثقة بالنفس وتعميق الشعور بالهزيمة والإنكسار وحتى الإندحار.

وفي هذه الأيام نشهد يقظة جماهيرية مباركة تسعى لإعادة الإنسان إلى جادة المواكبة والتفاعل الحي المعاصر, وتأكيد وجوده الإيجابي لبناء الحياة بإرادة الأمل والتفاؤل وبعزم "الشعـــــــب يريـــــــــد" , وعلينا أن نتفاعل مع هذه اليقظة التاريخية بإيجابية وطاقة بنّاءة معززة لقدرات التوثب والإنطلاق, إلى البهجة والسعادة والإيمان بأننا نمتلك قدرات الفعل الحضاري الساطع الآفاق.

فعلة "السلوك السلبي الجماعي" وجوهر تداعياته تكمن في أهوال الإستبداد المؤزر بقدرات القوى ذات المصالح الكبرى في المنطقة والتي أوجدت مَن تأهّل للقيام بمهمة السجّان الوطني العشماوي الطباع.

فليس من الصائب أن نغفل هذه الحقائق ونميل إلى تفسيرات تدفع إلى الإستكانة والخمول والقنوط, وننادي بأنها تحليلات نفسية لواقع مريض لا نداويه وإنما نستثمر في علله واضطراباته ومآسيه.

ولا يمكننا أن نكون منصفين للمجتمع العربي من غير مراقبة السلوك الجماعي بعد إنقشاع الإستبداد المرير الذي طغى في البلاد على مدى عقودٍ قاسياتٍ شِداد.

مع المحبـــــــــة والـــــــــــود

مراسلات ا لشبكة على الفايس بوك
www.facebook.com/profile.php?id=100002193491869&sk=wall
د. صـــادق الســـامرائـــــي
أخصائي الطب النفسي - أمريكا
alrahwan@yahoo.com

مشاهـــد التغيـــر الثـــوري" من الوجهـــة النفسيـــة

من أجل إلقاء الضوء على "مشاهد التغير الثوري" من الوجهة النفسية.

الزملاء الكرام في الطب النفسي وعلم النفس على امتداد العالم العربي

بعد التحية

أتابع باهتمام شديد كل المجهودات المشكورة التي بادر بها نخبة من الزملاء الأفاضل في الطب النفسي وعلم النفس بما فيهم الأساتذة الدكاترة: يحي الرخاوي، جمال التركي، لطفي الشربيني، قاسم حسين صالح، عبدالرحمن إبراهيم، سامر جميل رضوان، مأمون مبيض، فضل أبوهين، عبدالباري الحمداني و الغالي آحرشاو .. إلخ من أجل تجميع صفوف المختصين في الطب النفسي و علم النفس بمختلف تياراتهم و تخصصاتهم للمشاركة كل بحسب اهتماماته وطاقاته في إلقاء الضوء على مشاهد التغير الثوري فيمختلف أنحاء الوطن العربي من الوجهة النفسية. و قد جاءت دعوة هذا الفريق من الزملاء الأفاضل مواكبة للاهتمام الشديد باهتمام أجهزة الإعلام و تهافتها في البحث عمن يساعد في إلقاء الضوء علي شخصيات مثل حسني مبارك والقذافي و بن علي و غيرهم من السفاحين من ذوي الأنماط الديكتاتورية، و اتجهت بعض الأقلام لتقديم أوصاف تتوازي مع الشخصيات المرضية السائدة في الطب النفسي وعلم النفس

المرضي، وهي تحليلات وصفها البعض بالتسطيح لدرجة أن أستاذنا الدكتور يحي الرخاوي كتب مقالا بعنوان " إعتذار إلي أساتذتي المرضي الطيبين و ترتيب أولويات للاستيعاب والفعل" بشبكة العلوم النفسية العربية، تحفظ فيه بطريقه الحذقة المرحة على وصف بعض الساسة والرؤساء الطغاة والسفاحين بصفة الجنون وشجب بحزم اتجاه بعض الأقلام لاستعمال كلمة الجنون سبابا أو قدحا في وصف الديكتاتور، خوفا من أن يؤدي وصف مثل هؤلاء السفاحين بالجنون، أو بأى تشخيص، إلى إثارة تعاطف ما مع هذا القاتل، هو لا يستحقه، بل وقد يجعله – بطريق غير مباشر – يتمادى فى التقتيل والإبادة. جاءت دعوة الزملاء أيضا مقرونة بالدعوة لتعاون أكثر بين المهتمين في الطب النفسي وعلم النفس بما يتناسب مع حجم الأحداث الخطيرة التي تكاد تعم العالم العربي كله ونتائج هذه الأحداث سواء ما كان منها إيجابيا أو سلبيا (مرضيا)، وهذه الدعوة كما أراها دعوة مفتوحة و أدعمها شخصيا و أضم صوتي لكل هؤلاء راجيا أن يتاح لكل منا أن يساهم بوسيلته الخاصة بما نستطيع أن نقدمه في كل مجالات النشاط المهني النفسيما فيها "البحث العلمي" و تقديم "الخدمات النفسية" و"التنشيطالإعلامي المستبصر"، أو غير ذلك من مجالات القدرة.

ومن هذا المنطلق يسعدني أن أشير ألى دراسة أجريتها لمعرفة الأحداث التي ارتبطت بتعذيب المواطنين العراقيين خلال الحرب العراقية في أبوغريب، وهي بعنوان " اضطراب في شخصية "ليندي إنجلند" أم في المناخ الاجتماعي" (تفسيرنفسي–اجتماعي لأحداث تعذيب السجناء العرب في أبوغريب). أدعوا الإطلاع عليها:

www.arabpsynet.com/Documents/DocSattarPsySocExpTortArPr.pdf

من يهمه التعرف على بعض الجوانب النفسية الاجتماعية و جوانب التفاعل النفسي–الاجتماعي في فهم حوادث التعذيب في حق العرب، مع مراعاة أن التعذيب الذي شهدته العراق آنذاك كان بأيد أجنبية، وقبل أن نكتشف ولدهشتنا– بعد ثورتي تونس و مصر– ان التعذيب وامتهان الشخصية كان يتم بايدي أبناء الوطن أنفسهم ضد أبناء الوطن الواحد و بطرق أكثر تفننا في آليات التعذيب والإيجاع والعنف.

يشرفني أن أتلقي اي تعليقات أو استفسارات.

تقبلـــوا تقديـــري و سلامـــي

عبد الستار إبراهيم
drsattaribrahim@yahoo.com

لا... للإحبـــــــــاط

(سرقة الثورة لن تكون بخسارة الثوار جولة، وإنما باستسلامهم للإحباط ــ إكرام يوسف).

قال لي سائق تاكسي في معرض حديثه (ممكن معنديش صبر، لكن أنا مش حاسس بالأمان) وترك وجهه لتعبيرات الحذر والترقب، معلناً أنه أطلق لحيته إحباطاً.

حادثتني زميلة مسيحية، قائلة أن أحد الموظفين معها، رمى عليها كلام من باب (باللا ريحونا وروحوا أمريكا)، حاولت طمأنة كل من سمعتهم ورأيتهم وعذرت كثيرين منهم أهل بيتي لأنهم (لم يقرأوا التاريخ جيداً، ولم يعوا الثورات الشعبية على مدار العالم، وأنهم غير قادرين على الصبر، وأنهم محبطون وحزانى ولم يجنوا أي ثمرات للثورة بعد).

إذن تعالوا نتأمل المشهد المصري من خلال كلمة (الإحباط) بكل ما يكتنفها من مشاعر (اكتئاب، نفاذ صبر، ضيق خُلق، يأس، وربما قنوط).

الثورة الشعبية التي بدأت شبابية، بدأت منذ حوالي عقد من الزمان ببطء ولكن بثبات، في كفاية، 6أبريل، أحداث المحلة، اعتصاماتها، سلالم نقابة الصحفيين

الأمر لم يأت من فراغ، حقاً كانت ثورة تونس الشرارة الملهمة التي دخلت في يقين المصريين و (أفهمتهم) أنه لا مستحيل ومن ثم كان الإصرار، النظام والانتظام، الصمود، الاستشهاد والتحدي غير المسبوق وبالطبع غباء النظام الفائق.

لقد جاهد الشعب بمختلف فئاته، وبذل مجهوداً خرافياً للوصول إلى هدفه، وإن كان ذلك قد تحقق جزئياً بإزاحة رأس النظام (المِتَمْسَح) السميك الجلد جداً، الثقيل اليد والظل للغاية.

كما في ورش المسرح العلاجي (السيكودراما) فالأمر يبدأ بعد ما تنتهي مظاهرة الثورة في الشارع والميدان، بمعنى أن يبدأ العمل الحقيقي للحساب، التطهير، البناء، المحاسبة، التطوير، قام الناس بدورهم، والآن فلننتظر ما سيقوم به الرجال في الوزارة، لا داعي للقلق بشأن نتيجة الاستفتاء أو ظهور السلفيين على الشاشات (أليس هذا عصر الحريات، نعم إن مزاج الناس ديني وكثير منهم أمّي وغير مسيس، سهل الانقياد وسهل التحريك، ويحاكى ما يقال جهاراً، لكن أليست هذه ضريبة الثورة، أم أن الأمر كله سيكون عسلاً ولبناً ؟).

أولاً : فلنسأل أنفسنا جماعة ؟ ماذا يحدث الآن،.....

كامل النص

www.arabpsynet.com/documents/DocKhaliNoFrustration.pdf

د. خليـــل فاضـــل
kmfadel@gmail.com
www.drfadel.net

التأثيـــــرات اللاشعوريـــة لأفعـــال الكـــلام

فكرة هذا المقال جاءت من التكرار المستمر للجميع الصغار والكبار لكلام القذافي وبن علي ومبارك ..في الآونة الأخيرة ، كيف أن كلام الأب الرمزي أصبح موضع سخرية ، وفاقد المصداقية ، لاشك أن الكلام هو السمة البارزة لبني الإنسان، لذا أردت ومن منظور تحليلي إلقاء بعض الأفكار لاحتواء وتحليل الكلام الحدود الصلة بين الكلام واللاشعور .لذا ارتيت عنونة مقالي هذا بمايلي: "سنزحف عليهم : ملايين من الصحراإلى الصحرا .. شبر شبر.. بيت بيت.. دار دار.. زنقة زنقة .. فرد فرد"... هذه العبارة للرئيس الليبي ستظل تردد لوقت أعتقد أنه سيطول ...

من هذه العبارة يتضح وكأن لسان حاله يتوقع أن كل ليبيا ضده وهو لن يقبل بذلك ولأنه هو الذي بيده القوة يُخيّل إليه أنه أقوى من إرادة الجميع وهو يكشف عن نية المقاومة على اندفاعات الشباب الليبي حتى يجعل الصراع يتوغل في مجال النشاط العقلي الشعوري، كما يظهر ذلك في كلام القذافي أيضا "تعوا تفرجوا يا أمريكا كيف أنا وسط شباب ليبيا، لن نستسلم الدفاع الجوي هو الشعب هو أقوى دفاع جوي" ، عظيم إن كان كل شباب ليبيا معه لماذا سوف يقوم بحملة تطهير لكل الأمكنة في بلده.. نجد أن هذا الاستطراد التي تحكمه بنية الطعن في الذات الملكية، مثاله مثال حال الذي يعاني من الأفكار الاستحواذية يمتص أولاً ضمير المخاطب you, للأنا العليا العقابية في صيغة محايدة إذ يظهر ذلك قوله "معقول يا بنغازي"..

فهذه الإشارات تغطي ضمير المتكلم وياء المتكلم الوظائف التي يؤديها عادة ضمير المخاطب العقابي الذي يخاطبه الضمير conscienceهذه الأقوال الإنكارية توضح معاناة صاحبها من كونها أفكار استحواذية

والتي يكون من يتمتع بها في عالم مغلق مليء بالأشباح، وبمحاولة كلامه المختصر والذي يحمل تهديد ووعيد ورجاء مرات واستغراب وهذه الآلية في الخطاب أسلوب مساعد على النطق بعبارة تفصح بصورة أوضح عن وظائف ضمير المتكلم حيث يتكلم وهو لا يسمع نفسه، وحيث أن علاقته بالآخر الذي يسمعه هي علاقة مضطربة حكماً..إذ يأتي الوصف الفج لحالته على النحو التالي بمجرد غياب الآخر الحقيقي ينصب المتكلم مكانه آخر خيالي، على عكس الآخر الحقيقي حيث وحسب ميشال فوكو في كتابه العلة العقلية وعلم النفس / mentalillness and psychologyفالعلة العقلية تنشأ نتيجة النكوص من الديالوج الواقعي إلى الحوار الخيالي حيث الكلام في ظل مفهوم الإحالة أي إحالة الشخص المتكلم بحيث يكون محل الآخر المخاطب، كضمير أعلى فيصبح، وكأنه شخصاً ثانياً، وضمير المخاطب يدخل بالفعل خطاب الموقف أو الجلسة، خطابه المعلن الذي يتخذ إحالة ضمائر المتكلم I,s إلى ضمير المفرد الغائب he,sالتي يستخدمها الشخص المضطرب بعداً إضافياً مثل عبارة القذافي " لو كنت رئيس ألوح استقالتي في وجوهكم...

" فنجده يذهب إلى أنه شخص يركز انتباهه على الضمائر (ضمائر المتكلم وضمائر المخاطب .....)

كامل النص
www.arabpsynet.com/documents/DocMarselenaUnconscEffects Acts&Speech.pdf

د. مرسلينـــــا شعبـــــان حســـــن
محللة نفسية - سوريا
mar-selena@hotmail.com

الشعـــب يعـــرف مـــا يريـــــد..فـــي ليبيـــا

يا أيها الوحش العنيد
لملم جراحك وارتحل من دون وعد أو وعيد
ما عدت تعرف ما تريد
والشعب يعرف ما يريد
من (زنقه زنقه) ياعقيد
يا سارق (المجد) التليد
يا قاتل الطفل الوليد
يا مسخ (نيرون) الطريد
لا (نهرك) الممتلئ من سفك الدماء
و لا (الكتاب الأخضر) المشئوم يجدى أو يفيد
عاهدت شعبك ان يحبك او يموت على الحدود
وارادة الشعب المقاتل لا تريد سوى المزيد
الوقت ينقص أو يزيد
من (زنقه زنقه) ياعقيد
سيظل مطلبه الوحيد
وأقل ما يرضى به فورا.. وليس بالامر البعيد
يلتقط راسك نازفا يتدلي من اعلى عمود
ما عدت تعرف ما تريد
والشعب يعرف ما يريد
من (زنقه زنقه) ياعقيد

كامل النص
www.arabpsynet.com/documents/DocOmaraPeopKnowWhatTheyWant.pdf

بروفيسور الزين عباس عماره
استاذ الطب النفسي
أبوظبي - الإمارات العربية
zinomara@emirates.net.ae
www.dralzainomara.com

انتقال الثورات من مرحلة اللون المتأمركة الى مرحلة العطر الوطني العابق

لقد تركتنا ثـــورة الياسمين التونسية وسط ارباك الانتقال من اللون الى الرائحة العطرة. وهي أيقظت لدينا ملاحظات لم ندونها لكنها تركت بصماتها في ذاكرتنا. من كرم وصبر وعلمية الزميل سليم العنابي وصولاً الى الارادة الصلبة وقبول التحدي لدى الزميل جمال التركي الى انفتاح الزميل انور الجراية.

يوم انتصار ثورة الياسمين أدركنا بشكل طاغ ان "للرائحة ذاكـــرة" فقد استحضرت الذاكرة مع الخبر قائمة الاسماء التي عرفناها خلال مؤتمر اتحاد الاطباء النفسيين العرب في تونس وهي كثيرة نلتمس العذر لعدم سردها كقائمة في سياق نقول فيه ان الصورة التي كوناها عن تونس كانت منذ ذلك الوقت صورة تونس بعد الثورة. اذ لم نكن نعرف الصورة الحقيقية للوضع في تونس.

لقد اخفى الكبرياء التونسي عنا حقيقة الوضع فن ننسى فاننا لن ننسى قط ذلك العالم الكبير والرائد المؤسس والمثال العلمي البروفسور ســليم عمـــار الذي كنا نتمنى لو امتد به العمر ليشهد هذه الثورة. وهو كان قد بدأها قبل عقود. فقد التقيناه في احد المؤتمرات العربية اواسط التسعينات. وكان رحمه الله يصر على عرض صور الاطفال العراقيين المشوهين بسبب اليورانيوم المنضب.هذه الانطباعات مجتمعة لم تترك لدينا أي شك بانتقال الثورات من مرحلة اللون المتأمركة الى مرحلة العطـــر الوطني العابق.

فاذا ما تريثنا في الحديث عن هذه الثورة فذلك اشفاقاً منا على كبرياء من عرفناهم من الزملاء وسط تحديات أحاطت ولا تزال تحيط بثورتهم وهي واقعاً تحويل تونس الى بلد منسجم مع طاقات واندفاع وحماسة شعبه وعلى الاخص مع كرامته.

ولعل الثورة المصرية عجلت قليلاً لكنها كانت بدورها عرساً عربياً جديداً أعاد مصر الكبيرة بتضحياتها وريادتها الى اصالة عروبتها. وان كانت لا تلغي صدارة الشرارة التونسية التي اصبحت نبراس كل الثورات العربية العطرة. لتبقى مسؤولية التفريق بين الثورات العطرة وفق النموذج التونسي وبين الثورات الملونة التي تبدو وكأنها تستغل عطر الثورات لتلوين دول عربية أخرى. ونحن نرفض تلوين دولنا وفق النمط الاوكراني او غيره من انماط الثورات المتامركة.

تبقى الريادة التونسية حاملة المشعل ومطلقة الشرارة ونبقى في حالة إشفاق على الثورات العطرة ومحاولات الخلط بينهما وبين باقي الثورات حيث نقاءهما وشفافيتهما غير مقروئين بوضوح في باقي الثورات العربية. وهو ما دفعنا لتخصيص ملف هذا العدد للثورات العربية مضمنين الملف محاولة تصنيفية للتشخيص التفريقي بين الثورات العربية بعنوان "حـــول قابلية الدول العربية لحضانة الثورات" آملين ان ينفع هذا الانتقاء مشفوعاً بالتنوع في تقديم مساهمة اختصاصية مهما ضئلت امام عطر الثورات.... آملين استمرار الثورات المعطرة ومعها عودة دولنا حاضنة أمينة لشعوبها. مع الدعـــاء والابتهال كي يبعد الله عن هذه الدول شبح الفوضى وهي آخر أسلحة المتضررين من مثل هذه الثورات.....

والله المـــوفق

أسرة التحـــرير

كامل النص
www.arabpsynet.com/documents/DocNabulsyICP89Edtorial.pdf

أ. د. محمـــد أحمـــد النابلسي
الطب النفسي - لبنان
nabulsy@cyberia.net.lb

الحكّـــــام أم الشعـــــــوب..مرضـــــى نفســـــا؟!

أثارت تصرفات معمّر القذافي وخطاباته واستخدامه العنف مع المتظاهرين في الأسبوع الأول لانتفاضة (17فبراير) تحليلا لأطباء نفسيين خلص عدد منها الى أن الرجل مصاب بالبرانويا والوساوس والهوس. ولأن هذا الحكم صادر من اختصاصيين فان الناس تصدّق بهذا التشخيص تصديقهم لطبيب مختص بأمراض الجسم يشخّص مريضه بأنه مصاب بالسرطان مثلا.

واذا كان التشخيص صحيحا، أعني أن القذافي (وحكّاما عرب آخرين) مصاب بأمراض بعضها عقلية تدخل ضمن الذهان، فان المنطق يطرح هذا السؤال:

*هل يمكن لرئيس دولة بهذا الخلل العقلي والمرض النفسي أن يحكم شعبا أربعين سنة حظي فيها باحترام رؤساء دول في عالم عاقل؟ وبما أنه من غير المعقول أن يحكم مجنون ملايّنا أربعين سنة، فأن المنطق لا يستقيم الا بأن يكون الحاكم والناس كلاهما مصاب بأمراض نفسية بصيغة خلقت معادلة توافقية ضمنت ديمومة العلاقة بينهما بطريقة مشابهة للعلاقة بين (سي السيد) وزوجته المصابين كليهما بعصابي التسلط والخضوع.

لكن ما حصل أن المعنيين بالطب النفسي وعلم النفس التحليلي (الفرويدي) من العرب والأجانب، غالوا في تحليل شخصيات المستبدين والطغاة العرب منذ سقوط أولهم، صدام حسين، الى زين العابدين وحسني مبارك... ثم القذافي، وشخّصوهم بأنهم مصابون بأمراض نفسية وعقلية بضمنها الذهان ..وهذا غير منطقي لأن الذهان (الجنون بالتعبير الدارج) اضطراب عقلي حاد يفقد فيه الفرد صلته بالواقع ويكون غير مسؤولا عن افعاله بما فيها السلوك الأجرامي.

ان التحليل الصحيح هو أن الشعوب في عالمنا العربي مصابة.....

كامل النص

www.arabpsynet.com/documents/DocQassimPolPeopMentalIll.pdf

أ.د.قاسم حسين صالح
رئيس الجمعية النفسية العراقية
qassimsalihy@yahoo.com

نحـــو ثقافـــة نفسيـــة تربويـــة جديـــدة

"مارتن لوثر كنج " يقول المجتمع هو الذي يشكل التربية لا العكس وفقاً لمصالح أولئك الذين يمسكون بزمام السلطة "ولكن وفي ظل حركات التغير الذي يشهدها عالمنا العربي في الآونة الأخيرة ، لابد أن تكون التربية عنصراً جوهرياً من عناصر حركة التغيير والتحرر من الحكم الغير ديمقراطي الذي يحتمل تعدد الآراء لما فيه الخير بعيداً عن التفرد بالقرار وبالتالي يحصل توزع للمسؤوليات .. وهذا يقتضي وفقاً لقناعاتنا تحرر التربية والتعليم من الطابع السياسي وينصرف للعمل بالمبادئ والمثل العليا لثقافة المجتمع وأعرافه ، إضافة إلى التركيز على استغلال القدرات المختلفة للناشئة إلى ما تسمح به ظروف التعليم واستعدادات هؤلاء الناشئة ..

إن مشكلة العمل التربوي في كثير من بلداننا هي مشكلة معرفة: ماذا وكيف ومع من وضد من ولمصلحة من يعملون ؟؟ . لهذا حركة التربية التي لابد أن يعمل لتكون مبنية على أسس علم النفس الحديث لكي تستطيع القيام بدورها المأمول الرافد والحاضن لحركة التغيير الاجتماعي..

التربية الحديثة أميل للأخذ بوجهة النظر القائلة بأن ما يثير اهتمام الطفل فحسب هو الذي يمكن أن يكون تعلمه مفيداً ومثيراً، كما أن من أبرز ما تهدف إليه التربية الحديثة أن يكون تدريبها من خلال الحياة أكثر منه من أجل الحياة.. وأنه لا يمكن أن تحدث أخطاء كثيرة طالما أن الطفل يحب ما يتعلمه. وهم يعلنون أن الإصرار على أداء الأعمال غير المشوقة يجفف ينابيع الطاقة العقلية ويسبب نوعاً من الحقد الكئيبالذي يمتد حتى إلى الموضوعات التي قد تثبت جاذبيتها تماماً، حيث أن مؤسسو ومديرو المدارس الحديثة يؤكدون وجود الكثير من عناصر الكراهية والسادية في النظم المدرسية التقليدية وطبقوا ما يبدو بمثابة النتائج العملية لنظرية التحليل النفسي، إن الإغفال والإرغام يعوضه التركيز على إثارة الإهتمام.

فلا يمكن أن تقام تنمية بإنسان مقهور، لأن التنمية أيّاً كان ميدانها فهي تمس تغيير الإنسان ونظرته إلى الأمور في المقام الأول من خلال وضع الأمور في نصابها الصحيح، بحيث تؤخذ خصائص الفئة السكانية التي يراد تطوير نمط حياتها بعين الاعتبار ودراسة الخصائص السكانية ومعرفة بنيتها وديناميتها.. كما أن وضعية القهر التي مورست على شعوب المنطقة العربية لاشك كان لها آثار مدمرة على التكوين النفسي والعقلي للإنسان، ولعل أبرز أثار هذا القهر هو الميل إلى التخلي عن استغلال النفس الفردية ودمج النفس في شخص آخر خارج النفس للحصول على القوة التي تنقص النفس الفردية (مصطفى حجازي ،ص8) .

كما أن أشد أشكال التكوين النفسي والعقلي للإنسان هي الرغبة في الخضوع والهيمنة "الرغبات المازوشية والسادية" الموجودة بدرجات متفاوتة في الأشخاص السويين والعصابيين على حد سواء.. حيث أن أشد الأشكال تكراراً التي تظهر فيها الرغبات المازوشية، هي مشاعر الدونية والعجز واللا جدوى الفردية، كما أن تحليل سيكولوجية هؤلاء الأشخاص تظهر وجود صراع بين الشكوى من هذه المشاعر السيئة وإرادتهم في التخلص منها من جهة، وقوة أخرى تدفعهم لاشعورياً إلى الشعور بالعجز والدونية وبالتالي اللا جدوى من جهة ثانية.. وبذلك نجدهم يظهرون ميلاً إلى التقليل من أنفسهم بالنسبة للقوى التي هي خارج أنفسهم بحيث تكون تبعيتهم للشخص أو المؤسسة الحاكمة، فهم لا يميلون إلى تأكيد أنفسهم ولا إلى فعل ما يريدون، بل يميلون إلى الخضوع لأوامر هذه القوى الخارجية سواء كانت هذه الأوامر واقعية أو مختلفة.. مقابل الميول المازوشية هناك الميول السادية، حيث توجد أحياناً مترافقة عند نفس الشخص. وهذه الميول يمكن تصنيفها بثلاثة أنواع :

1- ميول تجعل الآخرين يعتمدون.....

كامل النص

www.arabpsynet.com/documents/DocMarselenaCultNewPsyEdu.pdf

د. مرسلينـــــا شعبـــــان حســـــن
مجلة نفسية - سوريا
mar-selena@hotmail.com

الطـــــب النفســـــي والسياســـــة...!

الطب النفسي معروف المواصفات والقواعد والأصول, وهو من الإختصاصات الطبية المعترف بها في المحافل العلمية. ولأطباء النفس جمعيات متعددة ومتنوعة ذات نشاطات مؤثرة في حياة المجتمعات المتقدمة. والسياسة لها تعريفاتها المستندة في جوهرها على آليات السعي لتحقيق مصلحة وطنية أو مشتركة تتفق عليها الأطراف.

ومشكلة الطبيب النفسي مع السياسة, هو غيابها في المجتمع العربي.فالعرب أمضوا القرن العشرين بلا سياسات وفقا للتوصيف العلمي ونظرياته ومنطلقاته الفاعلة في العلاقات الدولية ومناهج الصراعات, ولو كانت عندنا قواعد سياسية أولية لما أنجزنا مسيرة التداعيات والويلات والخسائر الحضارية المذهلة

الواقع العربي في معظمه, تهيمن عليه المسلمات الماضوية التي عزلته عن عصره وأوقعته في محنة الإستكانة والركون إلى الإنقطاع المرعب عن التفاعل مع مفردات الحياة. والسائد في مجتمعاتنا أنظمة حكم الغالب عليها الصفة العسكرية والقبلية والعشائرية والحزبية وغيرها.

وفي هذه الحالة المشحونة بكل شيء إلا السياسة, لا يمكن لأي إختصاص مهني أن يدخل في محيط غير موجود. وقد فعل عدد من أطباء النفس ذلك وأدركوا بأنهم قد تورطوا في معضلة سرابية كلفتهم غاليا.

ويبدو أن الزمن الجديد قد أوجد بداية لحالة ذات وعي.....

كامل النص

www.arabpsynet.com/documents/DocSamarraiPsy&Politics.pdf

د. صـــــادق السامـــرائي
أمريكا - العراق
alrahwan@yahoo.com

اعذريني (ثـــورة الياسمـــن) ملهمـة العبـــر

السادة الزملاء أعضاء الشبكة العربية للعلوم النفسية

الأخ الكريم والصديق الحميم الاستاذ الدكتور جمال التركى / رئيس شبكة العلوم النفسية العربيه المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

يسعدنى ان أبعث اليكم بأرق تحية من نسائم الثورة العربيه.. وأهنئكم بثورة تونس الفتيه..رائدة الثورة العربيه...(ثورة الياسمين)من تونس الخضراء...موطن الشاعر الثائر أبوالقاسم الشابى الذى قال:

أبارك فى الناس اهل الطمـــوح ... و من يستلذ ركوب الخطر
ومن لم يعانق شوق الحيـــــــاة ... تبخر فى جوها واندثر
ومن يتهيب صعود الجبـــــــال ... يعش أبد الدهر بين الحفر
اذا الشعب يوما أراد الحياة ... فلا بد أن يستجيب القدر

وكأن الشعب التونسى كله كان على موعد مع كلماته ليصنع (ثورةالياسمين).

أعجبنى هذا التعبير..وهذه اليد السحريه التى فتحت كوة الظلام لدخول رياح التغيير التى أيقظت الشعوب من حالة الغيبوبه التى تعيش فيها الى الآفاق الرحبة التى تتطلع اليها بدأت كتابة قصيدة (ثورة الياسمين)... وقبل ان أتصيد حروفها وألملم كلماتها، أجتاحنى (سونامى ليبيا)...

ولان ثورة الياسمين كانت ملحمة رائعه نتنسم عبيرها ونترسم مسيرها فى سلام الى شاطئ الأمان فان(سونامى ليبيا) كان ومازال حريقا مجنونا يستوجب من كل عاقل ان يهب للنجدة والاطفاء .. وهذا الفارق بين عطر الياسمين..ودخان الحرائق ..رغم نهر الدماء الذى يربط بين الأثنين وهو (مهر الثورة)

اعذرينى (ثـــــورة الياسمـــــن) ملهمة العبر
أعذرينى ثورة الياسمين ملهمة العبر
يا تونس الخضراء شعبك دقّ ناقوس الخطر
قدح الشرارة فى ظلام الليل فاندلع الشرر
وانداح فجر الثورة البيضاء.. ناصعة الصور

النص الكامل

www.arabpsynet.com/documents/DocOmaraJasmRevol.pdf

تقبلوا تحياتي

الـزيـن عبـاس عمـاره
الخرطوم - الـسـودان
alzainomara@gmail.com

حـــول قابليـــة الـــدول العربيـــة لحضانـــة الثـــورات

"قـــــــــراءة سيكولوجيـــــــــة"

رصد المزاج العام عملية تقع على الحدود بين السياسة والعلوم الانسانية وبخاصة علم النفس وعلم الاجتماع. فيما نفضل شخصياً إعتبار هذه العملية واحدة من وجوه استغلال السياسة للعلوم الانسانية.

وعملية الرصد هذه تجري عادة بطريقة آلية روتينية الا انها تطرح ضرورة التعمق في متابعتها للرأي العام في الحالات المفصلية كمثل تعرض المجتمع لمواجهات داخلية او خارجية تتطلب تضحيات الجمهور والتأكد من ملكيته للدوافع المؤكدة لاستعداده لتقديم تضحيات مماثلة.

الثورات العربية المتلاحقة بينت تعكر المزاج العام في هذه الدول وربما تعكر المزاج العربي العام بدليل تلاحق التحركات وانتشارها الوبائي السريع في غالبية الدول العربية اذا لم نقل كلها. كما ان اندفاع الشارع العربي لتأييد هذه الثورات يؤكد تعكر المزاج العام لهذا الشارع وصولاً لتبنيه مبدأ التغيير بعض النظر عن تهديدات الفوضى التي قد تصاحب أو تعقب التغيير.

الانظمة العربية كافة تبحث هذه الايام عن الوسائل الاكثر فعالية لرصد المزاج العام لجمهورها وأهم منها تشخيص قابلية النظام لحضانة ثورة قد تؤدي الى نهايته وسقوطه. ذلك ان وسائل الرصد التقليدية لتوجهات الرأي العام ومزاجه لم تعد صالحة في هذه اللحظة السياسية العربية التي تشهد انفعالات تطلق معها القناعات الضمنية التي يخفيها هذا الجمهور عادة ما يجعلها خارج مجال رؤية وسائل الرصد التقليدية.

المسألة هنا تدخل في اطار الطب النفسي العسكري والأمني وتقتضي إستقراء تجارب هذا الفرع على ضوء معرفة مكتملة بانثروبولوجيا الدول العربية المعنية. حيث المراكز الاميركية التي تتولى أغلب عمليات الرصد هذه جاهلة تماماً لهذه المعطيات الانثروبولوجية. وهو جهل أكدته التجربة الاميركية في العراق.

كامـــــــــل النـــــــص

www.arabpsynet.com/Documents/j29-30AnnexeTopicNabulsy.pdf

أ.د. محمد احمد النابلسي
الطب النفسي - لبنان
ceps50@hotmail.com ; nabulsy@cyberia.net.lb

الثـــورات العربيـــــة..وثقافـــة "البلطجـــة"

رؤيـــــة نفسيـــــة

لعل من مهام الطب النفسي وعلم النفس – بالإضافة إلى علاج الحالات – النفسية دراسة ومتابعة ومواجهة الظواهر العامة التي تهم الناس ، ومن الملحوظ في الآونة الأخيرة لكل من يتابع الأخبار.. وما يحدث على امتداد العالم العربي مع تفجر الثورات الشعبية بصورة متتابعة بدأت في تونس ومن بعدها مصر ثم ليبيا واليمن وسوريا وبقية الدول العربية الاخرى..وكان القاسم المشترك في كل المناسبات التشابه في اساليب الانظمة الدكتاتورية عند مواجهة الاحتجاجات وثورة الشعب ..

بداية من القمع باستخدام الوسائل المعروفة والاسلحة المختلفة,, وحتى الاستعانة بفئات معينة يطلق عليها في مصر " البلطجية" وفي دول اخرى " البلاطجة", واحيانا " الشبيحة"..وهو وصف لبعض الخارجين على القانون الذين يقومون باعمال العنف والترويع لحساب جهات تدفع بهم كأداةقمع خاصة في الاحداث ..

ومن الانسب وصف سلوك " البلطجة " كبديل عن وصم اشخاص بهذه الصفة.. والجرائم وحوادث العنف التي تحولت إلى ظاهرة يعاني منها المجتمع في كثير من بلاد العالم العربي وتزايدت معدلاتها اثناء اخداث الثورات..، وقد تزايد الاهتمام بجوانب هذا الموضوع علي نطاق واسع خصوصاً ما يتعلق بالناحية الأمنية لمواجهة هذه الظاهرة التي أصبحت تمثل تهديداً خطيراً لشعور الأمن الذي يعتبر في مقدمة الاحتياجات الأساسية للأفراد والمجتمع عموماً حتى تستمر حياة الناس في مسيرتها المعتادة ، غير أن المواجهة لا يمكن أن تكون مكتملة أو فعالة إذا لم تتضمن الاهتمام بالجوانب الاجتماعية والنفسية للموضوع بجانب الناحية الأمنية .. وهنا اقدم رؤية نفسية للظاهرة وتحليلاً لدوافعها وشخصية الذين يقدمون علي القيام بها في سياق اكثر شمولا .

كامل النص
www.arabpsynet.com/documents/DocSherbinyArabRevol.pdf

د. لطفي عبد العزيز الشربيني
lotfyaa@yahoo.com
www.alnafsany.com

ثمة غياب لحقيقة الظاهرة النفسية التى فاجأتنا

كم أنا سعيد لهذه الحالة الثورية في مجتمعنا العربى، وأرجو أن تكون العلوم النفسة على مستوى الحدث ونستلهم روح الثورة فى مراجعة معاييرنا للحكم على السواء واللاسواء فثمة غياب لحقيقة الظاهرة النفسية التى فاجأتنا في "ثورة الياسمين" التونسية و"ثورة 25 يناير" المصرية وكل الثورات العربية الناهضة.. .

تحياتـــــــــــــي

د. عبد الله عسكر
أستاذ التحليل النفسي
جامعة الزقازيق - مصر
dr_asker@hotmail.com

تطبيقات الطب النفسي السياسي في حالة الثورات العربية

تطوعت الشبكة العربية للعلوم النفسية لنقل انطباعات اعضائها من الاختصاصيين في مختلف الفروع النفسية للثورة التونسية ومنثم المصرية من بعدها. ورغم ان بعض الكتابات التي نشرتها الشبكة اتصفت بالانطباعية واحياناً بالانفعال الا انها كانت انفعالات ايجابية ربما من النوع الذي تدعو اليه بعض التيارات العلاجية النفسية الحديثة. ما أخر نقاش الشبكة للناحية الاخلاقية المهنية الى ما بعد بروز التداخلات السياسية المعقدة في منطقتنا العربية حيث طموحات الثورة المصرية مثلا تواجه بالحديث عن عودة الانقسامات العربية ومعها عودة دول محور الاعتدال العربي (الخليجية خصوصاً) للضغط من اجل عدم محاكمة الرئيس مبارك ومن ثم تقديم عروض مالية سخية لاطلاق سراحه وصولا للحديث عن تمويل هذه الدول لثورة مصرية مضادة. وكلها عوامل دعت بعض اعضاء الشبكة للدعوة الى الانسحاب من نشر هذه المواضيع السياسية او على الاقل خفض نسبة نشرها. وفي المقابل اصر متخصصو الطب النفسي السياسي العرب على مواصلة النشر ولكن مع الالتزام بالموضوعية العلمية في هذه
الكتابات حتى لا تتحول الشبكة الى ما يشبه برامج "التوك شوو" العربية".

في هذا المجال برز رأي للبروفسور قدري حفني ملخصه: حين تابعت الحوار الدائر حول الإشفاق علي شبكتنا من الخوض في غمار السياسة و الإشفاق عليها أيضا من النأي بعلم النفس بعيدا عما يجري في عالمنا العربي، تذكرت مقالا قديما لي عرضت فيه خبرتي الشخصية في إكتشاف هذه العلاقة و ما أدي إليه ذلك الاكتشاف الشخصي من تعديل لرؤيتي في علم النفس.ولقد عايشت عبر تاريخي الشخصي الأكاديمي تلك العلاقة المتبادلة بين التخصص الأكاديمي في علم النفس، وممارسة العمل السياسي المباشر. ولم أشعر قط بحاجتي لطي الثوب الجامعي خلال ممارستي السياسية، ولا أحسست أبدًا بضرورة إنكار انتمائي السياسي أو التنكر له خلال ممارستي لتخصصي الأكاديمي في علم النفس؛ غير أنني كنت في بداية تخصصي في علم النفس أتصور أن كافة علماء النفس الأمريكيين، و هم أصحاب الثقل الأكبر فيما كنا ندرسه في علم النفس، يضعون معرفتهم بالإنسان

كامـــــــل النـــــــص

www.mostakbaliat.com/?p=9024

محمـــــد أحمـــد النابلســـي
nabulsy@cyberia.net.lb

سقطت الى الأبد مفاهيم شفّرت في اللاوعي الجمعي العربي

آخـــــــــــر القمـــــم.. أولهـــــــــا!

قبل اسابيع.. كانت بغداد تستعد لاستقبال الرؤساء العرب لعقد مؤتمر القمة العربي في آذار 2011. كان الجميع يتهيأ للاحتفاء بقادة الأمّة وزعماء شعوبها. وكانت وسائل الاعلام قد هيأت سيناريوهات عن حياة كل زعيم عربي.. تستعرض فيه كفاحه وامجاده ومنجزاته التاريخية واخلاقة الرفيعة وقيمه النبيلة... وتصوغ احداثا منها في دراما تصوره كيف خرج من بين فقراء الشعب ليكون المنقذ المخلّص، والزعيم الأوحد ،والقائد الضرورة، وهبة السماء الى الأرض، وبطل القومية العربية، وملك الملوك..الاولين والآخرين!. ولكنّا نحرنا لهم الذبائح.. واسكناهم في افخر قصورنا!.. ولتسابقت عليهم القنوات الفضائية ووسائل الاعلام.. ولبعثنا بجميلات " العربية " و " الجزيرة " و " أم بي سي" تحاور هذا وتضفي على ذاك ما أملي من صفات اعدّها مدير القناة.. وستكون المحظوظة منها تلك التي تلتقي بواحد منهم.. والمحسودة هي التي تتبرك شاشتها بوجه اكثر من زعيم في حوار تنهيه بدعاء ان يمدّ الله في عمره ويحفظه ذخرا" للأمّة.

أليس هذا هو ما كان يحدث لو أن المؤتمر عقد في تاريخه، آذار 2011؟. ولكن ما حصل ان تسونامي الأنظمة العربية كشف ان كبار الرؤساء العرب فاسدون! وان من كنّا نستعد للاحتفاء بهم بوصفهم قادة الأمّة.. ليسوا سوى سلاطين طغاة.. وانهم ليسوا ممثلي شعوبهم ،بل قتلته.. وليسوا أمناء على ماله، بل لصوص مات الانسان بداخلهم فانشغلوا بكنز المليارات وتركوا شعوبهم بين مهاجر وبين من لا يجد قوت يومه.

وفجأة، انقلبت الفضائيات ووسائل الاعلام العربية من مدّاحة لقادة الأمّة الى.. سالقة أياهم بألسنة غلاظ.. وبأقبح ما في قاموس العرب من مفردات.. وناشرة لغسيل نتن يزكم الأنوف ويجعل الناس يضربون جباههم ويعنفون أنفسهم: كم كنّا مغفلين!. ياآلهي.. كم أننا انتهازيون!.. وكم أن الاعلام العربي بحاجة الى تسونامي يكتسح زيفه ونفاقه ودجله على الشعوب وتخديره لها عشرات السنين!.

ان أعظم انجاز لتسونامي الأنظمة العربية أنه أطاح بـــ(سيكولوجيا الخليفة)..فلن يأتي بعد الآن، في الأنظمة التي أطيح بها، حاكم يرى نفسه امتدادا لخليفة أموي أو عباسي.. يمثل سلطة الله في الأرض.. ويبقى فيها الى يوم يخصّه عزرائيل بالزيارة. وفي هذه البلدان، ومن سيأتي عليه الدور.. سقطت الى الأبد مفاهيم شفّرت في اللاوعي الجمعي العربي مئات

السنين من قبيل: البطل التاريخي،الزعيم الأوحد، الملك المفدّى، حبيب الشعب...وغسل تسونامي العرب من النفس العربية سيكولوجيا عبادة البطل وتأليه الزعيم والتماهي بنرجسية القائد..واضفاء صفات الأنبياء على من تبين أنهم أشرار!..بل هزّ ،هذا التسونامي المبارك، في النفس العربية حتى ايمانها بسيكولوجيا القدر!.

فالرئيس المقبل في هذه البلدان ستأتي به ارادة الناس لا ارادة القدر، وسيكون (موظفا) ولكن بفارقين أنه يحتل الوظيفة الأعلى في الدولة.. وان مدة حكمه فيها لا تتعدى ثمان سنوات. وحين ستنعقد القمة المقبلة.. ستختفي كل الالقاب الفوقية والاستعلائية والصفات الاستثنائية والتعظيمية التي تحتفظ بها اشرطة الاعلام وذاكرة الشعوب..

فلقد انتهى عصر (البطل الفرد) وصار البطل الأبدي هو الشعب..الذي سيغني للوطن فقط: بالروح..بالدم..نفديك يابيت الوطن.

لقد كتب لبغداد ان تكون متفردة بتاريخها ،وخصّها الحظ بمكرمة..انها ما استضافت قمة رؤساء فاسدين..فقد كفاها قدرها قبح آخر القمم ..لتتزين بجمال أولها..وان لم يكتمل بعد!.

أ.د. قاسم حسين صالح
رئيس الجمعية النفسية العراقية
gassimsalihy@yahoo.com

هل من ثورة نفسية؟

منذ "الثورة التونسية " الشعبية الطاهرة النقية التي أوقدها قلب محمد البوعزيزي , الذي إكتنز قدرات الأمة وطموحاتها وآمالها الإنسانية المشرقة, وتساؤل يتردد في أروقة الأيام عنوانه " هل من ثورة نفسية؟"

سأجيب عليه بإختصار....ربما يبدو ضروريا أن نساهم في تحقيق ثورة نفسية لها قدرات التغيير الحضاري المعاصر اللازم لوضع مجتمعاتنا على طريق التقدم والإزدهار. ومن أهم مشاريع هذه الثورة , بناء التفكير الإيجابي الذي يستحضر الأفكار والقدرات الفعّالة للمواكبة وتحرير الطاقات.

فالأمم بأفكارها ومهارات تفكيرهايا نفسنا الثائرة وأمّنا الحائرة!

هيّا إلى المثابرة أ فعلنا مظاهرة؟

ودورنا يا أخوتي أن نكتفي بظاهرة؟!

وما نراه في العالم المتقدم , ثورات نفسية متواترة تستشرف العناصر الإيجابية وتوظفها للإنتصار على ما هو سلبي ومعوّق للسلوك المتفق وإرادة الأمة.

والعلوم النفسية لها إضاءات تنويرية في الفهم السياسي والعام , وإدراك آليات إتخاذ القرار السديد وكيفيات إلقاء الكلام المفيد. فلا تخلو صحيفة أو موقع إعلامي من مساهمات نفسية جادة ومعاصرة لتوفير أكبر قدر من المعلومات والمعارف , لأن المعرفة قوة وإقتدار.

ولهذا فقد ينفع مجتمعنا أن نراجع نمطيات التفكير التي استعبدتنا وأبعدتنا عن حقيقة أصلنا ودورنا , وطمرت طاقاتنا وقدراتنا في أوحال الإنكسار, وأهلتنا لإستلطاف الهزائم والقبول بالخسران.

ولا يعني ذلك "سياسة" لأنه من الصعب على الكثيرين القبول بوجود سياسة في مجتمعاتنا وفقا للتعريف العلمي والأكاديمي لها, وإنما أن نساهم بإيقاد شموع الأمل والحياة في عقول ونفوس الناس أجمعين , وبهذا يكون لنا دور فاضل وتأثير فاعل في رسم صورة الحاضر والمستقبل.

أسمى التحيات وأعذب الأمنيات

د. صادق السامرائي
أمريكا / العراق
alrahwan@yahoo.com

تأييد نجوم المجتمع للنظام ساهم في انجام الثورة

منذ اندلاع ثورة الكرامة في مصر برزت على الواجهة مواقف مشاهير المجتمع المصري خصوصا الفنانين منهم حيث تنوعت تلك المواقف بين مؤيدين ومشاركين في الثورة وبين معارضين لها مشاركين في حملة التطبيل للنظام وكيل الاتهامات الجائرة للشباب وفريق ثالث يمثل الاغلبية من الفنانين التزموا الصمت اما خوفا من جبروت النظام او انتظارا لوضوح الرؤية حتى يسيروا في موكب الفريق المنتصر..

بعد اسابيع قليلة من انتصار الثورة المصرية عادت قضية مواقف الفنانيين الى الواجهة الاعلامية مجددا مع اندلاع الثورة السورية حيث ادلى عدد من الفنانين السوريين بدلوهم في الاحداث واغلبهم انحاز الى النظام بدرجات متفاوتة من الحماس لعل اعلاها كان موقف الفنانة سلاف فواخرجي التي صرحت لوسائل الاعلام ان ما يحدث في سوريا ليس ثورة شعبية وانما هو عمل اجرامي وانه مختلف عن ثورة مصر.

بداية فأن الثورة المصرية خصوصا كشفت جهل وضحالة وضيق افق العديد من الفنانين مقابل رقي الثوار ولا اقول الشباب فقط لكن كل طوائف الشعب الذين اظهروا رقيا وتحضر ادهشا العالم وقدموا كرنفالا حضاريا غير مسبوق فهنا من ينشد شعرا وهناك من يغني أو يمثل وينظم المرور.. وهذا ينظف الشارع أو يقوم بطلاء الرصيف.. لوحة فسيفسائية من الاخلاق الرائعة رسمها ابناء مصر لتسجل في التاريخ صانعين فجرا جديدا للضمير.

في المقابل عكست مواقف بعض الفنانين الذين يفترض ان يكونوا ضمير الشعب باعتباره السبب الرئيسي لشهرتهم ترددا وضبابية في رؤية المشهد على حقيقته.. فظهر بينهم من بدأ في اتهام الشباب الثائر بالعمالة والتواطؤ وخيانة البلد.. والبعض الاخر تطوع بسبهم بافظع الاوصاف قبل ان يتراجعوا جميعا عقب نجاح الثورة ليبرروا مواقفهم بتبريرات واهية.. فظهر من يقول انه اجبر على فعل او قول هذه الافتراءات و البعض الاخر ادعى عدم علمه بالاحداث وانه ضلل بواسطة بعض الجهات.

القراءة في دوافع الفنانين للوقوف مع الانظمة ضد الشعوب توصلنا الى رصد حالة النرجسية الشديدة التي تجعل الفنان لا يرى الا نفسه و الكون كله يدور حول فلكه وهو ما يجعله يعيش حالة توحد مع المعتدي و تقمص دوره ام هل هي الانتهازية والرهان على بقاء السلطة و فشل الثورة.

لماذا كانوا يفضلون النظام الفاسد على الثورة التي تنادي بالحرية والمساواة؟1 سؤال يحمل اجابته في طياته وتحديدا انكارهم لفكرة المساواة التي تجبرهم على التضحية بمكانتهم التي تصوروا انهم استمدوها من خلال وجود نظام مضلل للجميع.

لذلك بدت مواقف بعض الفنانين وكأنها اسلوب دفاعي للحفاظ على الكيان النفسي لهم وعدم الانهيار حيث رأى بعضهم أن تواجده على الساحة يعتمد على وجود النظام السابق الذي اعتمد عليهم وابرزهم من اجل خدمة مبدأه في تغييب الشعب والهائه و بالطبع ما حدث اثناء الثورة اظهر أن مصر لن تعود للوراء وأن الشعب لن يقبل بهذا ثانية.

وفي معرض تحليل مواقف الفنانين لابد من الاشارة الى ما فعله بعضهم ممن ادعو فى اوقات سابقة انهم منتقدين للنظام ثم عادوا ليتسابقوا في كيل الاتهامات للثوار حيث عكس ذلك انفصاما فى التفكير وازدواجية فى التوجه وكأن مواقفهم في الحالتين كانت بتوجيه من الاجهزة الامنية التي يبدو انها كانت تملك "الريموت كنترول" الذي يتحكم فيهم.

والملفت انه حتى من كانوا يصنفون كفنانين ملتزمين سواء متدينين أومعتزلين خرجوا خلال الاحداث بتصريحات ساذجة او مستفزة من عينة "سامحهم يا ريس" او مطالبة الثوار بالعودة للبيوت حتى يستطيع هؤلاء اكل البيتزا والكباب الذي اعتادوا على تناوله يوميا بينما ملايين المصريين يبيتون دون عشاء.

ان المشهد العام خلال الثورة كان مليئا بالاحداث التي حاول النظام وقتها ان يستخدم ادواته من الاعلاميين والفنانين لوأد الثورة وتقسيم الشعب لكن من توفيق الله لنا ان تلك الادوات ساهمت بعللها النفسية في تأجيج مشاعر السخط الشعبي على مبارك وزيادة التعاطف مع الثورة لتنتصر ارادة الشعب وننجح فى اعادة كتابة التاريخ.

د. مدحت الصباحي
استشاري الطب النفسي

سمات مبارك النفسية اهم عوامل سقوطه

من الثوابت التي يتفق عليها المحللون السياسيون في مصر والعالم ان البطء الشديد الذي تعامل به الرئيس مبارك ونظامه في ادارة الازمة السياسية التي مر بها في ثورة الخامس والعشرين من يناير كان سببا اساسيا في نجاح الثورة وتهاوي النظام، لكن ما هي اسباب هذا البطء؟! وهل تعكس سوء ادارة للاحداث السياسية ام انها مخرجات لسمات نفسية لمبارك وكبار مسؤوليه؟!

من معالم الشخصية السيكوباتية انها تتسم بالولاء لنفسها فقط و بتجمد العواطف و استخدام كل الطرق للوصول لاهدافها انطلاقا من مبدأ الغاية تبرر الوسيلة وقد كانت الغاية الاسمى لمبارك الحفاظ على الكرسى وتوريثه.

ووفقا لشكل ادارته للدولة فمن الواضح ان الرئيس السابق كان شخصا سيكوباتيا مثلما كان كل افراد اسرته نرجسيون وهذا الشعور جعلهم يقتنعون بأنهم محور اهتمام العالم و بالتالى فلا يوجد من هو افضل من مبارك و لا جمال لادارة شئون البلاد بل انهم الناصح الرئيسى لحكام الدول المجاورة.

وللأسف هناك من عزز هذا الشعور لديه في وسائل الاعلام للحصول على مكاسب شخصية ولا ننسى هنا حكاية الصورة التي تم تزييفها لوضع مبارك فى المقدمة ومن وراءه اوباما ونتنياهو والحكام الاخرين.

هناك ايضا – ضمن اسباب بطء الاستجابة والتصرف– طول المكوث بالحكم الذي ادى الى الترهل فالذى لا يتم الان يمكن ان يتم غدا او بعد سنة او حتى في عهد جمال كما أن الثقة الزائدة غير المبررة دفعتهم للاعتقاد بانهم غير قابلين للانتقاد.

سؤال آخر عن اسباب ثقة مبارك الظاهرة بنفسه وبحكمه حتى وهو يتهاوى قبل ان يجبر على اعلان التنحي بفعل الضغط الشعبي.. الاجابة تقودنا الى ظاهرة في علم النفس يطلق عليها (reaction formation) وهي تعني منظومة رد الفعل العكسى او السلوك المبرر حيث يشعر الشخص داخليا بمدى ضعفه و قصوره لكنه يتصرف بعكس ذلك الشعور.. فبقدر الاخفاق يشعر بالنجاح الغير مبرر. وكلما اخفق فى تحقيق مكسب معين انتابه شعور مضاد بانه ابعد رؤية واوسع صدرا وارجح عقلا وأن الهجوم عليه هو تصرف طبيعي من اعداء النجاح وحصيلة متوقعة للعظماء.

و لو نظرنا نفسيا لسلوك مبارك فى بداية الثورة نجد انه اشبه برد الفعل الذى يحدث لشخص تعرض لازمة و لم يفلح فى الخروج منها سالما ففى البداية يكون الشخص على ثقة بقدرته على تجاوز المحنة ثم عندما لا يحدث ذلك يبدأ فى الغضب و اذا استمرت المحنة يبدأ فى المساومة و فى النهاية يستسلم لما حدث فإما يقبل الحدث او ينهار و يصاب بالاكتئاب.

وقد استخدم مبارك كل الوسائل على مدى ثمانية عشرة يوما فما بين الاستخدام المفرط للقوة والترويع و الفراغ الامنى و التضليل و ادعاء العمالة و زرع بذور الفتنة وصولا لاستدرار العطف لنصل الى المحطة قبل الاخيرة و هى التنحى و الذى كان اشبه بالترنح و اخيرا المحطة الاخيرة و هى محاولة اجهاض الثورة عن طريق الثورة المضادة.

و لا ننسى ان الاحساس بالنرجسية الذي تمكن من آل مبارك كان وراء عزلتهم ووضع القيود التى تحد من وصول افراد الشعب اليه فهم اعلى من ان يلتقوا بالعامة والدهماء هم ادنى من ان يهتم الرئيس واسرته بهم، هذا الشعور من قبل الرئيس نحو الشعب هو احساس وهمى بالعظمة دفع الرئيس وعائلته الى الاحساس بأننا عبيد وهم السادة.

ولقد شاركنا بسلبيتنا فى تعزيز هذه السلوكيات فالسكوت عليها عزز لديهم الشعور بأنهم الملهمين و أنهم مصدر الحياة لهذا الشعب ويكفى رضاهم ليحيا هذا الشعب و كأنهم انصاف الهة فوق مستوى المحاسبة والانتقاد.

د. مدحت الصباحي
استشاري الطب النفسي

دليل الوظائف النفسية العربية – الإصدار العربي

www.arabpsynet.com/HomePage/Psy-jobs.Ar.htm

ARABPSYNET JOBS GUIDE - ENGLISH EDITION

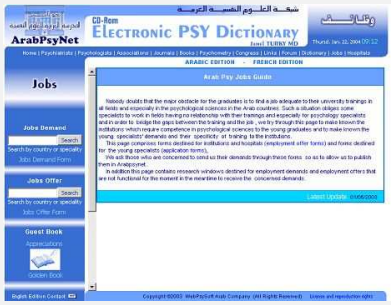

www.arabpsynet.com/HomePage/Psy-jobs.htm